الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي بن مهيدي

– أم البواقي–

كلية الآداب و اللغات

و العلوم الاجتماعية و الانسانية

معهد اللغة و الأدب العربي

رقم التسجيل:.....

الرقم التسلسلي:.....

رواية الشعر بين الشفوية و التدوين في القرنين الأول و الثاني الهجريين.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير(شعبة: الأدب العربي القديم و نقده)

إعداد الطالب:

إبراهيم كربوش

تحت إشراف:

د/ العلمي المكي

لجنة المناقشة

د/ العلمي لراوي	أ.محاضر قسم – أ–	جامعة: العربي بن مهيدي	رئيسا
د/ العلمي المكي	أ.محاضر قسم – أ–	جامعة: العربي بن مهيدي	مشرفا و مقررا
د/ محمد بن زاوي	أ.محاضر قسم – أ–	جامعة: قسنطينة	عضوا مناقشا
د/ عبد العزيز بومهرة	أ.محاضر قسم – أ–	جامعة: قالمة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية :1430–1431هـ/2009– 2010

الإهــداء :

إلي والدي الكريمين ، اعترافا بفضلها و دعائهما ، و إلى أسرتي التي دعمتني بصبرها و تشجيعها ، و إلى كل أفراد العائلة الكريمة ، و كل الأصدقاء الذين قدموا لي يد المساعدة نصحا و دعما ، و في هذا لا أنسى أستاذي الفاضل الدكتور المكي العلمي الذي رافقني في هذه الرحلة فكان خير الموجه و نعم الناصح و المساند ، فقد يسر لي خوض مغامرة البحث و انجازه.

مقدمة ـــــــ

إنّ البحث في الشعر الجاهلي يحقق الممتعة و المعرفة معا ، إنه يمثل حياة العرب أحسن تمثيل ، حياة الفطرة والتوثب ، حياة المشاعر الدفّاقة التي تعتلج في النفوس. و لهذا فإن القارئ لهذا التراث يستشعر بالانجذاب و الميل .

وعليه وقع اختياري على موضوع : رواية الشعر بين الشفوية والتدوين في القرن الأول و الثاني الهجريين ، لأنه استجابة لميول تتصل بماضي الدراسة الجامعية كما أنه من المواضيع المهمة التي استرعت اهتمامي ، و نالت حضّها من البحث والاستقصاء من طرف النقاد و العلماء و الرواة ، كما لاقت اهتماما واسعا من طرف المحدثين من عرب مستشرقين ، وبالرغم من الانجازات التي حققت و المؤلفات التي وضعت ، إلا أن مثل هذا الموضوع ما زال في حاجة إلى البحث و التنقيب واختلاف الدارسين فيه ، هو دليل قاطع على أن الأدب القديم ما زال في حاجة ماسة إلى مزيد من الاهتمام والإثراء .

علما أن هناك دراسات جادة في هذ الموضوع ، أي الرواية و التدوين كالرافعي في كتابه تاريخ آداب العرب في الجزء الأول ، و ناصر الدين الأسد في مؤلفه الموسوم بمصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية ، وعبد الحميد الشلقاني في كتابه الأعراب الرواة و علي أحمد الخطيب في كتابه الشعر الجاهلي بين الرواية و التدوين و غيرها.

أما الصعوبات و هذا من طبيعة البحث ، فأكبر صعوبة اعترضتني كانت تتمثل في الحصول على المصادر و المراجع ، و قد أخذت مني وقتا ثمينا ، لكن بفضل الله و توفيقه استطعت أن أحصل عليها بعد لأي و جهد ، و تم ذلك بمساعدة الأستاذ الدكتور المشرف: المكي العلمي .

أما بالنسبة للمصادر التي اعتمدت عليها بشكل كبير فكانت : طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، والشعر و الشعراء لابن قتيبة ، البيان و التبيين و الحيوان للجاحظ ، و الموشح للمرزباني ، و معجم الأدباء لياقوت الحموي.

أما بالنسبة للمراجع : مصادر الشعر الجاهلي و قيمته التاريخية لناصر الدين الأسد ، و تاريخ آداب العرب للرافعي ، و سلسلة تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي ، الإسلامي ، و العباسي الأول) لشوقي ضيف .

وجدت أن تراثنا الشعري الشفوي لم يحظ بالتدوين إلا بعد النصف الثاني من القرن الثاني و مطلع القرن الثالث ، و فيه من يرى غير ذلك إذ يجعل من نهاية القرن الثالث ، هي مرحلة تدوين اللغة و الأدب و الشعر ، و ما كان في نهاية القرن الثاني الهجري هي دروس شفوية ، ألقاها العلماء في مجالسهم على تلامذتهم و هؤلاء هم من قام بعملية التدوين و من جاء بعدهم .

و معلوم أن التراث الشفوي قد يعتريه شيء من التغير الإهمال و التحوير ،لأنه يعتمد على الذاكرة ، و تتداوله الأجيال عبر فترة ليست بالقصيرة ، فكانت الرواية الشفوية هي الوعاء الذي حفظ لنا التراث الشعري و اللغوي ، و قد عبر عن هذا المعنى الرافعي فأحسن التعبير حيث قال :« كان العرب أمة أمية لا يقرؤون إلا ما تخطه الطبيعة ، و لا يكتبون إلا ما يلقنون من معانيها ، فيأخذون عنها بالحس و يكتبون باللسان في لوح الحافظة ، فكان كل عربي على مقدار وعيه و حفظه كتابا أو جزءا من كتاب ، و كانت كل قبيلة بذلك كأنها سجل زمني في إحصاء الأخبار و الآثار ».

و كما نعلم أن الأمة العربية في المرحلة الجاهلية خصوصا ، لم تكن تعتمد على الكتابة إلا في نطاق ضيق ، اللهم إلا في العهود و المواثيق و الرسائل التي تتعلق بحياتهم الاجتماعية و السياسية ، و هذه الوسيلة كما نرى لم تكن ترتقي إلى درجة الرواية الشفوية ، لأن هذه الأخيرة تمثل القناة الرئيسة ، التي صانت التراث العربي ، و حفظته من عوادي الزمان . و عندما تهيأت ظروف التدوين بعد أن قطع العرب شوطا من التحضر و التمدن ، حيث كان للإسلام اليد الطولى التي جعلت العرب ينتقلون من حياة البداوة إلى حياة التمدن و التحضر ، و أصبح العرب أمة موحدة

لها كيانها و لها مكانتها و لها هيبتها بين الأمم ، و استطاعت أن تخضع أمما عزيزة الجانب كالروم و الفرس في ذلك الوقت .

فكان القرآن الكريم أول كتاب دونه العرب ، فمنذ نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه و سلم كان يحفظه ، و يأمر بتدوينه فتحفظه الصدور و تعيه السطور ، و انكب عليه المسلمون حفظا و فهما و تفسيرا ، مما مهد لنشأة علوم تساعد على تذوقه و فهم معانيه ، كالتفسير و علم القراءات و النحو و البلاغة و غيرهم ، فشجع على الإقبال على الشعر لأنه يمثل علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه كما قال عمر رضي الله عنه ، و ابن عباس حبر الأمة الذي قال:« إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فإن الشعر ديوان العرب ، فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب لقوله تعالى :﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾. كما كان اهتمام المسلمين منصبا على الحديث الشريف ، الذي لم يلق التدوين و ظل يتداول مشافهة بين المسلمين ، إلى نهاية القرن الأول الهجري في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، حتى لا يختلط بالقرآن الكريم ، و قد كان سببا في تنشيط حركة التدوين ، التي طالت المغازي ، و الأخبار ، و الأنساب ، و الشعر و اللغة.

فراجت الكتابة و انتشرت لتوفر و سائلها و تيسر الحصول عليها ، و أخذ الخط العربي يستكمل مقوماته ، لكن مع هذا ما زالت الرواية الشفوية هي القناة الأولى و التي تمثل الثقافة العربية ، أو قل هي الوعاء الذي تشكلت فيه مكتسبة صبغة علمية ، لأنها تتداول بين العلماء في مجالس علمية ، يحضرها الكثير من طلبة العلم و ما كان يجري فيها من حوار و نقاش و تدوين ، كما أن العلماء الذين اهتموا بالأدب و اللغة ، كانوا يعتمدون على الكتابة إلى جانب الرواية ، كأبي عمرو بن العلاء و الأصمعي و المفضل الضبي و غيرهم ، فكانت الرواية تسير مع التدوين جنبا إلى جنب ، وقد اتخذ الرواة على اختلاف طبقاتهم و تخصصهم منهجا دقيقا متأثرين بمنهج علماء الحديث في الرواية و التدوين من أجل حفظه و توثيقه وإبعاد

المصنوع والنحول عنه ، بعدما كثر الوضع بالنسبة للحديث الشريف و الانتحال في الشعر لأسباب سياسية وقبلية و عرقية و غيرها.

فكان لزاما أن ينبري ثلة من الرواة و العلماء و النقاد مسخرين كل ما أوتوا من خبرة ودراية ، وعلم وجهد لحماية هذا التراث ، و تنقيته من الشوائب التي علقت به ، و تمحيصه و التثبت من صحته ، و من ثمّ تقديمه في صورته الموثقة الصحيحة إلى الأجيال اللاحقة ، و لبلوغ هذه الغاية اعتمدت على منهج تاريخي تحليلي ، فرصدت الرواية الشفوية و تتبعت مراحلها ، و صولا إلى مرحلة التدوين و عليه اعتمدت على المنهج الأول ، و اعتمدت المنهج الثاني في عرض الآراء ومناقشتها و إثرائها . و الحقيقة التي يجب أن نقررها في هذا الصدد هي تقدير الجهود المضنية التي بذلها العلماء و الطرق الوعرة التي سلكوها في رحلاتهم التي كلفتهم جزءا من سني أعمارهم.

و عليه قسمت بحثي هذا إلى مدخل ، و أربعة فصول ، و خاتمة ، و تحدثت في التمهيد عن مكانة الشعر عند العرب في العصر الجاهلي و وظيفته الثقافية الاجتماعية ، ثم تناولت الكتابة و الشفوية في حياة الجاهليين و المراحل المختلفة التي قطعها الخط و صولا إلى القرن الثاني الهجري .

و تناولت في الفصل الأول الرواية الشفوية في العصر الجاهلي ، وكيف كانوا يعتمدون على الذاكرة في الحفاظ على التراث ، الذي يمثل وعيهم الجماعي فالشعر هو ديوانهم ، و لم تكن تدون إلا في نطاق ضيق ، لذا اهتموا بالرواية اهتماما كبيرا ، فكان من الضروري أن أعرّف الرواية و أنواعها (رواية الأشعار– الأنساب – القصص والأخبار).

و خصصنا الفصل الثاني للرواية في صدر الإسلام ، فأشرت إلى رواية القرآن الكريم و تدوينه ، ثم انتقلنا إلى رواية الحديث الشريف و بداية تدوينه و مبرزا دواعي التدوين ومنهج العلماء في روايته والشروط التي وضعوها ، ثم تحدثت عن رواية

الشعر وأشرت إلى موقف الرسول صلى الله عليه و سلم من الشعر ، ثم أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم علي كرم الله وجهه ، ثم السيدة عائشة أم المؤمنين ، و رواة القبائل، و رواة شعر الفتوحات و أخيرا الشعراء الرواة .

أما بالنسبة للفصل الثالث ، فقد تناولت فيه الرواية في العصر الأموي و دواعيها ، وأشرت فيهما إلى أهم الأسباب التي جعلت الرواية تنشط في هذه المرحلة ،كبروز العصبيات و اهتمام الخلفاء بالشعر و روايته ، و حرفة التعليم و كذلك ما يرويه القصاص و الإخباريون و الشعراء الرواة ، و يأتي على رأسهم الفرزدق و سراقة البارقي و غيرهما.

أما بالنسبة للفصل الرابع ، فخصصته للرواية و التدوين في مدرستي البصرة و الكوفة في العصر العباسي ، و الدور الذي قام به كل منهما ، في مجال الحفاظ على تراث العرب و ريادتهما في هذا الميدان ، مشيرا إلى أهم أعلامهما ، إضافة إلى أهم القضايا الأدبية و النقدية أثيرت في عملية التدوين ، و تطرقت إلى أهم أعلام هذه المرحلة كأبي عمرو بن العلاء و الأصمعي .

وأنهيت الموضوع بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج التي خلصت إليها. و كل هذه الجهود المتظافرة ، تكللت بإنشاء مكتبة تراثية ساهت في بناء الحضارة العربية الإسلامية.

و في الختام نتوجه بالشكر إلى الأستاذ المشرف ، و أعضاء اللجنة الموقرة ، التي تحملت عبء القراءة و رصد الأخطاء ، و المجهود الذي بذلته في تقويم هذه الرسالة ،نأمل أن تنال رضاكم ، و الله و لي التوفيق.

أ- مكانة الشعر عند العرب في العصر الجاهلي و وظيفته الثقافية و الاجتماعية:

الشعر من أرفع الفنون وأجلها ، و قد اتخذته الشعوب و الأمم ترجمانا عن آمالها و طموحاتها ، والمعبر عن لسان حالها في حلّها و في ترحالها ،في سلمها و في حربها و إن شئت قلت هو المنهل الذي منه يصدرون و إليه يصيرون في مختلف أحوالهم و نوازعهم ، وقد رافق الأمم في مراحل طفولتها فكان أحسن معبر عن نفائس مكنوناتها وما يعتمل فيها من مشاعر و توثب و آمال ، أو ما يتصل بحياتها من صراع وتنافس من أجل العيش ، لذا كان الشعر أقرب إلى النفس من غيره من الفنون الأخرى و أعلق بها وأكثر تجاوبا و تعبيرا.

أما بالنسبة إلى العرب فالأمر لا يحتاج منّا إلى كبير جهد ، فكل الشواهد توصلك إلى القول: «الشعر ديوان العربٌ». فهذا ابن قتيبة يقول:« الشعر معدن علم العرب وسفر حكمتها ، وديوان أخبارها و مستودع أيّامها ، والسور المضروب على مآثرها ، والخندق المحجوز على مفاخرها و الشاهد العدل على النفار ، و الحجّة القاطعة عند الخصام ، ومن لم يقم عندهم على شرفه و ما يدّعيه لسلفه من المناقب الكريمة الفعال الحميد بيت منه شذّت مساعيه وإن كانت مهجورة ، ودرست على مرور الأيّام إن كانت جساما ، ومن قيّدها بقوافي الشعر ، أوثقها بأوزانه أشهرها بالبيت النادر ، والمثل السائر والمعنى اللطيف ، و أخلدها على الدهر و أخلصها من الجحد ، و رفع عنها كيد العدوّ و عضّ عين الحسود». (1)

إنّ الشاعر هو لسان القبيلة ،وحامي الحمى ،والمدافع عن الأحساب ، و المخلد للآثار ، و المسجل للأيّام ، به تتفاخر القبائل و تقيم الأفراح وتأتيها القبائل مهنّئة و في هذا يقول ابن رشيق القيرواني:« كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها ـــــ

(1) عيون الأخبار ، ابن قتيبة الدينوري ، بيروت ، لبنان: دار الكتاب العربي ، 1925، 185/2.

شاعر أتت القبائل فهنّأتها ، وصنعت الأطعمة ، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر،كما يصنعون في الأعراس ، و يتباشر الرجال و الولدان ، لأنه حماية لأعراضهم ، وذبّ عن

أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، و إشادة بذكرهم . كانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد ، أو شاعر نبغ فيهم أو فرس تنتج» .(1)

وكانت القبائل العربية شديدة الاهتمام بشعرائها وخطبائها و فرسانها، فإذا سألت عن قبيلة كان الجواب عن هؤلاء الثلاثة،وكان الشاعر يفضل الخطيب على حد قول الجاحظ:«وكان الشاعر أرفع قدرا من الخطيب، وهم إليه أحوج،للردّ عن مآثرهم و تذكيرهم بأيّاهم».(2)وما كان هذا إلاّ لأنّ الشعر ذو تأثير قويّ في النفوس فالعربيّ تهزّه الكلمة و تأثر فيه أيّما تأثير ، فيتجاوب معها وينقاد إليها بكل ما

أوتي ، في السلم و في النفار، وقد وهب الله العرب الفصاحة و البلاغة ،فكانوا فرسانها المغاوير، يصدرون عن سليقة لاعن تكلف ، و وهبهم ذوقا رفيعا و مشاعر مرهفة ، وكانت لغتهم طيّعة ثرية لتنوع أساليبها وكثرة مجازاتها من كناية و استعارة وتشبيه وما إلى ذلك ، فما من فكرة أو خاطر يجول في خلده إلا وأخرجه في أحسن صورة وفي أبهى حلّة ، وتنقاد إليه القوافي في سلاسة ويسر، والطبيعة من حوله تطوي صفحاتها أمامه، فهي مصدر إلهامه و مورد معرفته ،فهي على شساعتها وامتدادها أكسبت خياله اتساعا وثراء ، وزرعت فيه قيما آمن بها و أخذ يتمثلها في حياته أحسن تمثيل . و كان الشاعر عند العرب الحكم الذي ترضى حكومته والسلطان الذي يؤتمر بأمره ، وتخضع الأعناق لما يصدره ، وتأخذ بما يدعيه و ما يقوله ، فإذا شردت كلمة من شفتيه طارت في الآفاق ، و تلقفتها الألسنة وتناقلتها

ولا يمكن ردها بحال من الأحوال ، فهذا كعب بن جعيل يردد في أسف وحسرة

---

(1) العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط1 ، بيروت لبنان: دار و مكتبة الهلال،1.1997/ 109 ، ينظر المزهر ، 473/2.

(2) البيان والتبيين ، الجاحظ ، حققه عبد السلام هارون ، ط 7، القاهرة : مكتبة الخانجي ،1998 ،83/4.

بعد أن هجا عشيرته [الرجز] :

نَدِمْتُ عَلَى شَتْمِ العَشِيرَةِ بَعْدَمَا مَضَى و اسْتَتَبَ لِلْرُّوَاةِ مَذَاهِبُهْ

فَأَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ رَدًّا لِمَا مَضَى كَمَا لَا يُرَدُّ الدُّرَّ فِي الضَرْعِ حَالِبُهْ (1)

ومما يروى في من رفعهم الشعر بعد خمول المحلق ، وذلك أن الأعشى قدم مكة و تسامع الناس به وكانت للمحلق امرأة عاقلة وقيل :بل أم ، فقالت له : إن الأعشى قدم وهو رجل مفوّه ، مجدود في الشعر ، ما مدح أحدا إلا رفعه ، ولا هجا أحدا إلا وضعه ، وأنت رجل كما علمت فقير خامل الذكر ذو بنات وعندنا لقحة نعيش بها، فلو سبقت الناس إليه فدعوته على الضيافة ونحرت له واحتلت لك فيما تشتري به شرابا يتعاطاه ، لرجوت لك حسن العاقبة ، فسبق إليه المحلق ، فأنزله و نحر له ، و وجد المرأة قد خبزت خبزا وأخرجت نحيا فيه سمن وجاءت بوطب لبن ، فلما أكل الأعشى و أصحابه ، و كان في عصابة قيسية ، قدم إليه الشراب ، و اشتوى له من كبد الناقة وأطعمه من أطايبها فلما جرى فيه الشراب ، وأخذت منه الكأس سأله عن حاله و عياله فعرف البؤس في كلامه ، وذكر البنات ، فقال الأعشى : كفيت أمرهن ، وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته [الطويل] :

أَرِقْتُ وَ مَا هَذَا السُّهَادُ المُؤَرِّقُ وَ مَا بِي مِنْ سُقْمٍ وَ مَا بِيَ مَعْشَقُ

ورأى المحلق اجتماع الناس ، فوقف يستمع ، وهو لا يدري أين يريد الأعشى بقوله ، إلى أن سمع [الطويل]:

تَرَى القَوْمَ فِيهَا شَارِعِينَ ، وَبَيْنَهُمْ مَعَ القَوْمِ ِولْدَانٌ مِنَ النَّسْلِ دَرْدَقُ

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تُحَرِّقُ

تُشَبُّ لِمَقْرُورِينَ يَصْطَلِيَانِهَا وَ بَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالمُحَلِّقُ(2)

---

(1) الشعر و الشعراء ، ابن قتيبة،حققه مفيد قميحة، ط 2 ، بيروت لبنان:دار الكتب العلمية ، 2005 ،ص:395.

(2) الديوان ، الأعشى ميمون بن قيس ، دون ط ، حققه محمد حسين ، مصر : المطبعة النموذجية ، 1950.

فما أتم القصيدة إلا والناس ينسلون إلى المحلق يهنئونه والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جريا يخطبون بناته ، لمكان شعر الأعشى.(1)

وقصة الحطيئة مع بني أنف الناقة مشهورة الذين كانوا يفرقون من هذا الاسم حتى إن الرجل منهم يسأل : ممن هو ؟ فيقول: من بني قريع ، فيتجاوز جعفرا أنف الناقة بن قريع بن عوف بن مالك، إلى أن قال الحطيئة [البسيط] :

سِيرِي أُمَامُ فَإِنَّ الأَكْثَرِينَ حَصًا وَ الأَكْرَمِينَ إِذَا مَا يُنْسَبُونَ أَبَا

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ وَالأَذْنَابُ غَيْرُهمُ وَ مَنْ يُسَاوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبَا

فصاروا يتطاولون بهذا النسب و يمدون به أصواتهم في جهارة .(2)

والروايات كثيرة لا يحصيها عدّ كلها تشير بوضوح كبير مكانة الشعر والشاعر عند العرب ، فهذه قبيلة تغلب كثيرا ما تردد قصيدة شاعرها الهمام عمرو بن كلثوم يحفظها الكبير كما يحفظها الصغير ، حتى قيل فيهم [البسيط] :

أَلْهَى بَنِي تَغْلِبَ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ قَصِيدَةً قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كَلْثُومِ

يَرْوُونَهَا أَبَدًا مُذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ يَا لَلرِّجَالِ لِشِعْرٍ غَيْرِ مَسؤُومِ! (3)

و من شدة ولعهم بالشعر ، أنهم علقوه على أستار الكعبة ،و إن كانت هذه القضية بين أخذ و رد بين الدارسين ، لكن يكفينا أنها تؤيد شواهد كثيرة .

يروى عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال:« كانت الشعراء عند العرب في الجاهلية بمنزلة الأنبياء في الأمم حتى خالطهم أهل الحضر ، فاكتسبوا بالشعر فنزلوا عن رتبهم» .(4) كما لقبوا الشاعر بالحكيم و العالم والساحر وهي صفات تعكس المجد و العقل والتأثير.

---

(1) العمدة ، 77/1، 78.

(2) المصدر نفسه ، 80/1.

(3) الشعر و الشعراء ، ص:128 ، البيان و التبيين ، 41/4.

(4) الزينة في الألفاظ الإسلامية، الرازي أحمد بن حمدان، حققه حسين بن فيض الله ،ط1،صنعاء: مركز الدراسات و البحوث اليمني،1994،ص 105.

ب – الكتابة و الشفوية في الحياة الجاهليين:

الأمّة العربية أمة معروفة بأميّتها ، فأغلب العرب كما هو معروف لا عهد لهم بالكتابة إلا في حدود ضيقة و في هذا يقول ابن خلدون في مقدمته:«وقد قدمنا أن هذا شأنها و أنها تابعة للعمران، و لهذا نجد أكثر البدو أميين لا يكتبون و لا يقرأون،ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصرا و قراءته غير نافذة». (1) لأنّها مظهر من مظاهر الحضارة و التطور ، وأكثر العرب بدو لا يعرفون القراءة والكتابة ، وإن كان للأميّة عدة دلالات ، منها ما أشرنا إليه آنفا ،ومنها ما يعني عدم وجود كتاب يرجعون إليه كما عهد عند اليهود و النصارى و على حسب بعض المفسرين للعديد من الآيات القرآنية الكريمة ، التي ورد فيها ذكر لفظ الأميّة كابن هشام والطبري على سبيل المثال .

للخط العربي تاريخ طويل يمتد إلى عهود سحيقة ، إذ عرف قبل الأبجدية التي عثر عليها في أوغاريت (رأس شمرا) بآلاف السنين والتي تعد من أتم الأبجديات إضافة ، إلى أبجدية سيناء و أبجدية جبيل. (2)

وقد تعددت الروايات واختلفت في الوصول إلى تحديد أصل الخط العربي بين العرب القدامى والمحدثين و آراء المستشرقين ، فتشكلت نظريات تعتمد فيما تعتمد على أسس دينية و أسطورية ، ونبدأ بما ذكره الإخباريون من أن الخط العربي توقيف من الله عز وجل ، و أول من كتب الكتاب العربي والسرياني و الكتب كلها آدم عليه السلام كتبها في طين وطبخه،فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه ،فأصاب إسماعيل عليه السلام الكتاب العربي.(3)

---

(1) المقدمة ، ابن خلدون عبد الرحمن ط 9 ، بيروت: دار الكتب العلمية ، 2006 ، ص:329 .

(2) رحلة الخط العربي ، شوحان أحمد ، دمشق ، سوريا: منشورات اتحاد الكتاب العرب،2001 . ص: 16 .

(3) المزهر في علوم اللغة ، السيوطي جلال الدين ،تحقيق: محمد جاد المولى و آخرون ، صيدا،بيروت:المكتبة العصرية ، 2 /341.

و أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالقَلَمِ هُوَ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ**»(1).

والرأي الآخر يقول أن من وضع الخط العربي على قول الكلبي:« أول من وضع ذلك قوم من العرب العاربة نزلوا في عدنان بن أد و أسماؤهم : أبو جاد ، هوّاز حطي كلمن ، سعفص ، قرشت ،هذا من خط ابن الكوفي بهذا الشكل الإعراب ، فوضعوا الكتاب على أسمائهم ، ثم وجدوا بعد ذلك حروفا ليست من أسمائهم و هي : الثاء و الخاء والذال و الظاء و الشين و الغين فسموها «الروادف» ، وقال كعب: « أنا أبرأ إلى الله من قوله: إن أول من وضع الكتابة العربية والفارسية وغيرها من الكتابات آدم عليه السلام » .

وقال ابن عباس:« أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان سكنوا الأنبار و أنهم اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة و موصولة و هم : مرامر بن مرة ، أسلم بن سدرة و عامر بن جدرة » (2).

و من الروايات التي تعضد القول أن أصل الكتابة الأنباري قول ابن خلدون: « ورأيت في كتاب التكملة لابن الأبّار عند التعريف بابن فروخ عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ،عن أبيه قال:« قلت لعبد الله بن عباس: يا معشر قريش !خبّروني عن هذا الكتاب العربي ، هل كنتم تكتبونه قبل أن يبعث الله محمّدا صلى الله عليه وسلم ، تجمعون ما اجتمع وتفرقون منه ما افترق ، مثل الألف و اللام ،و الميم و النون ؟ قال : نعم ،قلت : وممّن أخذتموه ؟ قال : من حرب بن أمية. قلت: و ممّن أخذه حرب ؟ قال : من عبد الله بن جدعان .قلت : و ممّن أخذه عبد الله بن جدعان ؟ قال من أهل الأنبار. قلت : وممّن أخذه أهل الأنبار؟ من طارئ طرأ

---

(1) المزهر في علوم اللغة ، ص : 343/2 .

(2) الفهرست ، ابن النديم أبي يعقوب تحقيق رضا تجدد ، طهران ، 1971.

عليهم من أهل اليمن. قلت: وممّن أخذه ذلك الطارئ؟ قال: من الخلجان بن القسم كاتب الوحي لهود النبي عليه السلام ، وهو الذي يقول[الطويل] :

أَفِي كُلِّ سُنَّةٍ تُحْدِثُونَـهَا وَ رَأْيٍ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ يُعَبَّرُ

وَ لِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ تَسُبُّنَا بِهَا جُرْهُمُ فِيمَنْ يُسَبُّ وَحِمْيَرُ(1)

و يضيف ابن خلدون أن الخط العربي بالغا مبالغه من الإحكام و الإتقان و الجودة في دولة التبابعة ولما بلغت من الحضارة و الترف ، وهو المسمى بالخط الحميري.

ويمكننا أن نضيف ما جاء في المزهر:« وقال ابن دريد في آماليه : أخبرني السكن بن سعيد بن محمد بن عباد عن ابن الكلبي عن عوانة قال: أول من كتب بخطنا هذا وهو الجزم (أي الخط المشتق من قلم المسند الحميري) مرامر بن مرّة و أسلم بن جدرة الطائيان ، ثم علموه أهل الأنبار فتعلّمه بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك الكندي صاحب دومة الجندل ، وخرج إلى مكة ، فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان ، فعلّم جماعة من أهل مكّة، فلذلك كثر من يكتب بمكّة من قريش، فقال رجل من أهل دومة الجندل من كندة يمنّ على قريش بذلك[الطويل] :

لاَ تَجْحَدُوا نَعْمَاءَ بِشْرٍ عَلَيْكُمُو فَقَدْ كَانَ مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ أَزْهَرَا

أَتَاكُمْ بِخَطِ الجَزْمِ حَتَّى حَفِظْتُمُو مِنَ المَالِ مَا قَدْ كَانَ شَتَّى مُبَعْثَرَا

وَ أَتْقَنْتُمُو مَا كَانَ بِالمَالِ مُهْمَلًا وَ طَامَنْتُمُو مَا كَانَ مِنْهُ مُنَفِّرَا

فَأَجْرَيْتُمُ الأَقْلاَمَ عَوْدًا وَ بَدْأَةً وَ ضَاهَيْتُمُو كُتَّابَ كِسْرَى وَ قَيْصَرَا

وَأَغْنَيْتُمُو عَنْ مُسْنَدِ الحَيِّ حِمْيَرُ وَ مَا زَبَرَتْ فِي الصُّحُفِ أَقْيَال حمْيَرَا (2)

انطلاقا ممّا سبق ذكره ،نجد أن القدامى يرون أن الخط العربي مقتطع من المسند الحميري ، والذي أخذه الحميريون عن الفينيقيين و أدخلوا عليه شيئا من التنقيح

---

(1) المقدمة ، ابن خلدون عبد الرحمن ، ص: 329،330.

(2) المزهر في علوم اللغة ، السيوطي ، 2/ 346،347.

والتحوير وسمي بالخط المسند أو الحميري. و رأي المحدثين يباين رأي القدامى فهم يرفضون مقولة سابقيهم التي ترى أن الخط العربي مقتطع من المسند ،وقد اتكأوا على عدة أدلة منها:

– أن حروف الخط الحميري تكتب منفصلة وهي تختلف في أشكالها عن أشكال الحروف العربية ، وليس هناك تشابه إلاّ في حرف الراء .

– و إن اتجاه الكتابة في المسند لم تلتزم اتجاها واحدا كالعربية من اليمين إلى اليسار.

ويرى فريق من المستشرقين أن الخط العربي مستند إلى أصول سريانية لتشابه شكل الحروف و ترتيبها في السريانية و العربية ، و لأن المسيحية قد انتشرت في المنطقة في القرن الثالث الميلادي ، و أن الكنيسة المسيحية قد فسحت المجال لأتباعها من الشعوب المختلفة في استعمال لغتهم الأصلية في الطقوس الكنسية. و أن هناك تشابه بين القلم الكوفي و القلم السطرجيلي(*) و هو ضرب من خطوط القلم السرياني ، فالقلم السرياني معروف لدى العرب منذ فجر الإسلام وكان منتشرا بين الناس ، وكلا القلمين ينحدران من أصل واحد ، وهو الخط الآرامي الذي تحدر منه الخط السرياني و النبطي ومن النبطي تحدر الخط العربي(1)

كتب كتبة الوحي بقلم أهل مكّة لنزول الوحي بينهم ، وصار قلم مكّة هو القلم الرسمي للمسلمين وحكم على المسند بالموت ، فمات و نسيّه العرب إلى أن بعثه المستشرقون فأعادوه إلى الوجود مرة أخرى.(2) ولما انتشر الإسلام و دخلت أمم ـــ

* السطرجلي هو أحد الأقلام السوريانية و أجلها و أحسنها و يقال له الخط الثقيل،ينظر الفهرست ص:14.

(1) الخط والكتابة في الحضارة العربية ، الجبوري يحيى وهيب ، ط 1 ، بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي 1994 ص: 21.

(2) المفصل في تاريخ العرب ،جواد علي ، ط 2 ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ، 1993 ، 8/ 153.

بعض الحوادث منها أن أبا الأسود سمع قارئا يتلو الآية الكريمة: ﴿ **إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَ رَسُولَهُ** ﴾ بجر رسوله ، فقال : ما ظننت أمر الناس يصل إلى ذلك

فاستأذن زياد بن أبيه ، في أن يضع للناس رسم العربية ، و فيه روايات أخرى غير هذه . فوضع أول نقط يحرر حركات أواخر الكلمات في القرآن الكريم بأمر من زياد بن أبيه و ابنه عبيد الله .(1)

ثم واصل تلميذاه نصر ابن عاصم الليثي(ت89هـ) ، و يحيى بن يعمر العدواني(ت129هـ) بإعجام حروف المصحف لتمييز الحروف عن بعضها البعض بأمر من الحجاج بن يوسف (74-95هـ) والي العراق بعد أن ظهر التصحيف و التحريف في تلك الفترة و شاع بين الناس.

وبذلك المجهود الكبير استطاعوا أن يحفظوا القرآن الكريم من اللحن عند تلاوته. و قد اتبع بنوا أمية ما قام به أبو الأسود ، و من بعده نصر بن عاصم و يحيى بن يعمر العدواني في الشكل و الإعجام ، و في دولة بني العباس مال الناس إلى أن يجعلوا الشكل بنفس مداد الكتابة تسهيلا للأمر لأنه لا يتيسر للكاتب وقت أن يجد لونين من المداد فوقف في سبيلهم اختلاط الشكل بالإعجام لأن كلا منهما بالنقط و رأوا أنه لابد من إصلاح ثالث إما بتغير طريقة الشكل و إما بتغيير طريقة الإعجام ، فوضع الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت170هـ)-وكان أوسع الناس علما بالعربية – طريقة أخرى للشكل و هي التي عليها الناس الآن ، فكان مجموع ما وضعه الخليل ثماني علامات:الفتحة ، الضمة ، الكسرة السكون الشدة ، المدة ، الصلة و الهمزة و كلها حروف صغيرة أو أبعاض حروف بينها و بين مدلولاتها مناسبة ظاهرة ، بخلاف علامات أبي الأسود و أتباعه .

و بهذه الطريقة أمكن الجمع بين الكتابة و الإعجام و الشكل بلون واحد

---

(1) المدارس النحوية ، ضيف شوقي ، ط7، مصر: دار المعارف ، 1968، ص: 16.

و استعمل الخليل هذه الطريقة في كتب اللغة و الأدب دون القرآن الكريم حرصا على كرامة أبي الأسود و أتباعه و اتقاء لتهمة البدعة في الدين.(1)

و سبق و أشرنا أن العرب كانوا يكتبون على ورق البردي المجلوب من مصر وعلى الجلود و اللخاف و العسب و الكرانيف و الرقاع و عظام الأكتاف ، وبدأ ظهور الورق زمن معاوية بن أبي سفيان و كثر زمن الرشيد الذي أدخل صناعة الورق إلى بغداد في نهاية القرن الثاني الهجري و يرجع الفضل في ذلك إلى الفضل بن يحيى البرمكي (ت193هـ) (*) وزير الرشيد الذي أنشأ أول معمل لصنع الورق في بغداد في الربع الأخير من القرن الثاني ، و قد انتشر الورق في بغداد و حل محل الرق في دواوين الدولة ، أمر هارون الرشيد باستعمال الورق مكان الرق و في ذلك يقول القلقشندي: « و أجمع رأي الصحابة على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه أو لأنه الموجود عندهم حينئذ ، وبقي الناس على ذلك إلى أن ولي الرشيد الخلافة و قد كثر الورق و فشا عمله بين الناس ، أمر أن لا يكتب الناس إلا في الكاغد ، لأن الجلود و غيرها تقبل المحو و الإعادة فتقبل التزوير ، بخلاف الورق فإنه متى محي منه فسد ، و إن كشط ظهر كشطه و كشف زيفه و فساده . و انتشرت الكتابة في الورق على سائر الأقطار و تعاطاها من قرب و بعد واستمر الناس على ذلك حتى الآن».(2)

---

* يحي البرمكي سيد بني برمك ، مؤدب الرشيد و معلمه اشتهر بجوده و حسن سياسته ، سجنه الرشيد في الرقة إلى أن مات فيما يعرف في التاريخ بنكبة البرامكة ، و قال فيه : مات أعقل الناس و أكملهم ، ينظر الزركلي

(1) تاريخ الخط العربي و آدابه ، الكردي محمد طاهر بن عبد القادر ،ط1 ، مصر : مكتبة الهلال 1939،ص:82.

(2) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القلقشندي أبو العباس أحمد ، مصر : المطبعة الأميرية ، 1913 .476،475/2

الفصـل الأول:

الرواية الشفوية في العصر الجاهلي :

أ- مفهوم الرواية : لغة و اصطلاحا

ب- أنواع الرواية :

1- رواية الأشعار

2- رواية الأنساب

3- رواية الأخبار و الأيام و القصص

أ– مفهوم الرواية :

الرواية بمفهومها اللغوي تعني السقاية ، يقال رويت على أهلي و لأهلي إذا أتيتهم بالماء وروّيت القوم أرويهم ، إذا سقيت لهم الماء. وروّيته الشعر حملته على روايته . وتقول: أنشد القصيدة يا هذا ، و لا تقل اروها، إلا أن تأمره بروايتها،أي استظهارها.و الراوية البعير أو البغل أو الحمار الذي يسقى عليه (1). روى ثعلب عن ابن الأعرابي : يقال لسادة القوم : الروايا ، قلت وهي جمع راوية شبّه السيد الذي تحمّل ديات عن الحي بالبعير الراوية ومنه قول الراعي:

إِذَا نُدِبَتْ رَوَايَا الثِّقْلِ يَوْمًا كَفَيْنَا المُضْلِعَاتِ لِمَنْ يَلِينَا

أراد بـ : روايا الثقل حوامل ثقل الديات . و المضلعات : التي تثقل من حملها . يقول : إذا ندب للديات المضلعة حمّالوها كنّا نحن المجيبين لحملها عمن يلينا من دوننا.(2) ومن خلال ما سبق يمكن أن نصل إلى نتيجة مفادها أن الرواية معناها الحمل والاستظهار و هما عنصرا الرواية ، فأطلق مجازا على حامل الشعر و الأنساب و القراءات و الحديث واللغة ، و القصص و الغزوات إلى غير ذلك تحت شرط الاستظهار راوية . فقالوا فلان راوية للأدب و الشعر ، و راو للحديث . وراوية الشعر في الجاهلية هو من يحمل شعر الشاعر وينقله و يذيعه قال النابغة الذبياني [الوافر]:

أَلِكْنِي يَا عُيَيْنَ إِلَيْكَ قَوْلًا سَتَهْدِيهِ الرُّوَاةُ إِلَيْكَ عَنِّي(3)

---

(1) لسان العرب ، ابن منظور ، ط 3 ، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي، لبنان:دار إحياء التراث ، 1999 ، 380/5.

(2) تهذيب اللغة ، الأزهري محمد بن أحمد ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصر:دار القومية العربية ، مادة :روى ،15 317/1964.

(3) الديوان ، النابغة الذبياني ، ط 2 ، تحقيق حمو طماس ، بيروت: دار المعرفة ، 2005 ، ص: 123.

و جاء في كتاب البيان و التبيين:« و من هذا الشكل الراوية ، و الراوية هو الجمل نفسه ، وهو حامل المزادة ، فسميت المزادة باسم حامل المزادة ، ولهذا المعنى سموا حامل الشعر راوية ».(1)

وقال عميرة بن جعل وكان هجا قومه[الطويل] :

نَدِمْتُ عَلَى شَتْمِ العَشِيرَةِ بَعْدَمَا مَضَتْ وَ اسْتَتَبَّتْ لِلْرُّوَاةِ مَذَاهِبُهْ

فَأَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ دَفْعًا لِمَا مَضَى كَمَا لَا يُرَدُّ الدُّرَّ فِي الضَرْعِ حَالِبُهْ(2)

و في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت:« تروّوا شعر حجيّة بن المضرّب فإنه يعين على البرّ ، وقد رواني إياه ،و رجل راو، و قال الفرزدق:[الطويل]

أَمَا كَانَ فِي مَعْدَانَ وَ الفِيلُ شَاغِلٌ لِعَنْبَسةَ الرَّاوِي عَلَيَّ القَصَائِدَا(3)

و لما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا : « أوص يا أبا مليكة فقال: ويل للشعر من الرواة السوء».(4) فلما أصلت أصول علم الحديث و ارسيت قواعده و عني فيه بالإسناد ، و تصدر المحدثون للتحديث في مجالس العلم من حفظهم و صار يطلق عليهم أيضا الراوية ، فصرنا نجد المحدثين ، و في أواخر القرن الثاني رواة كما كان للشعراء رواة.

وقد مرّ الحمل بمرحلتين:الأولى خاصة بالشعر وحده وتعني مجرد حمله ونقله و إنشاده،واستمر هذا حتى آخر القرن الأول وبداية القرن الثاني.

ثم دخلت المرحلة الثانية ، و هو ما يطلق عليه الرواية العلمية التي تجاوزت الحمل و النقل والإنشاد ، إلى الضبط و الإتقان ، و التحقيق والتمحيص ، والشرح والتفسير والإسناد.

---

(1) البيان و التبيين ، 333/1.

(2) الشعر و الشعراء ، 395.

(3) لسان العرب ، مادة روى ، 382/5.

(4) الشعر و الشعراء ، ص:219.

ب- أنواع الرواية :

1- رواية الشعر:

عرفنا آنفا أن العرب عرفوا القراءة والكتابة ، وهذا أمر مسلم به تقريبا لأن أغلب الشواهد تدعم هذه المقولة ، لكن في حدود ضيقة ، لأن وضعهم الاجتماعي لا يسمح لهم بذلك اللهم إلا ما كان من العهود والمواثيق ، التي تستوجب تدوينها للاحتفاظ بها كلما استدعى الأمر ذلك.وسنسرد بعض الشواهد التي نراها تجعلنا أكثر اطمئنانا إلى هذا الطرح،ونبدأ بالقرآن الكريم يقول عز و جلّ:﴿ **يَا أَيُّهَا الذْينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ لَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا..**﴾(1) كما أقسم الله عز وجل بأداة الكتابة في قوله:﴿**ن وَالْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ**﴾(2)

والدليل الثاني هو الشعر العربي نفسه ، فهذا المرقش الأكبر يقول [السريع] :

الدَّارَ قَفْرٌ وَ الرُّسُومُ كَمَا رَقْشَ فِي ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَمُ(3)

وقول امرئ القيس بن حجر الكندي [الطويل]:

لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زَبُورٍ فِي العَسِيبِ اليَمَانِي(4)

و بعد أن وقفنا على الكتابة و أدواتها يجدر بنا أن نقف على أنواع الرواية نبدؤها برواية الشعر أولا و إن كان هذا التقسيم منهجيا أكثر منه واقعيا،لأن الرواية كانت تضم الشعر والأخبار و الأيام والقصص، وإنك تجد الراوي يجمع بينها أو بين معظمها ، لأنها كانت هي القناة الوحيدة تقريبا المعتمدة في تلك المرحلة

---

(1) سورة البقرة :الآية :282.

(2) سورة القلم :الآية :1.

(3) البيان و التبيين ، الجاحظ ، 375/1.

(4) الديوان ، امرؤ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ط 5، مصر: دار المعارف ، 1958،ص: 158.

فالثقافة الشفوية كانت هي السائدة . يقول الرافعي:« كان العرب أمة أمية لا يقرأون إلا ما تخطه الطبيعة ، ولا يكتبون إلا ما يلقنون من معانيها فيأخذون عنها بالحس ، ويكتبون باللسان في لوح الحافظة ، فكان كل عربي على مقدار وعيه و حفظه كتابا ، أو جزءا من كتاب ، كانت كل قبيلة بذلك كأنها سجل زمني في إحصاء الأخبار والآثار».(1)

وكان الشعراء أنفسهم هم الطبقة المحترفة الأولى التي تروي الشعر ،فمن التقاليد السائدة في العصر الجاهلي والتي لا محيص عنها هي: التلمذة على يد شاعر فحل مشهور ، فعلى الطالب الموهوب أن يلزم أستاذه و يروي شعره و يذيعه بين أفراد القبيلة و في نواديها إلى أن يتمرس على الكلام الجيد و يتحكم فيه ،ويمتلك ناصية البيان ،فيجري الشعر على لسانه في عذوبة ورقة ،يستهوي القلوب و يطرب الأسماع ، وهذا الأمر يعتبر حدثا عظيما بالنسبة إلى القبيلة، إذ تقيم الأفراح و تصنع الأطعمة و تأتي القبائل مهنئة لأنه حامي الديار ، الذاب عن الحسب والشرف – كما جاء في العمدة – ولدينا الكثير من الروايات التي تشير إلى اتصال الرواية ،إذ هناك ما يشبه المدرسة يقول القاضي الجرجاني:« وقد كانت العرب تروي وتحفظ ، ويعرف بعضها برواية شعر بعض ،كما قيل : إن

زهيرا كان راوية أوس ، و إن الحطيئة راوية زهير ،وإن أبا ذؤيب راوية ساعدة

زهيرا كان راوية أوس ، و إن الحطيئة راوية زهير ،وإن أبا ذؤيب راوية ساعدة

بن جؤية ،فبلغ هؤلاء في الشعر حيث تراهم ، وكان عبيد راوية الأعشى (2).

وكانت بعض البيوت العربية تخرج منها شعراء معروفون كما يروي صاحب كتاب الأغاني عن زهير بن أبي سلمى ، فزهير كان شاعرا وخاله بشامة بن

---

(1) تاريخ آداب العرب ، الرافعي مصطفى صادق ، ط 1 ، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية ، 2000 ،27/1 .

(2) الوساطة ، الجرجاني القاضي ، تحقيق محمد أبو الفضل و علي محمد البجاوي،بيروت: منشورات المكتبة العصرية،1966ص: 16.

الغدير شاعرا و أخته سلمى شاعرة ، ابناه كعب و بجير شاعران ، و أخته الخنساء شاعرة ، و ابن عمه المضرب بن كعب بن زهير شاعران و ، كان لزهير ابن يقال له سالم حسن الشعر أيضا ، وقد يكون الراوية غريبا عن القبيلة فالحطيئة عبسي من مضر ، و هدبة عذري من حمير ، ويصبح دور الراوي أكثر أهمية بعد وفاة الشاعر ، لأنه يتعدى مهمة نشر القصائد إلى جمعها ، و إظهار الظروف و المناسبات التي أوحت بها ، وتفسير الإشارات التاريخية التي تتضمنها ويصبح بحكم الواقع أمينا على تراث حياة صاحبه ،ومناط اهتمام القبيلة التي ينسب إليها .(1)

وكانت يجمع بين الشاعر و راويته علاقة قوية الأواصر ، كيف لا وهو أستاذه الذي إليه يؤول و عنه يأخذ صناعة الكلام و فن القول ، فيجد نفسه مطالبا بالوفاء الإخلاص له ، يروي شعره ويدافع عنه في الأندية و المناسبات المختلفة ويذيعه على أوسع نطاق ممكن ، و بالمقابل يدرك الشاعر مكانته و قيمة شعره إذ أنه قدّم له أغلى ما يملك و أعز شيء يمكن للإنسان أن يهديه، وما يؤكد هذا ما يروى عن بشامة بن الغدير حين قسم ثروته على أهله دون أن يعطي لزهير شيئا ،فوجد زهير موجدة في نفسه فقال:« يا خالاه ، لو قسمت لي من مالك ؟

فقال : والله يا بن أخي لقد قسمت لك أفضل ذلك و أجزله .

قال : ما هو ؟. شعري ورثتنيه .

فقال زهير : شيء ما قلته ، فكيف تعتد به عليّ ؟

فقال له بشامة بن الغدير ساخرا: ومن أين جئت بهذا الشعر ، لعلك ترى أنك جئت به من مزينة وقد علمت العرب أن حصاتها و عين مائها في الشعر لهذا

---

(1) دراسة في مصادر الأدب ، الطاهر أحمد مكي ، ط 8، القاهرة : دار الفكر العربي، 1999، ص: 13 .

الحي من غطفان ، ثم لي منهم ، وقد رويته عني ».(1) أما الطبقة الثانية فتتمثل في رواة الشعر و هي فئة لم تنل حظا كبيرا،وما وصلنا من الأسماء قليل وحتى هذه القلة يشوبها الكثير من الغموض ذلك في معرض حديثهم عن رواة الأعشى لم يذكر إلا ثلاثة أسماء وقد وصل بها الدكتور ناصر الدين الأسد إلى اسم واحد بعد التمحيص ، وكان نصرانيا اسمه الأصلي يوهانس أو يوحنا ، ثم مر هذا الاسم بأطوار الترجمة و التعريب فأصابه التحريف و أصبح ثلاثة أسماء: عبيد يونس ، يحيى ، فنحن إذن نرجح ، لما فصلناه من وجوه الرأي أن هذه الأسماء الثلاثة المختلفة في ظاهرها ،ليست إلا اسما واحدا في حقيقتها يدل على راوية واحد يعينه.(2) أما بالنسبة للدكتور شوقي ضيف فإنه يرى أن الرواة ينقسمون إلى قسمين :قسم تخصص في رواية شعر المعاصرين ، وقسم تخصص في رواية الشعر الجاهلي إذ يقول:« فمنهم من يتخصص برواية شعر المعاصرين ومنهم من تخصص برواية الشعر الجاهلي كيونس بن متّى راوية الأعشى». (3)أما الطبقة الثالثة فهم رواة القبيلة ، وهذا الأمر متعلق كل التعلق بمكانة الشاعر في القبيلة فأفراد القبيلة يروون أشعار شعرائها ، لأنه يرفع من شأنها بين القبائل فقبيلة تغلب أخذت تردد قصيدة شاعرها عمرو بن كلثوم حتى أخذ عليهم خصومهم هذا التكرار و الغلو فيه.و رواية القبيلة لا تجري على نسق واحد كما يشير إلى ذلك الدكتور الطاهر أحمد المكي و إنما ترتبط بأعمار أفراد القبيلة و أمزجتهم، يحفظ منه الشباب ما كان غزلا يمس العواطف ، ويردد الرجال ما كان حماسة تلهب المشاعر و يتمثل الشيوخ ما كان حكمة ترضى العقل .(4)

---

(1) الأعراب الرواة ، الشلقاني عبد الحميد ، مصر : دار المعارف ، ص: 23 .

(2) مصادر الشعر الجاهلي ، الأسد ناصر الدين ، ط 8 ، بيروت: دار الجيل ، 1996، ص: 241 .

(3) العصر الجاهلي ، ضيف شوقي ، ط 22 ، مصر: دار المعارف ، ص: 147.

(4) دراسة في مصادر الأدب ، ص: 13.

2- رواية الأنساب :

لقد عني العرب عناية فائقة برواية أنسابها ،أو قل إن العرب من الأمم القلائل التي منحت هذا الأمر اهتماما كبيرا ، فأقبلوا على حفظها و روايتها على أوسع نطاق ، فالنسب هو الوسيلة التي بربط العرب بعضهم ببعض ، وتقربهم و تشد من أزرهم .

وكثيرا ما كانت الأنساب حصنا منيعا تحتمي به القبائل العربية من الأخطار التي تهددها في مواقف متعددة ، فالحفاظ على النسب ضروري تفرضه الحياة البدوية بما تنطوي عليه من صراع و نزاع و اعتداء و في ذلك يقول ابن خلدون:« و أما أحياء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم و كبرائهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلة . وأما حللهم فإنما يذود عنها من خارج حامية الحيّ من أنجادهم و فتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم ،ولا يصدق دفاعهم و ذيادهم إلا إذا كانوا عصبية و أهل نسب واحد ،لأنهم بذلك تشتد شوكتهم ، و يخشى جانبهم إذ نعرة كل أحد على نسبه وعصبيته أهم ، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة و النعرة على ذوي أرحامهم و قربائهم موجودة في الطبائع البشرية و بها يكون التعاضد و التناصر ، و تعظم رهبة العدو لهم .ومن هذا الباب الولاء والحلف إذ نعرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه للألفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسبها بوجه من وجوه النسب ، وذلك من أجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريبا». (1)

النسب يستتبع رواية أخبار العرب و ما فيه الشاهد على تاريخ من أشعارها فكان كل أولئك علم النسابين.(2)

---

(1) المقدمة ، ص: 102 .

(2) تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، 311/1 .

ومن الشائع عند العرب أن النسب يتعلق بالشرف و المكانة ، فمن صفا نسبه كان أرفع شرفا و أكرم محتدا ، فكانوا يفخرون بأنسابهم و يعددون مفاخر آبائهم ، وكان يحفظ الصغار منهم الأنساب و يرويها كبارهم ، يعرفون طبقاتها و يتفاضلون بها. (1) و هذا المثقب العبدي يقول مفتخرا بشرف نسبه[الرمل]

أَنَا بَيْتِي مِنْ مَعَدٍّ فِي الذُّرَى وَ لِيَ الْهَامَةُ وَ الفَرْعُ الأَشَمّْ(2)

و هذا التقليد لا يقتصر على العرب بل عرف عن الأمم التي عاشت حياة البداوة فاليونان كانوا يرفعون أنساب أبطالهم إلى مصاف الآلهة ، وكانت الأمم السامية تحرص حرصا شديدا على الأنساب ، كما نجد في العهد القديم الذي يتناول نسب بني إسرائيل و جميع الأمم المعروفة في ذلك الوقت ، وكان النسب عند الساميين وسيلة من وسائل الإعلان عن المفاخر ، والتشهير بالمثالب ، ففي سفر التكوين نجد كنعان ينسب إلى سام بن نوح ، ويكون بهذا ذا قرابة إلى بني إسرائيل ، حتى إذا اصطدم اليهود بالكنعانيين في محاولة استقرارهم بفلسطين عادوا و نسبوا كنعان إلى حام الذي باء باللعنة من أبيه نوح ، و قضى عليه بالعبودية وبسواد الوجه ، وهم طبعا ينسون المصريين إلى حام أيضا.(3)

ولم يخرج العرب عن هذا الدأب بل سلكوا الطريق نفسها فقد عملوا على الحفاظ على أنسابهم ونقلوها إلى خلفهم متواترة ينقلها جيل عن جيل، وذلك عن طريق الرواية الشفوية من الجاهلية إلى الإسلام ، وأخذوا يتواصون بالمحافظة عليه وصيانته من النسيان فهذا عمر رضي الله عنه يوصي ابنه كما في جمهرة أشعار العرب:« وأخبرنا المفضل بن أبيه عن جده قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله

---

(1) طرفة الأصحاب ، عمر بن يوسف بن رسول ، تحقيق ،ك،و،سترستين ، بيروت:دار صادر، 1992 ،ص: 3.

(2) المفضليات ، المفضل الضبي ، تحقيق أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون ، ط 6 ، مصر: دار المعارف 1962 ، ص: 294.

(3) الأعراب الرواة ، ص:32.

عنه لابنه عبد الرحمن: يا بني صل رحمك ، و احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك فإنه من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه ، ومن لم يحفظ محاسن الشعر ، لم يؤد حقا ولم يغترف أدبا» . (1)

ويتصل بالحرص على النسب حفظ المآثر ،فلا بد أن تشيع المفاخر و المثالب بينهم ،فكل قبيلة تفتخر وتعتز بما لديها من قوة و منعة و شجاعة على القبائل الأخرى وأن تعرف المثالب لتستعملها وسيلة للحط من أعدائها و النيل منهم ، وينقل ابن رشيق القيرواني عن ابن الكلبي :« قال ابن الكلبي : كان أبي يقول : العدد من تميم في بني سعد ، والبيت في بني دارم ، والفرسان في بني يربوع ، والبيت من قيس في غطفان ، ثم في بني فزارة ، والعدد في بني عامر ، والفرسان في بني سليم ، والعدد من ربيعة في بكر والبيت والفرسان في شيبان». ويروي ابن سلام الجمحي:« كان يقال: إذا كنت من تميم ففاخر بحنظلة ، وكاثر بسعد و حارب بعمرو ، إذا كنت من قيس ففاخر بغطفان ، وكاثر بهوازن وحارب بسليم ، وإذا كنت من بكر ، ففاخر بشيبان ، وكاثر بشيبان ، وحارب بشيبان».(2)

واضطلع بمهمة رواية الأنساب رجال تخصصوا في هذا المجال ،فكانوا يحفظون أسماء القبائل وبطونها و أفخاذها و فصائلها ، وكل قبيلة لها رجل نسابة أو أكثر في غالب الأحيان ، لأن الضرورة تستدعي ذلك و شرف القبيلة يتوقف عليه وكان لهم مكانة و شأن عظيم ، فهم المرجع في النسب وكذلك إذا حدث خلاف في مسألة من مسائله . ومن أشهر النسابين : دغفل السدوسي من بني شيبان ،والذي يقال فيه نتيجة شهرته إلى جانب ابن الكيس النمري[الوافر]:

فَحَكِّمْ دِغْفَلًا وَارْحَلْ إِلَيْهِ وَ لَا تَدْعُ المَطِيَّ مِنَ الكَلَالِ

---

(1)جمهرة أشعار العرب ، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب ، تحقيق ، علي محمد البجاوي ، مصر: مطبعة نهضة مصر 1981 ص:40 .

(2) العمدة ، 301/2.

أَوْ ابْنَ الكَيِّسِ النِّمْرِيّ زَيْدًا وَ لَوْ أَمْسَى بمُنْخَرقِ الشِّمَالِ

وعميرة بن ضمضم ، وزيد بن الكيس النمري ، وصعصعة بن صوحان ،و عبيد بن شرية الجرهمي واشتهر في قريش: مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وأبو الجهم حذيفة بن غانم ، وعقيل بن أبي طالب ، والخطاب بن نفيل وأبو بكر الصديق رضي الله عنه والذي كان من أعلم الناس في هذا المجال ، قال ابن عباس رضي الله عنهما:« كانت قريش تألف منزل أبي بكر رضي الله عنه لخصلتين : العلم(النسب) و الطعام » .(1) و قد أخذ عنه جبير النسب و تفوق حتى قيل إنه أنسب العرب ، وعن جبير أخذ سعيد بن المسيّب. و يبدو أن دغفلا النسّابة هو أول من وردت الإشارة إلى تدوينه النسب في صحف ، ثم يليه ابن شهاب الزهري ، فهناك إشارة إلى أنه أخذ في تدوين نسب مضر استجابة لطلب خالد بن عبد الله القصري.(2) و يذكر أن عمر بن الخطاب أمر بتسجيل الأنساب و تبويبها و تثبيتها في ديوان،وذلك عند فرضه العطاء. و جاء في كتاب البيان و التبيين قال«: و ثلاثة في نسق واحد كانوا أصحاب نسب: عمر بن الخطاب رحمه الله ، وكان كثيرا ما يقول: سمعت ذلك من الخطاب».(3)

ولم يتوقف العرب عن هذا العلم الذي يهتم بأنساب القبائل بل تعداه إلى نسب الحيوانات و هذا على حد قول الرافعي:« أما رواية النسب فقد كانت عامة في العرب ، وكانوا ينسبون حتى الخيل و الإبل و الكلاب ، وما كرم عليهم من هذه الأجناس (كما نسبت طائفة من الإسلاميين الحمام) ».(4)

---

(1) البيان و التبيين ، ، 76/4.

(2) المصادر اللغوية و الأدبية ، عز الدين إسماعيل ، الفجالة ، مصر: مكتبة غريب ، ص: 23 .

(3) البيان والتبيين ،304/1 .

(4) تاريخ آداب العرب ، الرافعي ، 1 /31 .

3- رواية الأخبار:

اشتغلت العرب برواية الأخبار،لأنها تمثل جزءا من شخصيتها و هويتها، و مكونا أساسيا به تفتخر و إليه تؤول في مواطن التباهي ، و الاعتزاز أمام الأمم والشعوب الأخرى من غير العرب و حتى بين العرب أنفسهم . و تتناول الأخبار أحداثا هامة كان لها الأثر العميق في حياة العرب عبر حقب زمنية بعيدة ، و إن كان البعض يرى غير ذلك ،إذ عادوا بها إلى القرن الخامس هجري و رفضوا ما دون ذلك.

يذكر أن ما تحدث به المؤرخون و الإخباريون و رجال الأدب عن العصر الجاهلي القرن الخامس الميلادي على أكثر تقدير ، وأما على أنه قبل ذلك ،فكله قصص شعبي أو قصص متأثرة بالتوراة. فهذا حديثهم عن العرب البائدة كله من نسج الخيال فالإخباريون مثلا يتحدثون عن عاد و ثمود و طسم و جديس ،والمباني العادية ومن بناها من جن سليمان إلى غير ذلك من الأخبار التي تعد أقرب إلى القصص منها إلى التاريخ ، أو هي أقرب إلى الأدب منه إلى التاريخ ،فهي تعنى بالشعر عنايتها بالنثر ، ولا تعنى بالحقيقة التاريخية بقدر ما تعنى بالتشويق والتهويل.(1)

يشير أحمد أبو الفضل أن أخبار القبائل و الإمارات العربية الشمالية مثل المناذرة و الغساسنة و عرب تدمر فهي أقرب إلى التاريخ و الواقع من أخبار عرب شبه جزيرة اليمن،و مرجع ذلك إلى أنهم كانوا يدونون أخبارهم و إلى اهتمام المؤرخين الأعاجم بهذه الأخبار مثل السريان و اليونان و الرومان و الفرس و وقوف الرواة عليها ، ثم لقرب عهدهم بالإسلام .(2) ويشير الهمذاني في كتابه الإكليل أن ما ادخرته ملوك حمير في خزانتها من مكتوب علمها ، و إلى زبر حمير القديمة ـــــ

(1) دراسات في العصر الجاهلي ، أحمد أبو الفضل ، مطبوعات المجلس الأعلى لرعية الفنون و الآداب ، القاهرة 1969، ص:39 .

(2) المرجع نفسه ، ص:36

و مساندها الدهرية .وأهم ما بلغنا من أخبارهم قبل الإسلام ، فهو أخبار سد مأرب وتصدعه و انهياره في حادث سيل العرم و هجرة الكثير من القبائل اليمنية

عقب ذلك إلى الحجاز وتهامة و نجد و مشارف كل من العراق و الشام ، وأخبار بلقيس ملكة سبأ وعلاقتها بسليمان عليه السلام ، و استيلاء أبي كرب تبان أسعد على اليمن ، وحكم يوسف ذي نواس أحد ملوك دولة حمير الثانية و اضطهاده لنصارى مدينة نجران و إحراقهم في الأخدود ، وفتح الحبشة لليمن على يد القائد أرياط ،و بناء إبرهة الحبشي خليفته في حكم اليمن كنيسة القليس في صنعاء و حملة هذا الأخير على مكة عام الفيل سنة **571**م ،و حروب سيف بن ذي يزن الحميري مع الأحباش ، وطردهم من بلاده بمعونة الفرس ، بيد أنه يغلب عليها الطابع الأسطوري على ما وصلنا من هذه الأخبار ، ربما يعود ذلك إلى تعصب الأخباريين اليمنيين الذين عاشوا في القرن الأول للهجرة لبلادهم ، و حرصهم على أن يظهروا قبائل العرب الجنوب متفوقة في مضمار الحضارة على عرب الشمال ، لا سيما بعد أن أخذ الشماليون يستعلون على اليمنيين بظهور عدد من الأنبياء فيهم و من بينهم محمد بن عبد الله (ص).(1)

و من المعروف أن أيام العرب قد استحوذت على حظ وافر من علم علماء الأخبار ، وهي قديمة ممتدة الأصول في الزمن ،فالحياة العربية كانت قد شهدت الكثير من الحروب التي دارت بين القبائل العربية ، أو ما كان بين الملوك اليمن والقبائل ، أو بين الفرس و العرب ، أو ما بين ملوك العرب و القبائل ، و مادتها القصص الذي تناقله الناس عما شهدوه و حفظوه في صدورهم ، إلى أن كان التدوين فدون.(2)

---

(1) المؤرخون والتاريخ عند العرب ، محمد أحمد ترحيني ، بيروت لبنان:دار الكتب العلمية و دار الريف ص:14،13.

(2) المفصل ، جواد علي 341/5 .

وقيل لبعض أصحاب رسول الله ﷺ: « ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسكم ؟ ، قال : كنا نتناشد الشعر ، ونتحدث بأخبار جاهليتنا».(1).

يعقب الدكتور جواد على أن هذه الأيام ليست حروبا بالمعنى المفهوم من الحرب، فإن منها ما هو مجرد مناوشات أو مهاترات و غزوات لم يسقط فيها إلا بضعة أشخاص ، ومنها أيام وقعت في عدة سنين كانت تثار فيها الحروب حينما تتجدد المناسبات ، وتنتهي بتسوية يتفق فيها على دفع ديات القتلى ،وإنهاء المشكلات التي كانت السبب في إثارة تلك الحرب ، فإذا ما انتهت ،بقيت القبيلة المنتصرة تفتخر بيومها و أيامها ، وبأسماء أبطالها الذين رفعوا رأسها فيها.(2) وكانت الأيام مجموعة من روايات شفوية قبلية جماعية ،وهي ملك مشترك للقبيلة و استمرت إلى القرن الثاني الهجري وظلت مرتبطة بالعصيبة . و صارت الأيام جزءا من الأخبار التاريخية ، كما أن ورود الشعر فيها جعلها موضع اهتمام اللغويين و النسابين و المؤرخين.(3)

و قد حصرها (أيام العرب) أبو عبيدة في الأيام الكبيرة العظيمة ، التي ساهم فيها عدد كبير من الفرسان ، وجعلها : يوم كلاب ، و يوم ربيعة ، ويوم جبلة ، و يوم ذي قار. ومن الذين اهتموا واشتغلوا برواية الأخبار قبل الإسلام : عبيد بن شرية الجرهمي ، و وهب بن منبه ، ومحمد بن السائب الكلبي ، و ابنه أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، و أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف الهمداني.(4)

---

(1) العقد الفريد ، ابن عبد ربه أحمد بن محمد ، ط 1 تحقيق ، مفيد محمد قميحة ، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية 1983، 3/6 .

(2) المفصل ، 343/5 .

(3) نشأة علم التاريخ عند العرب ، عبد العزيز الدوري ، مركز زايد للتراث و التاريخ ،200 ،ص: 19.

(4) دراسات في العصر الجاهلي ، ص:39.

4- رواية القصص:

فن القصص فن قديم ، وأن الاهتمام يرجع إلى أيام اليونان و إلى ما قبل أيام اليونان في مصر و الصين .ومن اليسير أن يقدر الإنسان قدم القصص ، لأنه نشأ

مع الإنسانية منذ نشأتها. فقد كانت الإنسانية مولعة بالقصص منذ نشأتها و قد كانت القصة من أول صور للفن الأدبي ظهورا فيها. (1)

اهتمت العرب برواية القصص اهتماما كبيرا، إذ كانت شائعة بينهم ، و تتداولها الألسنة في النوادي و مجالس السمر ، و يشير الدكتور شوق ضيف إلى ذلك بقوله: « و من المؤكد أنهم كانوا يشغفون بالقصص شغفا شديدا ،و ساعدتهم على ذلك أوقات فراغهم الواسعة في الصحراء ، فكانوا حين يرخي الليل سدوله يجتمعون للسمر ، و ما يبدأ أحدهم في مضرب من مضارب خيامهم بقوله: كان و كان ،حتى يرهف الجميع أسماعهم إليه ، و قد يشترك بعضهم في الحديث وشباب الحي وشيوخه و نساؤه و فتياته المخدرات وراء الأخبية كل هؤلاء يتابعون الحديث في شوق و لهفة »(2)

و ذكر أن أصحاب الرسول الله ﷺ سألوه أن يقص عليهم ، فنزل :﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحْسَنَ القَصَصِ**﴾(3) و هذا يدل على تمكن هذا الفن من نفوسهم كما أن القصص يتناول ماضيهم ، و أيامهم بما فيها من انتصارات كبيرة و التغني بالأبطال الشجعان و الأوقات المشهودة ، بالإضافة إلى أخبار ملوكهم و ملوك الأعاجم ، والأمم الأخرى التي اتصلوا بها أو هي اتصلت بهم ، و ما شاب هذه القصص من أساطير وخرافات بسمات القصص القديم وتنبض بروحه و حيويته كما ذكر الدكتور شوقي ضيف.

---

(1) ثورة الأدب ، محمد حسين هيكل ، ط 4 ، مصر: دار المعارف، 1978 ،ص: 69.

(2) العصر الجاهلي ، ضيف شوقي ،399.

(3) سورة يوسف: الآية : 3.

و يظهر أن العرب قد تأثروا بمعتقدات دينية قديمة وغيرها . و لم تدون القصص

في العصر الجاهلي إنما دونت في القرن الثاني الهجري على ألسنة اللغويين و الرواة وتكفلت الرواية الشفوية بحفظها ونقلها من جيل إلى جيل ، و من الطبيعي أن يصيبها التغيير و التزيد خلال هذه المدة الطويلة ، و إن كانت لا تزال تحتفظ القصص الجاهلي يروى لغايات كثيرة و أبعاد متنوعة ،فمنها ما يذكر للعبرة و الاتعاظ وإلى ذلك يشير القرآن الكريم :﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قِصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ** ﴾.(1) ويشمل قصص الماضين ، و ما قاموا به من خير ،و ما عملوا في أيامهم من شر ،فأصابهم من أجله الهلاك وسوء المصير ، وقصص الأشخاص أما القصص المروي على ألسنة الحيوانات فإننا لا نجد منه مادة غزيرة في القصص المروي عن الجاهلين .(2)

وقد أخذت أيام العرب حصة الأسد من هذا القصص لأنها ارتبطت بالعصبية لهذا كانت عنايتهم أكبر، و كانوا يقبلون على سماعها في أسمارهم ،يرويها قصاصون متخصصون بطريقة شيقة و ممتعة تستهوي السامعين و تؤثر فيهم أيما تأثير إذ غالبا ما يذكرون الأيام المشهودة التي تتصل بما يروى عن ملوكهم و ساداتهم وشجعانهم الأبطال ،كما كانوا يتناولون قصص الأسفار عن مشقات السفر و عن أهوال التي كان يلاقيها المسافرون في ذلك العهد من الجن و السعالى و الغيلان ، وقد رصع بأبيات من الشعر وبقصائد أحيانا ، في وصف تلك المخلوقات الرهيبة المفزعة ،و لم ينس بعض هذا القصص من إيراد شعر لها في محاورة الأشخاص الذين تعرضوا لها ، تجد فيه الجن والسعالى و الغيلان تنظم الشعر بلسان عربي مبين ، وتجيب فيه الشعراء بشعر مثل شعرهم (3).

---

(1) سورة يوسف: الآية :111 .

(2) المفصل : 372/8.

(3) المرجع نفسه : 373/8.

كان لبعض قصصهم أصل تاريخي إلا أنه تعرض لكثير من التحوير و التزيد و لعب الخيال دورا كبيرا في صنع و توجيه أحداثها ، فكانت بذلك أقرب إلى الأساطير والخرافات منها إلى وقائع تاريخية ، مثل قصص الأمم البائدة كطسم جديس وثمود وعاد ، وقصص التبابعة وقصص (الزباء).

و من القصص الشائع المتواتر عن الجاهليين كقصة (يومي البؤس و النعيم) وقصة (شريك) مع الملك المنذر وقصة (سنمار) و أمثال ذلك قصص –وإن اقترن بأسماء جاهلية–إلا أن أصوله ليست عربية ، دخلت العرب من منابع يونانية و فارسية و نصرانية و هو أيضا من القصص الوارد عن شعوب أخرى ، بدليل وجود مثيل له في أساطير الأعاجم ، و في حكايات النصارى.

على نحو ما كانوا كانوا يقصون عن ملوكهم و أبطالهم ، كانوا يقصون عن ملوك الأمم من حولهم و شجعانهم مثلما جاء في السيرة النبوية أن النضر بن الحارث كان قد قدم الحيرة وتعلم أحاديث ملوك الفرس و حديث رستم و اسفنديار.(1) ومن أشهر قصاصي الجاهلية : النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي(*) ، وتميم بن أوس بن خارجة الداري وهو من أدخل القصص الديني – لأنه كان نصرانيا– للوعظ و التذكير والإرشاد القائم على الترغيب و الترهيب ، وهذا النوع من الوعظ الذي كان يقوم به رجال الدين اليهود والنصارى في تهذيب أبناء دينهم ، وفي إرشادهم إلى سواء السبيل والأسود بن سريع بن حمير بن عبادة بن النزال التميمي السعدي وعبيد بن شرية الجرهمي.(2)

---

(1) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، ص:400.

(*)قتل يوم بدر كافرا، قتله علي بن أبي طالب صبرا بالصفراء ، وكان شديد العداوة لله و رسوله .

(2) المفصل ، 377/8 ، 378 ، 379.

الفصـل الثاني:

الرواية في صدر الإسلام:

1- رواية الشعر (الرسول ﷺ و الخلفاء– أبو بكر الصديق – عمر بن الخطاب – علي كرم الله و جهه –السيدة عائشة –رواة القبائل– رواة شعر الفتوحات – الشعراء الرواة)

2- جمع القرآن الكريم و تدوينه

3- رواية الحديث

4- تدوين الحديث و دواعي تدوينه

5- منهج العلماء في تدوين الحديث

1- رواية الشعر في عصر الرسولﷺ و الخلفاء:

استمرت رواية الشعر في عصر الرسول ﷺ الذي اتّهم بأنه شاعر، بعدما أعجزهم القرآن الكريم ، فألصقوا به هذه التهمة لما في قلوبهم من هيبة الشعر و فخامته كما ذكر ابن رشيق.(1) و يروى عنه أنه قال : « **لاَ تَدَعُ العَرَبُ الشِّعْرَ حَتَّى تَدَعَ الإِبِلُ الحَنِينَ**» (2) و القرآن الكريم برّأه من قول الشعر فقال تبارك و تعالى: ﴿ **وَ مَا عَلّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَ مَا يَنْبَغِي لَهُ** ﴾.(3) و قد أوتي جوامع الكلم ، هو المعروف بالبلاغة و الفصاحة و تذوقه للكلام الرفيع ،كما أنه يدرك موقع الكلام ،و وقعه على النفوس فهو عربي كغيره من العرب ، أخذ الفصاحة عن بني سعد و هو من قريش ، و كان يقول « **إِنَّ مِنَ الشِّعرِ لحَكْمَةً** » (4) ، و ورد عن ابن عباس : «**إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً ، وَ إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا** »(*). و كان يكرم الشعراء ويثيبهم ، و كثيرا ما كان يتمثل بالشعر لكن دون أن يذكر البيت كاملا كأن يشير إلى شطر منه ، أو يقدم أو يؤخر فيه ، أو يشير إلى الشاعر و ما قاله في موضوع معين ، و في هذا ما يروى عن الحسن البصري قال«: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يتمثل بهذا البيت :

.....(*)* **كَفَى بِالإِسْلَامِ وَ الشَّيبِ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا**

فقال أبو بكر : يا رسول الله :

..... **كَفَى الشَّيْبُ وَ الإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا**

فقال أبو بكر، أو عمر:أشهد أنك رسول الله ، يقول الله:﴿**مَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَ مَا يَنْبَغِي لَهُ**﴾.(5) وعن قتادة:بلغني أن عائشة سئلت:هل كان رسول الله ﷺيتمثل

---

(1) العمدة ، 31/1 .

(2)) المصدر نفسه،46/1 .

(3) سورة يس:الآية: 69 .

(4) فتح الباري ، 537/10 .

(*) رواه الأمام أمد و ابن ماجه بزيادة الجملة الثانية.

(*)*شطره الأول: عميرة ودع إن تجهزت غاديا ، الديوان، سحيم تحقيق عبد العزيز الميمني ، مصر:دار الكتب، 1950، ص:16.

(5) تفسير ابن كثير3/ 2420 و طبقات بن سعد، 329/1.

بشيء من الشعر ؟ فقالت: لا ، إلاّ بيت طرفة [الطويل] :

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَ يَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

فجعل يقول:« **مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ بِالأَخْبَارِ**» . فقال أبو بكر:« ليس هكذا . فقال:« **إِنِّي لَسْتُ بِشَاعِرٍ وَ لَا يَنْبَغِي لِي**» .(1) و عن عائشة رضي الله عنها قالت:« كان رسول الله ﷺ كثيرا ما يقول لي : ما فعلت أبياتك؟ فأقول : أيّ أبيات تريد؟ فإنها كثيرة ، فيقول في الشكر ، فأقول : نعم بأبي و أمي ، قال الشاعر (و هو السموأل). (2) [البسيط] :

اِرْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يُحْزِنُكَ ضَعْفَهُ يَوْمًا فَتُدْرِكُهُ العَوَاقِبُ قَدْ نَما

يُجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَ إِنَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى(3)

و كان عليه الصلاة والسلام يقدر الشعراء و يكرمهم ، فعن ابن اسحاق، عن عبد الله بن الطفيل عن أبيه عن جدّه أنّ قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبايعه و أسلم فحباه و كساه بردين ، وحمله على فرس ، واستعمله على قومه ، فقال قرّة يذكر ذلك و يذكر ناقته في قصيدة له طويلة [الطويل] :

حَبَاهَا رَسُولُ اللَّهِ إِذْ نَزَلَتْ بِهِ وَ أَمْكَنَهَا مِنْ نَائِلٍ غَيْرِ مُفْنَدِ

فَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَبَرَّ وَ أَوْفَى ذِمَّةٍ مِنْ مُحَمَّدِ

وَ أَكْسَى لِبَرْدِ الحَالِ قَبْلَ ابْتِذَالِهِ وَ أَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِحِ المُتَجَرِّدِ(4)

و قصته مع كعب بن الزهير مشهورة ، وقد رواها الكثير العلماء و الأدباء و غيرهما(*)في مواطن عديدة، فعن الشعبيّ قال :« لما بلغ الرسول ﷺ أنّ كعب

---

(1) المصدر السابق ، 2421/3. (4) جمهرة أشعار العرب ، ص: 39 ، 40.

(2) مسند عائشة ، السيوطي جلال الدين ، ط 1 ، بونباي: دار السلفية ، 1981،ص: 167 .

(3) الديوان ، السموأل ، ط؟ ، بيروت: دار صادر.ص:75. (*) ينظر الشعر و الشعراء ، ص:89.

بن زهير بن أبي سلمى هجاه و نال منه ، أهدر دمه ، فكتب إليه أخوه بجير بن زهير– و كان أسلم و حسن إسلامه – يعلمه أنّ النبيّ ﷺ قد قتل بالمدينة كعب بن الأشرف ، و كان قد شبّب بأم الفضل بن العباس و أم حكيم بنت عبد المطلب ، فلما بلغه كتاب أخيه ضاقت به الأرض و لم يدر فيم النجاة ، فأتى أبا بكر رضي الله عنه فاستجاره ، فقال: « أكره أن أجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و قد أهدر دمك » ، فأتى عمر رضي الله عنه فقال له مثل ذلك فأتى عليّا عليه السلام فقال:«هل أدلك على أمر تنجو به.قال: و ما هو. ؟ قال: تصلّي مع رسول الله ﷺ ، فإذا انصرف فقم خلفه ، وقل : يدك يا رسول الله أبايعك فإنه سيناولك يده من خلفه ، فخذ يده فاستجره ، فأرجو أن يرحمك فلما ناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يده استجاره ، و أنشد قصيدته التي يقول فيها [البسيط] :

وَ قَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ آمُلُهُ لَا أُلْفِيَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ

فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُم فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدنِي وَ العَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ(1)

فلما فرغ منها قال له النبيّﷺ : أذكر الأنصار! فقال [البسيط] :

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الأَنْصَارِ

النَّاظِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الإِبْصَارِ (2)

و ذكر جماعة – منهم عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي الشاعر – أنّه أعطاه مع البردة مئة من الإبل فاشتراها (البردة) معاوية بثلاثين ألف درهم ، و قال العتبيّ بعشرين ألفا، و هي التي يتوارثها الخلفاء يلبسونها في الجمع و الأعياد تبركا بها. (3)

---

(1) الديوان ، كعب بن زهير ، ط 1، تحقيق درويش الجويدي ، بيروت: المكتبة العصرية ،2008،ص:132.

(2) جمهرة أشعار العرب ، ص: 36 ، 37 . طبقات فحول الشعراء 99/1، 100، 101.

(3) العمدة ، 35/1 .

و كان عليه الصلاة و السلام يحب سماع الشعر في بعض المواضع كالسفر ، أو في أوقات الترويح عن النفس نظرا لأثقال الدعوة و عبء الرسالة ، فعن ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن إبراهيم بن ميسرة بن عمرو بن الشريد عن أبيه قال«: ردفت رسول الله ﷺ يوما ، فقال : هل معك من شعر أميّة بن أبي الصّلت(*) شيء . قلت : نعم . قال : هيه ، فأنشدته بيتا فقال : هيه . ثم أنشدته مائة بيت»(1)

و كان عليه الصلاة و السلام يحفظ الشعر وينبّه إلى أخطاء من يرويه، وإن كان يشير إلى ذلك و لا يرويه ، و في هذا ما رواه الزبير بن بكار قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبو بكر رضي الله عنه برجل يقول في بعض أزقة مكّة :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَهُ هَلاَّ نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ الدَّارِ

فقال النبيّ ﷺ:« **يَا أَبَا بَكْرٍ هَكَذَا قَالَ الشَّاعِرُ ؟**» قال : لا يا رسول الله ، لكنه قال: [الكامل] :

يَا أَيّهَا الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَهُ هَلاَّ سَأَلْتَ عَنْ آلِ عَبْدِ مَنَافِ؟

فقال رسول الله ﷺ:« **هَكَذَا كُنَّا نَسْمَعُهَا**» (2)

و وردت أخبار تؤكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمانع أبدا من إنشاده في حضرته ، و في المسجد ، فكثيرا ما كان صحابته الكرام لا يتحرجون من ذلك فيتناشدون الأشعار ، ويتذاكرون أشياء ذات صلة بجاهليتهم دون أن يجدوا مانعا فعن سماك بن حرب قال:« قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟.

(*) شاعر مخضرم ، قرأ كتب الكتب السماوية و رغب عن عبادة الأوثان ، و كان يخبر بأن نبيا يبعث ، و كان يؤمل أن يكون ذلك النبي ،فلما بلغه خروج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، كفر حسدا له . ولما أنشد شعره ،قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : آمن لسانه و كفر قلبه.

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ،ط3، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي 11/15 ، المزهر ، 309/3.

(2) دلائل الإعجاز،الجرجاني عبد القاهر،تحقيق محمود محمد شاكر،ط5،مصر:مكتبة الخانجي،2004،ص:33، 34.

قال : نعم ، فكان طويل الصمت و كان أصحابه يتناشدون الأشعار و يذكرون أشياء من أمر الجاهلية فيضحكون و يبتسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا ضحكوا ».(1) و عن سماك عن جابر بن سمرة قال:« جالست رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الأشعار في المسجد وأشياء من أمر الجاهلية فربما تبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم» (2) (*) ما دام هذا الشعر لا يتعارض مع تعاليم الإسلام و مبادئه السمحة إذ نهى النبيّ ﷺ عن فاحش الشعر الذي يوقظ العصبية ، أو يمس الأعراض . كما أن القرآن الكريم استثنى من الشعراء الذين آمنوا ، وفي هذا يقول عزّ و جلّ في محكم تنزيله : ﴿**وَ الشُّعَرَاءُ يَتْبَعُهُمْ الغَاوُونَ** (224) **أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُوَن** (225) **وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ** (226) **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ ذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** (227) ﴾(3) وقال المفسرون في هذا: «المراد بالشعراء شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس و مردة الشياطين و عصاة الجن و يروون شعرهم لأنّ الغاوي لا يتبع غاويا مثله،وسمى الثعالبي منهم عبد الله بن الزبعرى و هبيرة بن أبي وهب و مسافع و عمرو بن أمية بن أبي الصلت . و عن أبي شيبة قال:لما نزلت ﴿ **وَ الشُّعَرَاءُ يَتْبَعُهُمْ الغَاوُونَ** ﴾ جاء عبد الله بن رواحةوحسان بن ثابت و كعب بن مالك و هم يبكون،فقالوا:يا رسول الله أنزل

---

(1) طبقات ابن سعد، الزهري محمد بن سعد،ط 1،حققه محمد علي عمر،القاهرة:مكتبة الخانجي،1،2001/320 .

(2) المصدر نفسه ،320/1 .

(*) و مثل هذه الأحاديث ترد على الذين كرهوا رواية الشعر معتمدين على الحديث الذي روي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن يمتلىء جوف الرجل قيحا يريه(داء يفسد الجوف) خير من أن يمتلىء شعرا . و من العلماء يرى أن المقصود هو الشعر الذي هجي به الرسول و أغلب العلماء أباحوا الشعر لأنه من الكلام ، و الكلام حسنه حسن ، وقبيحه قبيح ، ويظهر أنهم اعتمدوا على الحديث عائشة الذي أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن عائشة أنها كانت تقول : الشعر منه حسن و منه قبيح ، خذ الحسن و دع القبيح .

(3) الشعراء: الآية: 224 ، 227.

الله هذه الآية و هو يعلم أنا شعراء ، فقال:« **اِقْرَأُوا ما بعدها ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ ذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾**(1) و مما يجب التنويه به هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ من الشعر سلاحا رادعا في الدفاع عن الدعوة،و في مقاومة المشركين و الكفار الذين لم يتركوا سبيلا يحد من انتشار الإسلام إلا و سلكوه ، فكانوا يحرّضون و يؤلبون الشعراء على النبيّ صلى الله عليه وسلم و على المسلمين و يجزلون لهم العطاء ، و كثيرا ما ثنوا من الناس عن الإقبال على هذا الدين و خاصة الشعراء ، و قصتهم مع أمية بن أبي الصلت مشهورة ، إذ عندما قرر العودة إلى لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم و إعلان إسلامه بعد أن تأكد من صدق دعواه ، اعترضته قريش و أخذوا يذكرونه بأهله الذين قتلوا ببدر ، و رميهم في القليب فتراجع و أخذ يرثي قتلى بدر و يؤلب على الإسلام والمسلمين و الأمر نفسه حدث مع النابغة ميمون ابن قيس(*) . و كان من نتائج هذا الصراع أن برز في مكة شعراء و لمعت أسماؤهم كأبي سفيان بن الحارث، و عبد الله بن الزبعرى، و ضرار بن الخطاب الفهري و أبي عزة الجمحي ، و هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، وأخذوا يسددون سهام أشعارهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين و أنصاره من المدينة . و عزّ ذلك عليه لا لأنهم كانوا يهجونه فحسب بل أيضا يصدّون عن سبيل الله بما يذاع من شعرهم في القبائل العربية .(2)

و ساندهم من شعراء القبائل أمية بن أبي الصلت في رثائه قتلى بدر ، و الأسود بن يعفر في الإشادة بانتصار قريش في أحد،و العباس بن مرداس السلمي، ومن شعراء

---

(1)) فتح الباري ، ص: 538 ، 539 .

(*) أغراه أبو سفيان بمائة ناقة و قال : يا معشر قريش هذا أعشى قيس و قد علمتم شعره ، و لئن وصل إلى محمد ليضربنّ عليكم العرب قاطبة بشعره ، ينظر الشعر و الشعراء 142.

(2) العصر الإسلامي ، ضيف شوقي ،ط11، مصر:دار المعارف، 1963، ص: 47

اليهود كعب بن الأشرف ، و جبل بن جوال الثعلبي ، وسماك و مرحب ومن النساء هند بنت عتبة ، وقتيلة بنت الحارث ، وصفية بنت مسافر. (1)

فالرسول ﷺ يدرك قيمة هذا السلاح و خطورته ، بعد أن احتدم الصراع و بلغ أشده ، و كان يتأذى من ذلك ، فأذن لشعراء المسلمين أن يدافعوا عنه و عن أنفسهم ، وفي هذا روى ابن وهب في جامعه و عبد الرازق في مصنفه عن طريق محمد بن سيرين قال:« هجا رهط من المشركين النبيّﷺ و أصحابه، فقال المهاجرون: يا رسول الله ألا تأمر عليّا فيهجو هؤلاء القوم ؟ فقال:« **إِنَّ القَوْمَ الَّذِينَ نَصَرُوا اللهَ بِأَيْدِيهِمْ أَحَقُّ أَنْ ينْصُرُوا بألسنتهم**».فقالت الأنصار: أرادنا و الله . فأرسلوا إلى حسان ، فأقبل فقال : يا رسول الله و الذي بعثك بالحق ما أحبّ أن لي بمقولي ما بين صنعاء و بصرى ، فقال : أنت لها. فقال لا علم لي بقريش،فقال لأبي بكر : أخبره عنهم و نقب له عن مثالبهم .(2) و انضم إلى حسّان عبد الله بن رواحة ، و كعب بن مالك .

و كان من أشد الشعراء على النبيّ صلى الله عليه وسلم من المشركين أبو سفيان بن الحارث(*) لأنه كان ابن عمّه ، وردّ عليه حسان في قوله :

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنيِّ فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ

هَجَوْتَ مُحَمَدًا وَ أَجَبْتُ عَنْهُ وَ عِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ

أَتَهْجُوهُ وَ لَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ (3)

و عن الشعبي ، قال : أتى حسان بن ثابت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال:

---

(1) نحو منهج إسلامي في رواية الشعر و نقده ، عليان مصطفى، ط 1 ، عمان: دار البشير ، 1992 ، ص: 10.

(2) فتح الباري ، 547/10 وقد ورد بصورة متقاربة ينظر تاريخ الإسلام، ص: 367 ،زهر الآداب وثمار الألباب ص: 53 ،طبقات فحول الشعراء :316/1، 317.

(*) ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان من أشد الناس على النبيّ و الصحابة ، أسلم عام الفتح و حسن إسلامه، و قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : أرجو أن تكون خلفا لحمزة. و رثى الرسول صلى الله عليه وسلم

(3) الديوان،حسان بن ثابت،ط ؟،تحقيق وليد عرفات، بيروت:دار صادر ،2006، 18/1.منتهى الطلب262/2.

« يا رسول الله ، إن أبا سفيان بن الحارث هجاك ، و أسعده على ذلك نوفل بن الحارث و كفار قريش ، أفتأذن لي أن أهجوهم يا رسول الله ؟ » فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم:« **فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِي** ؟ » أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين ! قال له :« **أُهْجُهُمْ وَ رُوحُ القُدُسِ مَعَكَ** »(1)

و انطلاقا مما سبق نرى بكل وضوح أن النبيّ ﷺ ، كان يقدر قيمة الشعر و فضله و يدرك خطورته و وقعه على النفوس ، فهو سلاح فعّال في معركة الإيمان و الكفر ، فكان يقول لحسان :« **شُنَّ الغَطَارِيفَ ، عَلَى بَنِي عَبْدِ مَنَافِ فَوَ اللهِ لَشِعْرُكَ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقْعِ السِّهَامِ** »(2)

و قد أشارت بنت الشاطئ إلى هذا بقولها:« إن الشعر كان سلاحا من أمضى الأسلحة في المعركة بين الوثنية و التوحيد ، و أنه ظل محتفظا بكل سلطانه على وجدان العرب ، لم يعطله اشتغاله بالفتوح ، ولم يفقد سحره في قوم آمنوا بدين معجزته بيانية باهرة»(3) فرواية الشعر كانت شائعة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، و لا يأنف الصحابة من تناشد الأشعار في حضرته، و لا ينهاهم و قد بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبرا ينشد عليه الشعر كما ذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها .(4) و مما زاد في اتساع في الرواية ، هو أن الشعر كان عنصرا فاعلا في هذه المعركة ، شاركها مسيرتها ، و دافع عن رسالة سماوية جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور.

---

(1) جمهرة أشعار العرب ، ص:35 ، مسند عائشة ، ص : 116 ، تاريخ الإسلام ، ص:367 ، الأدب المفرد ، ص: 320 .

(2) العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، 156/6، تاريخ الإسلام ، ص: 367 ، البيان و التبيين، ص: 273/1.

(3) قيم جديدة للأدب العربي القديم و المعاصر ، بنت الشاطئ عائشة ، ط 2 ، مصر : دار المعارف ، 1970 ، ص: 63.

(4) العمدة ، 41/1 .

ب– أبو بكر رضي الله عنه(ت13هـ) **و رواية الشعر:**

أبو بكر الصدّيق خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم اسمه: عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي ، يلتقي مع رسول الله في مرّة.(1)

صاحب رسول الله ﷺ و جليسه في الغار و أول من آمن به و صلى معه و اتبعه كان من أعلم الصحابة بالأنساب ، فهو أنسب قريش لقريش ، وقد أمر الرسول ﷺ حسان بن ثابت:«**اِسْتَعِنْ بِأَبِي بَكْرٍ فَإِنَّهُ عَلَّامَةُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِ العَرَبِ** ».(2)

و قال عنه ابن عباس:« كانت قريش تألف منزل أبي بكر رضي الله تعالى عنه لخصلتين:« العلم و الطعام ».(3) وقد شهد مواقف كثيرة مع الرسول ﷺ و كان يستعين به في رواية الشعر(بيتا أو أبيات) لأنه يدرك أنه يحفظ الأشعار و يرويها مثلما روي أن الرسول ﷺ قال لكعب :« **مَا نَسِيَ رَبُّكَ وَ مَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا شِعْرًا قُلْتَهُ**». قال: و ما هو يا رسول الله؟ قال:« **أَنْشِدْهُ يَا أَبَا بَكْرٍ**». فأنشد أبو بكر رضوان الله عليه[الكامل]:

زَعَمَتْ سَخِينَةُ أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا وَ لَيُغْلَبَنَّ مَغَالِبُ الغَلَّابِ(4)

و يروى عن الحسن البصري قال : إن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يتمثل بهذا البيت :

..... **كَفَى بِالإِسْلَامِ وَ الشَّيبِ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا**

فقال أبو بكر: يا رسول الله :

..... **كَفَى الشَّيْبُ وَ الإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا**

فقال أبو بكر، أو عمر: « أشهد أنك رسول الله ».(5).

---

(1) تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، دون طبعة ، لبنان ، بيروت: دار الفكر ، ص: 26

(2) جمهرة أشعار العرب ، ص:35. (4) العمدة ، 133/1.

(3) البيان و التبيين ، 76/4. (**5**) طبقات بن سعد، 329/1.

ما رواه الزبير بن بكار قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبو بكر رضي الله عنه برجل يقول في بعض أزقة مكّة :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَهُ هَلاَّ نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ الدَّارِ

فقال النبيّ ﷺ:« **يَا أَبَا بَكْرٍ هَكَذَا قَالَ الشَّاعِرُ**» ؟ قال : لا يا رسول الله ، لكنه قال: [الكامل] :

يَا أَيّهَا الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَهُ هَلاَّ سَأَلْتَ عَنْ آلِ عَبْدِ مَنَافِ؟

فقال رسول الله ﷺ : هكذا كنا نسمعها .(1)

وقد جاء في جمهرة أشعار العرب أن المفضل قال : لم يبق أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا و قد قال الشعر أو تمثل به.(2)

و مما قاله أبو بكر رضي الله عنه يرثي النبي ﷺ(3) :

أَجَدَّكَ مَا لِعَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّ جُفُونَهَا فِيهَا كِلَام

و مما ينسب إليه من شعر كما جاء في العمدة [الطويل]:

أَ مِنْ طَيْفِ سَلْمَى بِالبِطَاحِ الدَّمَائِثِ أَرقت أَوَ مَرَّ فِي العَشِيرَةِ حَادِثِ

تَرَى مِنْ لُؤَيٍّ فِرْقَةً لَا يَصُدُّهَا عَنْ الكُفْرِ تَذْكِيرٌ وَ لَا بَعْثُ بَاعِثِ

رَسُولٌ أَتَاهُمْ صَادِقٌ فَتَكَذّبُوا عَلَيْهِ وَ قَالُوا: لَسْتَ فِينَا بِمَاكِثِ(4)

و عن عفان بن مسلم قال:« أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت قال: كان رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت».(5):

لَا تَزَالُ تَنْعَى حَبِيبًا حَتَّى تَكُونَهُ وَ قَدْ يَرْجُو الفَتَى الرَّجَا يَمُوتُ دُونَهُ

---

(1) دلائل الإعجاز، ص:33، 34.

(2) جمهرة أشعار العرب، ص: 44.

(3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(4) العمدة ، 50/1.

(5) طبقات بن سعد، 181/3.

ج– رواية الشعر و عمر بن الخطاب :

يعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المتمرسين بالشعر ، و من الذين يملكون دراية وخبرة و حفظا، قلما تجدها عند غيره ، يدرك تمام الإدراك أن الشعر بالنسبة للعرب هو ديوانها ، إليه يحتكمون و إليه يصيرون ، فهو القائل:« كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه»(1)(*)

و كان رضي الله عنه يحثّ على رواية الشعر و حفظه ، فمما روي عنه:« اروا من الشعر أعفه و من الحديث أحسنه، و من النسب ما تواصلون عليه ، و تعرفون به ، فربّ رحم مجهولة قد عرفت فوصلت ، و محاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق ، وتنهى عن مساويها» (2) فالشعر عنده وسيلة هامة في مجال التربية و تهذيب الأخلاق و الدعوة إلى الفضائل ، و عنصر فاعل في تكوين شخصية الفرد المسلم الذي يتخذ من القرآن والسنّة منهجا نحو حياة كريمة سامية ، و قد روي عنه أنه قال لابنه عبد الرحمن:« يا بنيّ صل رحمك ، و احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك ، فإنه من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه ، و من لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤدّ حقا و لم يغترف أدبا»(3)

و قد كتب إلى أبي موسى الأشعري:« مر من قبلك بتعلم الشعر ، فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ، و معرفة الأنساب»(4) و كان رضي الله عنه كثير الاهتمام بالشعر و الشعراء إذ كثيرا ما يتمثل به في المواقف المختلفة ، و يبدي

---

(1)طبقات فحول الشعراء ، الجمحي ابن سلام ، ط 2 ،حققه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني (المؤسسة السعودية بمصر) ،1974 ، 24/1.

(*) و قريبا من هذا المعنى ،كان يقول : من أفضل ما أعطيه العرب الأبيات يقدمها الرجل أمام حاجته ، فيستعطف بها الكريم ، و يستنزل بها اللئيم ، الكامل للمبرد ،56/1.

(2) جمهرة أشعار العرب ، 41.

(3) المصدر نفسه ،41 .

(4) العمدة ، 43/1..

استحسانه و إعجابه ، فقد أنشد قول زهير :

فَإِنَّ الحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلاَثٌ يَمِيْن أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءُ

فجعل يعجب بمعرفته مقاطع الحقوق و تفصيلها ، و إنما أراد : مقطع الحقوق يمين أو حكومة أو بينة . و أنشد قول عبدة بن الطبيب :

*** و العَيْشُ شُحٌّ وَ إِشْفَاقٌ وَ تَأْمِيلُ ***

فقال:« على هذا بنيت الدنيا » (1) و إلى جانب ذلك كان يسأل عن الشعراء و ما جدّ عندهم ، إذ كتب إلى عامله:« أن سل لبيدا و الأغلب ما أحدثا من الشعر في الإسلام » فقال الأغلب :

أَرَجْزًا سَأَلْتَ أَمْ قَصِيدَا فَقَدْ سَأَلْتَ هَيِّنًا مَوْجُودَا

و قال لبيد:« قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة و آل عمران »(2)

و ممّا يوطد العلاقة بين عمر رضي الله عنه والشعر إضافة إلى ما ذكرناه آنفا ، أن له نظرات دقيقة ، و آراء صائبة تدل على معرفته و خبرته بالشعر ، فهو لا يتوقف عند حدود الاستحسان أو الاستهجان – كما هو شائع في عصره – بل كان يعلل الأحكام التي يصدرها ، وهذا ما يعدّ نقطة تحول كبيرة في مجال النقد الذي بدأ ينحى نحو التعليل و تجاوز مرحلة التذوق الفطري ، فعن ابن عباس : قال:« قال لي عمر : أنشدني لأشعر شعرائكم . قلت من هو يا أمير المؤمنين ؟. قال : زهير. قلت : كان كذلك ! . قال : كان لا يعاضل بين الكلام ، ولا يتبع و حشيه و لا يمدح الرجل إلاّ بما فيه(3).

و ممّا يؤثر عنه أنه كان يستقبل الوفود و يخوض معهم في مواضيع مختلفة ، و من بينها أنه كان يسألهم عن أشعر شعرائهم مثل ما فعل مع وفد غطفان فيما يرويه

---

(1)) العقد الفريد 131/6 ، البيان و التبيين ، 240/1 ، 241 ، العمدة: 91/1 .

(2) طبقات فحول الشعراء ، 135/1 ، آمالي اليزيدي ، ص :100

(3) المصدر نفسه ، 63/1 ، الشعر والشعراء 61 ، العقد الفريد 119/6 باختلاف بسيط .

الشعبيّ في مجلس عبد الملك بن مروان ، وبحضور الأخطل الذي ادّعى أنه أشعر الشعراء ، فتدخل الشعبيّ معترضا ، واستشهد بأبيات للنابغة ليدل على أنه أشعر الشعراء. فقال الأخطل:« صدق يا أمير المؤمنين النابغة أشعر منيّ »، فقال لي عبد الملك:« ما تقول في النابغة ؟» قلت: فضّله عمر بن الخطاب على الشعراء غير مرّة خرج و ببابه وفد غطفان فقال: أيّ شعرائكم الذي يقول :[الوافر]

أَتَيْتُكَ عَارِيًا خَلْقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ ، تَظُنُّ بِيَ الظُّنونُ

فَأَلْفَيْتُ الأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

قال : النابغة . قال : فأيّ شعرائكم الذي يقول : [الطويل]

حَلَفْتُ فَلَمْ اَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَ لَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

قالوا : النابغة . قال : فأيّ شعرائكم الذي يقول : [الطويل]

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَ إِنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ (1)

و قال محمد بن سلام عن بعض أشياخه قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر (2) إذ يذكر أبو مخنف : لما قدم عمر الشام فرأى غوطة دمشق ، ونظر إلى المدينة و القصور و البساتين تلا قوله تعالى: « **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ وَ نِعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ**»(3)

ثم أنشد قول النابغة [الطويل]:

هُمَا فَتَيَا دَهْرٍ يَكُرُّ عَلَيْهِمَا نَهَارٌ وَ لَيْلٌ يَلْحَقَانِ التَّوَالِيَا

إِذَا مَا هُمَا مَرَّا بِحَيّ بِغَبْطَةٍ أَنَاخَا بِهِمْ حَتّى يُلاَقُوا الدَّوَاهِيَا(4)

و مما أثر عنه أنه كان يقول:« من خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين

---

(1) الشعر و الشعراء ص: 76 ، العقد الفريد 119/6.

(2) البيان والتبيين ، 241/1 .

(3) الدخان :الآية :[25.27]

(4) البداية و النهاية ، ابن كثير أبو الفدا إسماعيل ، ط1 ، مصر:دار التقوى ، 1999، 62/7.

يدي حاجته ، يستنزل بها الكريم ، و يستعطف بها اللئيم». (1)

و قال حين سمع متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكا [الكامل]:

لاَ يُمْسِكُ العَوْرَاءَ تَحْتَ ثِيَابِهِ حُلْوُ شَمَائِلُهُ عَفِيفُ المِئْزَرِ

وَ لَنِعْمَ الحَشْوُ الدِّرْعَ كُنْتَ وَ حَاسِرًا وَ لَنِعْمَ مَأْوَى الطَّارِقِ المُتَنَوِّرِ

«لوددت أنك رثيت أخي بما رثيت به أخاك ». فقال له:« يا أبا حفص ، لو أعلم أن أخي صار حيث صار أخوك ما رثيته ، يقول : إن أخاك قتل شهيدا». (2)

و كان عمر رضي الله عنه يدرك أن الشعر يخلد المآثر و أصحابها و يجعلها تحيا ما ترددت على الشفاه ، و تتخطى حدود الزمان و المكان ، فلقد سأل ابنة زهير بن أبي سلمى:« ما فعلت حلل هرم بن سنان التي كساها أباك ؟» قالت : أبلاها الدهر قال:« لكن ما كساه أبوك هرما لم يبله الدهر »، و قال رضي الله عنه لبعض ولد هرم بن سنان:« أنشدني ما قال فيكم زهير »، فأنشده ، فقال:« لقد كان يقول فيكم فيحسن» ، قال : يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل ، قال عمر:« ذهب ما أعطيتموه و بقي ما أعطاكم»(3).

---

(1)) البيان و التبيين ، 320/2 .

(2) الفاضل ، المبرّد أبو العباس محمد بن يزيد ، ط 2 ، حققه عبد العزيز الميمني ، مصر: دار الكتب المصرية ، 1995 ، ص: 73.

(3) العمدة ، 141/1.

د– علي كرم الله و جهه(40هـ) و رواية الشعر:

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة.(1)

و كان شاعرا فقد أخرج عن الشعبي قال:«كان أبو بكر يقول الشعر و كان عمر يقول الشعر و كان عثمان يقول الشعر،و كان عليّ أشعر الثلاثة»(2)

و كان ابن عباس يستشهد بشعره ، فعن ابن الأزرق قال:« يا بن عباس ، أخبرني عن قوله تعالى﴿ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾(3) قال : هكذا الكافر من الشباب إلى الكبر و من الكبر إلى النار. قال: هل تعرف العرب ذلك ؟

قال: أما سمعت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه و هو يقول:

فَأَضْحُوا لَدَى دَارِ الجَحِيمِ بِمَعْزِلٍ عَنْ الشَّغْبِ وَ العَوَانِ فِي أَسْفَلِ السَّفْلِ(4)

و قد نسب إليه الكثير من الشعر ، و من شعره الذي قاله في صفين[الطويل]:

وَ لَمَّا رَأَيْتُ الخَيْلَ تُرْجَمُ بِالقَنَا نَوَاصِيهَا حُمْرُ النُّحُورِ دَوَامِي

وَ نَادَى ابْنُ هِنْدٍ فِي الكِلَاعِ وَحِمْيَر وَ كِنْدَةَ فِي لُخْمٍ وَ حَيّ جُذَامِ(5)

و أخرج عن نبيط الأشجعي قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى اليَأْسِ القُلُوبُ وَ ضَاقَ بِهِمَا الصَّدْرُ الرَّحِيبُ

وَ أَوْطَنَتِ المَكَارِهُ وَ اطْمَأَنَّتْ وَ أَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الخُطُوبُ

وَ لَمْ يُرَ لانْكِشَافِ الضُرِّ وَجْهٌ وَ لَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الأَرِيبُ

أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ يَجِيءُ بِهِ القَرِيبُ المُسْتَجِيبُ(6)

---

(1) تاريخ الخلفاء ، ص:155.

(2)الصدر نفسه ، ص: 171.

(3) التين ، الآية:5.

(4) مسائل نافع بن الأزرق، ط1، تحقيق محمد أحمد الدالي،الجفان و الجابي للطباع و النشر، 1993، ص:174.

(6) تاريخ الخلفاء ، مصدر سابق ، ص:171.

(5)العمدة ، 53/1.

هـ- عائشة رضي الله عنها و رواية :

عائشة أم المؤمنين،زوج النبيّ ، و أحب نسائه إليه،وبنت الصديق،صاحب الرسول صلى الله عليه و سلم أوتيت بسطة في العلم و الفقه ، و كانت منبعا ثرّا ينهل منه كبار الصحابة رضي الله عنهم في الفرائض و يروون عنها الأحاديث النبوية الشريفة،وهي من أكثر الناس رواية ، بحكم قربها من الرسول صلى الله عليه و سلم كما أخذوا عنها الأدب و الشعر،وفي هذا يقول فيها هشام بن عروة:« ما رأيت أحدا أعلم بفقه و لا بطبّ و لا بشعر من عائشة رضي الله عنها». (1)

و لها رأي واضح تجاه الشعر فكانت تقول: « الشعر منه الحسن و منه القبيح خذ الحسن و دع القبيح ، و لقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعارا منها القصيدة فيها أربعون بيتا»(2) و يقال أنها كانت تروي جميع شعر لبيد(3) و كانت تروي الشعر للرسول صلى الله عليه و سلم ، و هو يسمع منها ، حيث قالت:« كان رسول الله صلى الله عليه و سلم كثيرا ما يقول لي:« **مَا فَعَلَتْ أَبْيَاتُكِ؟**» فأقول : أيّ أبيات تريد؟ فإنها كثيرة ، فيقول:« **فِي الشُّكْرِ**»، فأقول : نعم بأبي و أمي ، قال الشاعر و هو السموأل (4): [البسيط]

اِرْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يُحْزِنْكَ ضَعْفَهُ يَوْمًا فَتُدْرِكُهُ العَوَاقِبُ قَدْ نَما

يُجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَ إِنَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى(5)

و قد كانت رضي الله عنها تكثر من رواية الشعر ، فأصبحت مثلا يضرب به المثل في الحفظ و الرواية ، فعن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه قال:« ما رأيت أحدا أروى للشعر من عروة. فقيل له : ما أرواك ! فقال : ما روايتي في رواية عائشة ؟!

---

(1) مسند عائشة ، السيوطي ، ص:9

(2) فتح الباري 539/10 ، المزهر 309/3 .

(3) العمدة ، 46/1 .

(4) مسند عائشة ، ص: 167.

(5) الديوان ، السموأل ، ص:75.

ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا !»(1)

و كانت تحث المسلمين على رواية الشعر لأنه من الو سائل الناجعة في تعليم الأبناء الفصاحة و البلاغة إذ كانت تقول:« روّوا أبناءكم الشعر تعذب ألسنتهم» .(2)

و مما يروى عنها، أنها تمثلت عند قبر عبد الرحمن بن أبي بكر بقول متمم بن نويرة :(3):

وَ كُنَّا كَنَدْمَانيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا

وَ عِشْنَا بِخَيْرٍ فِي الحَيَاةِ وَ قَبْلَنَا أَصَابَ المَنَايَا رَهْطَ كِسْرَى وَ تُبَّعَا

فَلَمَا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَ مَالِكًا لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعًا(4)

(1) موسوعة عائشة ، الحفني عبد المنعم ، ط1، القاهرة: مكتبة مدبول ، 2003 ، ص: 32 .

(2) العقد الفريد. 124/6.

(3) الكامل ، 249/3 .

(4) منتهى الطلب ، محمد بن المبارك ، ط1 ، تحقيق محمد نبيل الطريفي ، بيروت: دار صادر،1999، 384/6.

و- رواة القبائل :

عرفنا فيما سبق مكانة الشعر عند العرب ، و المنزلة التي يحتلها في نفوسهم فهو ديوان أخبارها و سجل أنسابها ، و فيه مفاخر الآباء و الأجداد ، و في هذا يقول ابن رشيق القيرواني :« **كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنّأتها وصنعت الأطعمة ، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر،كما يصنعون في الأعراس و يتباشر الرجال و الولدان ، لأنه حماية لأعراضهم ، وذبّ عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، و إشادة بذكرهم . كانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد ، أو شاعر نبغ فيهم أو فرس تنتج**»(1)

لذا كانت حاجة القبيلة ماسة إلى من يدافع عنها لا بالسيف فقط بل باللسان الذي يعد أمضى و أكثر تأثيرا من غيره و في هذا يشير الجاحظ:« لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد مآثرهم و يفخم شأنهم ،و يهول على عدوهم و من غزاهم و يهيب من فرسانهم و يخوف من كثرة عددهم » .(2)

و بما أن قيمة الشعر تصل إلى هذا الحد من الإجلال و الاعتزاز فلا عجب أن تجد قبيلة تغلب تردد أبيات عمرو بن كلثوم،حتى قال فيها شاعر[البسيط]:

أَلْهَى بَنِي تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ

يَرْوُونَهَا أَبَدًا مُذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ يَا لَلرِّجَالِ لِشِعْرٍ غَيْرِ مَشْؤُومِ (3)

فالقبيلة كانت تحفظ و تروي الشعر الذي ينظمه شعراؤها بما أنه يتصل بالعصبية، و مما يعزز مكانتها و سط القبائل الأخرى ، و قد ميز الطاهر أحمد مكي بين حفظ القبيلة و حفظ الراوية ، إذ يقول في هذا الصدد:« القبيلة تحفظ من قصيدة شاعرها ما يعلي شأنها ، و يسجل أمجادها ، فإذا تعرضت

---

(1) العمدة ، 1/ 109.

(2) البيان و التبيين ، 241/1.

(3) الشعر و الشعراء ، ص: 128 .

إلى حرب هزمت فيها تناست ذلك الشعر ، أو ما يمسها منه على الأقل روايتها لا تجري على نسق واحد و إنما ترتبط بأعمار أفراد القبيلة و أمزجتهم يحفظ منه الشباب ما كان غزلا يمس العواطف ، و يردد الرجال ما كان حماسة تلهب المشاعر ، ويتمثل الشيوخ ما كان حكمة ترضي العقل». (1) و بذلك يجعل الدكتور رواة القبيلة أكثر تخصصا ، بحيث كل فئة تعنى بمجال معين وفق العمر، و الدور الذي يناسب كل جيل من أجيال القبيلة غير أن الباحث لا يقدم نماذج يستأنس بها الباحثون في هذا المجال، و هو النقص الذي تنبه إليه الدكتور ناصر الدين الأسد،فقدم لذلك العديد من النماذج تمثلت في أخبار و روايات تدور حول ما كان يجري في مجالس خلفاء بني أمية بعامة ومعاوية و عبد الملك خاصة،كما أشار إلى ذلك يوسف غيوة في مقالته له(2)

إذا فالقبيلة تعد من المصادر المهمة للشعر العربي ، و كان الرسول صلى الله عليه و سلم يستنشد شعر شعراء القبائل ، إذا وفد إليه وافد من أفرادها و قد استنشد صلى الله عليه و سلم الشريد بن سويد الثقفي شعر أمية بن الصلت و هو من ثقيف ، فعن عبد الله بن الرحمن بن يعلى سمعت عمرو بن الشريد عن الشريد قال:« استنشدني النبيّ صلى الله عليه و سلم شعر أمية بن أبي الصلت فأنشدته ، فأخذ النبيّ صلى الله عليه و سلم يقول : هيه، هيه حتى أنشدته مائة قافية»(3)

و يروي أبو فرج الأصفهاني عن معاوية بن أبي سفيان،عن العتبي قال:« جرى بين عبد الله بن الزبير و عتبة بن أبي سفيان لحاء بين يدي معاوية ، فجعل ابن الزبير يعدل بكلامه عن عتبة و يعرّض بمعاوية ، حتى أطال و أكثر من ذلك

---

(1) دراسة في مصادر الأدب ، الطاهر أحمد مكي ، ص:14.

(2) مجلة الآداب ، العدد:3 ، تصدر عن معهد الآداب ، جامعة قسنطينة ، 1996 ، ص: 83.

(3) المزهر ، 309/2 .

فالتفت إليه معاوية متمثلا و قال :

وَ رَامَ بِعُورَانَ الكَلاَمَ كَأَنَّهَا نَوَافِرُ صُبْحٍ نَفَّرَتْهَا المَرَاتِعُ

وَ قَدْ يَدْحَضُ المَرْءُ المُوَارِبُ بِالخَنَا وَ قَدْ تُدْرِكُ المَرْءَ الكَرِيمَ المَصَانِعُ

ثم قال لابن الزبير:من يقول هذا ؟ فقال:ذو الإصبع العدواني من قيس عيلان فقال: أترويه ؟ قال: لا ، فقال:من هاهنا يروي هذه الأبيات؟ فقام رجل من قيس فقال : أنا أرويها يا أمير المؤمنين فقال : أنشدني ، فانشده حتى على قوله[الطويل] :

وَ سَاعٍ بِرِجْلَيْهِ لِآخَرَ قَاعِدٍ وَ مُعْطٍ كَرِيمٌ ذُو يَسَارٍ وَ مَانِعُ

وَ بَانٍ لِأَحْسَابِ الكِرَامِ وَ هَادِمُ وَ خَافِضُ مَوْلاَهُ سِفَاهًا وَ رَافِعُ

وَ طَالِبُ حُوبٍ بِاللِّسَانِ وَ قَلْبُهِ سِوَى الحَقِّ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ الشَّرَائِعُ (1)

و يروي ابن قتيبة:« دخل ابن أبي محجن على معاوية فقال له معاوية : أبوك الذي يقول [الطويل]

إِذَا مِتُّ فَادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقُهَا

وَ لَا تَدْفِنَنِّي بِالفَلَاةِ فَإِنَّنِي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَلاَّ أَذُوقُهَا(2)

و هذا عبد الملك بن مروان الذي أخذ يسأل جلساءه عن ذي الإصبع العدواني و لماذا سمي بهذا الاسم ، و كيف كان يسمى قبل ذلك ؟ و من أيّ عدوان هو؟ ، و أراد أن يسمع شعره من أحد أفراد قبيلته ، إذ يروي أبو فرج ذلك في كتابه:« فأقبل على الرجل و تركني و قال أنشدني قوله :

*** غَدِيرَ الحَيِّ مِنْ عُدْوَانَ ***

قال الرجل لست أرويها ، قلت:يا أمير المؤمنين إن شئت أنشدتك ، قال:أدن منّي فإني أراك بقومك عالما ، فأنشدته :

---

(1) الأغاني ، الإصفهاني أبو الفرج ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، ط2 ، القاهرة : دار الكتب المصرية،1952، 100/3، 101.

(2) الشعر و الشعراء ، ص: 254، 255.

وَ لَيْسَ المَرْءُ فِي شَيْءٍ مِنَ الإِبْرَامِ وَ النَّقْضِ
إِذاَ أَبْرَمَ أَمْرًا خَا لَهُ يَقْضِي وَ مَا يَقْضِي
يَقُولُ اليَوْمَ أَمْضِيهِ وَ لَا يَمْلِكُ مَا يُمْضِي
غَدِيرَ الحَيِّ مِنْ عُدْوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ
بَغَى بَعْضُهُمْ بَعْضَا فَلَمْ يُبْقُوا عَلَى بَعْضِ
وَ مِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَا تُ وَ المُوفُونَ بِالقَرْضِ(1)

و عن عمر بن سعيد قال:« حدّثني أبي قال : قدم علينا إبراهيم بن متمّم بن نويرة فنزل بنا ، فكلمت فيه عبد الملك بن مروان فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت بدويا يشبه عقلا و فضلا . قال : أدخله ، فأدخلته ، فرأى منه ما رأينا منه فقال : أنشدنا بعض مراثي ابن عمّك . قال : فأنشده[الكامل] :

نِعْمَ الفَوَارِسُ يَوْمَ نُشْبَةَ غَادَرُوا تَحْتَ التُّرَابِ قَتِيلَكَ ابْنَ الأَزْوَرِ

فلما انتهى إلى قوله[الكامل] :

أَدَعَوْتَهُ بِاللهِ ثمُّ قَتَلْتَهُ لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِمِثْلِهَا لَا يَغْدِرُ (2)

و كذلك كان يفعل خلفاء بني العباس ، إذ كانت مجالسهم قبلة للشعراء و العلماء و الفقهاء ، يحبون سماع الشعر و إنشاده ، و كثيرا ما كانوا يستنشدون الوافدين إليهم شعر شعرائهم ، فعن أحمد بن القاسم بن يوسف قال: « حدثني حرّ بن قطن أن ثمامة بن الوليد دخل على المنصور ، فقال : يا ثمامة ، أتحفظ حديث بن عمك عروة الصعاليك بن الورد العبسي ؟ فقال : أيّ حديثه يا أمير المؤمنين ؟ فقد كان كثير الحديث حسنه ، قال : حديثه مع الهذلي الذي أخذ فرسه ، قال : ما يحضرني ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين».(3)

---

(1) المصدر السابق ، ص :511.

(2) الموشح ، المرزباني أبو عبيد الله،عنيت بنشره جمعية نشر الكتب المصرية،مصر:المطبعة السلفية، 134هـ، ص: 240.

(3) الأغاني ، الإصفهاني ، 83/3 .

فالقبائل كانت تمثل مصدرا مهما للشعر ، لأنه يمثل الوعاء الذي يحفظ تراثها ، و كان الرواة يأخذون من بعض القبائل العربية شعر شعرائها ، وقد ساق ناصر الدين الأسد العديد من الأمثلة التي تشير إلى هذه الظاهرة. (*) و سنسوق البعض منها على سبيل التمثيل ، فعن أحمد بن القاسم بن يوسف قال:« حدثني حرّ بن قطن أن ثمامة بن الوليد دخل على النصور، فقال :يا ثمامة ، أتحفظ حديث بن عمك عروة الصعاليك بن الورد العبسي ؟ فقال : أي حديثه يا أمير المؤمنين؟ فقد كان كثير الحديث حسنه»(1)

و جاء في كتاب المعمرين ، و قالوا: و عاش شريح بن هانىء بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن سلمة..و هو الضباب بن الحارث بن كعب بن مذحج..عشرين و مائة سنة فيما ذكر ابن الكلبيعن أبي مخنف قال : أخبرنا أشياخنا من بني الحارث قالوا : ثم قتل في ولاية الحجاج بن يوسف مع ابن أبي بكرة فقال و هو يرتز قبل أن يقتل [الرجز]:

قَدْ عِشْتُ بَينَ الْمُشْرِكِينَ أَعْصُرَا ثَمَّتَ أَدْرَكْتُ النَّبِيَّ الْمُنْذِرَا

وَ بَعْدَ صِدِّيقِهِ وَ عُمَرَا وَ يَوْمَ مِهْرَانَ وَ يَوْمَ تُسْتَرَا

وَ الْجَمْعَ فِي صِفِّينِهِمْ وَ النَّهْرَا هَيْهَاتَ مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعُمْرَا(2)

و قال أبو حاتم ...و ذكروا أن قوما من إياد قدموا على النبي فسألهم عن حكمة قس فأخبروه ، و كان أحسن أهل زمانه موعظة و أنشدوه قوله[البسيط] :

يَانَاعِيَ الْمَوْتِ وَ الْأَمْوَاتُ فِي جَدَثٍ عَلَيْهِمْ مِنْ بَقَايَا بَزِّهِمْ خِرَقُ

دَعْهُمْ فَإِنَّ لَهُمْ يَوْمًا يُصَاحُ بِهِمْ كَمَا يُنَبَّهُ مِنْ نَوْمَاتِهِ الصَّعِقُ(3)

(*) مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية من الصفحة [231 - 237]

(1) الأغاني ، 83/3.

(2) المعمرون ، السجستاني محمد بن عثمان ، تحقيق أحمد بن الأمين الشنقيطي، مصر:مطبعة السعادة،1905،ص:38.

(3) المصدر نفسه ، ص :70.

ز- رواة شعر الفتوح :

بعد أن مكّن الله عزّ و جلّ لدينه في بلاد العرب، و دخل الناس فيه أفواجا مقبلين على الإسلام بقلوبهم و عقولهم لأنهم وجدوا فيه النور و الهداية ، وخلصهم من أدران الجاهلية و ضلالها ، و فتح أعينهم على حياة تقوم على عبادة رب واحد لا شريك له وعلى شريعة أساسها العدل و المساواة بين الجميع .

فرفع عنهم الجور و أحل العدل و أشاع الأمن، فالكل سواء عند الله عزّ و جلّ و مقياس التفاضل بينهم هو التقوى فلا يعتد بجنس و لا بحسب و نسب ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾(1).

امتثل المسلمون هذه القيم الجديدة ، و التزموها أحسن ما يكون الالتزام ، وكان هاديهم و قدوتهم في ذلك الرسول ﷺ خاتم الأنبياء و المرسلين، المبعوث إلى الناس كافة و رحمة للعالمين، و كان من تكريم الله للعرب أن جعل النبوة فيهم و حمّلهم تبليغ الرسالة إلى أقطار الأرض .

بعد أن التحق النبي صلى الله عليه و سلم بالرفيق الأعلى و استخلاف المسلمين أبو بكر الصديق ظهر ما يعرف بحروب الردّة ، و قد خاضها الصديق بكل صرامة و حزم حتى أخضع القبائل المرتدة و قضى على المرتدين ، فدانت له العرب ، فأصبحت الأنظار تتجه نحو خارج الجزيرة ليبلغوا الرسالة التي كلفوا بحملها إلى الآفاق .

أخذ المسلمون يتدفقون صوب ممالك الروم و الفرس يجاهدون و ينشرون الدين الله الذي ارتضاه للناس كافة ، فخاضوا معارك ضارية أظهرو ا فيها بسالة و شجاعة منقطعتي النظير ، أرهبوا عدوهم الذي كان يراهم أجلافا ، جلبهم الجوع و الفقر و كانوا يرون هذا تطاولا من العرب عليهم .

خرج العرب يطلبون إحدى الحسنيين:« النصر و التمكين لدين الله أو الشهادة في

---

(1) الحجرات: الآية :13.

سبيله و ما ينتظره من نعيم في الآخرة ، و قد مدح القرآن الكريم هؤلاء في قوله عز و جل : ﴿ **مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدّلُوا تَبْدِيلاً**﴾(1)

و كان منهم من ترك أهله و أحباءه و باع نفسه لله ، وفي ذلك يقول عز و جل : ﴿ **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَ مَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾(2) فهذا نابغة بني جعدة يقول لامرأته حين خروجه للغزو [البسيط]:

بَاتَتْ تُذَكِّرُنِي بِاللهِ قَاعِدَةً وَ الدَّمْعُ يَنْهَلُّ مِنْ شَأْنَيْهِمَا سَبَلاَ
يَا ابْنَةَ عَمِّي كِتَابُ اللهِ أَخْرَجَنِي كُرْهًا وَ هَلْ أَمْنَعَنَّ اللهَ مَا فَعَلاَ
فَإِنْ رَجَعْتُ فَرَبُّ النَّاسِ أَرْجَعَنِي وَ إِنْ لَحِقْتُ بِرَبِّي فَابْتَغِي بَدَلا
مَا كُنْتُ أَعْرَجَ أَوْ أَعْمَى فَيَعْذِرَنِي أَوْ ضَارِعًا مِنْ ضَنًى لَمْ يَسْتَطِعْ حِوَلاَ (3)

فكان كل مسلم إلا و يرغب في الجهاد في سبيل الله و نشر دينه ، و كان من يدفع بنيه إلى الجهاد و يحثهم عليه و قصة الخنساء مع بنيها الأربعة مشهورة ، و قد نال جميعهم الشهادة في معركة القادسية ضد الفرس فما كان منها حين سمعت الخبر أن قالت:«الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم»(4) و كانوا يقبلون على الأعداء و هم ينشدون أشعارا حماسية يشيدون فيها بشجاعتهم و بأسهم في الحرب ، و ما ألحقوه بالكفار المشركين الذين ولوا مدبرين خائبين أمام إقدام المسلمين و قوتهم ، من خسائر في الأرواح و ما غنموه منهم. ففي معركة اليرموك ضد الروم التي انتصر المسلمون

فيها يقول القعقاع بن عمرو [الوافر]:

---

(1) الأحزاب :الآية : 23.

(2) النساء :الآية : 74.

(3) الشعر و الشعراء ، ص: 165

(4) شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، النعمان بن عبد المتعال القاضي ، رسالة ماجستير ،كلية الآداب ، جامعة القاهرة . ص:42.

أَلَمْ تَرَنَا عَلَى اليَرْمُوكِ فُزْنَا كَمَا فُزْنَا بِأَيَّامِ العِـرَاقِ
وَ عَذْرَاءَ المَدائِنِ قَدْ فَتَحْنَا وَ مَرْجَ الصَفْرِ عَلَى العِتَاقِ
فَتَحْنَا قَبْلَهَا بُصْرَى وَ كَانَتْ مُحَرَّمَةَ الجَنَابِ لَدَى النِعَاقِ
قَتَلْنَا مَنْ أَقَامَ لَنَا وَ فِينَا نَهَابُهُمْ بِأَسْيَافٍ رِقَـاقِ
قَتَلْنَا الرُّومَ حَتَّى مَا تَسَاوَى عَلَى اليَرْمُوكِ مَعْرُوقُ الوِرَاقِ(1)

و فيها يقول الأسود بن مقرن التميمي مشيدا بالنصر و شجاعة الفاتحين:

وَ كَمْ أَغَرْنَا غَارَةً بَعْدَ غَارَةٍ يَوْمًا وَ يَوْمًا كَشَفْنَا أَهَاوِلَهْ
وَ لَوْلاَ رِجَالٌ كَانَ عَشْوُ غَنِيمَةٍ لَدَى مَأْقَطَ رَجَّتْ عَلَيْنَا أَوَائِلُهْ
لَقَيْنَاهُمْ اليَرْمُوكَ لَمَّا تَضَايَقَتْ بِمَنْ حَلَّ بِاليَرْمُوكِ مِنْهُ حَمَائِلُهْ (2)

و كانت الوقائع كثيرة بين العرب الفاتحين و الفرس ، منها وقعة النمارق التي كان الفوز حليف المسلمين فسجل أحد الفاتحين هذا النصر [الطويل]:

لَعَمْرِي وَ مَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ لَقَدْ أَصْبَحَتْ بِالخِزْيِ أَهْلُ النَمارِقِ
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ يَجُوسُونَهُمْ مَا بَيْنَ دَرْنَا وَ بَارِقِ
قَتَلْنَاهُمْ مَا بَيْنَ مَرْجٍ مَسْلَـحٍ وَبَيْنَ الهَوَانَى مِنْ طَرِيقِ التَدَارُقِ (3)

و من أشهر المعارك التي خاضها المسلمون ضد الفرس ، هي معركة القادسية التي شهدت حشدا كبيرا من طرف الفرس و قد أشار الواقدي إلى ذلك في قوله:« و كان المشركون زهاء مائة ألف و عشرين ألفا منهم ثلاثون فيلا و رايتهم العظمى التي تدعى (درفشكابيان)وكان جميع المسلمين ما بين تسعة آلاف إلى عشرة آلاف».(4) و كان أبو محجن من الذين شاركوا في هذه المعركة ، و قد سجنه سعد بسبب شرب الخمر فقيد و وضع في القصر،فلما رأى الخيول تجول حول حمى القصر قال[الطويل] :

---

(1) البداية و النهاية ، 16/7.
(2) المصدر نفسه ، 16/7.
(3) المصدر نفسه ، 28/7.
(4) فتوح البلدان ، ص :357.

كَفَى حَزَنًا أَنْ تُدْعِسَ الخَيْلُ بِالقَنَا وَ أُتْرَكَ قَدْ شُدُّوا عَلَيَّ وِ ثَاقِيَ
إِذَا قُمْتُ غَنَّانِي الحَدِيدُ وَ غُلِّقَتْ مَصَارِيعُ مِنْ دُونِي تَصِمُّ المُنَادِيَا
وَ قَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَ إِخْوَةٍ وَ قَدْ تَرَكُونِي مُفْرَدًا لَا أَخَا لِيَا

ثم سأل زبراء أم ولد سعد أن تطلقه و تعيره فرس سعد ، و حلف لها أنه يرجع آخر النهار فيضع رجله في الحديد ، فأطلقته و ركب فرس سعد و خرج ، فقاتل قتالا شديدا و جعل سعد ينظر إلى فرسه فيعرفها و ينكرها. (1).

و قال زهير بن عبد شمس بت عوف البجلي[مجزوء البسيط] :

أَنَا زُهَيْرُ وَ ابْنُ عَبْدِ شَمْسِ أَرْدَيْتُ بِالسَّيْفِ عَظِيمَ الفُرْسِ
رُسْتُمَ ذَا النَّخْوَةِ وَ الدِّمَقْسِ أَطَعْتُ رَبِّي وَ شَفَيْتُ نَفْسِي(2)

و إن كان هذا الضرب من الشعر يتغنى فيه الشاعر بفروسيته و إقدامه على الحرب و كله حماس في نشر دين الله و طلبا للشهادة ، لذا فهو لا يني عن مقارعة الأبطال في ساحة النزال ، ينتابه فيض من مشاعر الشوق و الحنين إلى الأهل و الأحبة الذين ناءت بهم الأوطان و الحزن على من سقط شهيدا و رثائه بأبيات حرى ، إضافة إلى أنهم وصفوا كل ما شاهدوه في تلك البلدان النائية التي فتحوها .

و من أمثلة ذلك ما قاله طليحة بن خويلد[السريع] :

طَرَقَتْ سُلَيْمَى أَرْحُلَ الرَّكْبِ أَنِّى اهْتَدَيْتُ بِسَبْسَبٍ سَهْبِ
أنَّ ّى كَلِفْتُ سُلَامَ بَعْدَكُمْ بِالغَارَةِ الشَّعْوَاءِ وَ الحَرْبِ
لَوْ كُنْتِ يَوْمَ القَادِسِيةِ إِذْ نَازَلْتُهُمْ بِمُهَنَّدِ غَضْبِ
أَبْصَرْتِ شَدَّاتِي وَ مُنْصَرِفِي وَاقَامَتِي لِلْطَّعْنِ وَ الضَّرْبِ(3)

و فال بشر بن ربيعة بن عمرو الخثمي :

أَلَمَّ خَيَالٌ مِنْ أُمَيْمَةَ مُوهِنًا وَ قَدْ جَعَلَتْ أُولَى النُّجُومِ تَغُورُ

---

(1) البداية و النهاية ، 47/7.

(2) فتوح البلدان ، ، ص: 363.

(3) المصدر نفسه . ص: 365.

وَ نَحْنُ بِصَحْرَاءَ العُذَيْبِ وَ دَارُهَا حِجَازِيَّةٌ إِنَّ الْمَحَلَّ شَطِيـرُ

وَ لاَ غَرْوَ أَلاَ جَوْبُهَا البِيدُ فِي الدُّجَى وَ مِنْ دُونِنَا رَعْنٌ أَشَمُّ وَقُورُ(1)

و رغم كثرة هذا الشعر و وفرته ، و ما يحتويه من عواطف دفّاقة ، و تجارب جديدة خاضها المسلمون في هذه البيئات التي وفدوا عليها و تفاعلوا بها ، إلا أنه لم يلق العناية اللازمة من طرف العلماء و الأدباء إلا في نطاق محدود ، و ظل جلّه حبيس كتب المغازي و الفتوحات و التاريخ و السير ، و استغل كوثيقة تاريخية أو كشاهد على خبر أو على واقعة من الوقائع أو على رواية أو زينة لها دون أن يتجاوزوا ذلك. و يشير النعمان عبد المتعال القاضي إلى أولئك الذين تعرضوا لدراسة الفتوحات لم يعنهم منها إلا مجرد سردا للحوادث ، دون النفاذ إلى الروح التي تكمن وراءها كعامل مؤثر في الحياة الإسلامية بعامة ، و في الأدبية خاصة و أنه يتعين على دارسي العصور الأدبية في الأقاليم الإسلامية التي هاجر الشعر أن يعنوا بدراسة حركة الفتح الإسلامي ، و ما تشتمل عليه من البذور الفاعلة من هجرة الدين و اللغة و الدم(2).

و قد أشار القيسي إلى هذه النقطة حيث قال:« و من الطبيعي أن يكون هذا الضرب الشعري لونا غير مألوف ، أو رافدا لم تتهيّأ له الأساليب الفنية المألوفة في هيكل الشعري ، و ربما كان هذا السبب من الأسباب التي دفعتهم إلى الابتعاد عنه أو عدم الاستشهاد به »(3) و مما يؤكد هذا الإغفال أن أغلب الشعراء مغمورون و مجهولون ، و قد حاول البعض أن يضعه موضع الآداب الشعبية التي تنتشر في الأوساط العامة التي تتخذها للسمر، و يتصرفون فيها لتكون محل

---

(1) المصدر السابق ، ص:365.

(2) شعر الفتوح الإسلامية ، ص:15.

(3) شعراء إسلاميون ، القيسي نوري حمودي ، ط2 ، مكتبة النهضة العربية و عالم الكتب ، 1984.

إعجابهم.و من الدارسين من حاول أن يجعل من هذا الشعر ملحمة تحتاج إلى أن تجمع و تنسق لتشكل عملا فنيا كاملا ، و إن كان هذا الشعر لا يمت إلى شعر الملاحم بصلة و ثيقة لأن هذا الشعر يتميز بغنائيته و ذا تيه ، كما يشير إلى ذلك النعمان عبد المتعال القاضي في قوله:« يتغنى فيه المجاهدون بجهادهم و بلائهم يفخرون فيه بشجاعتهم و تفانيهم و فعالهم بالعدو ، في حين أن شعر الملاحم شعر قصصي يعنى بحكاية الأحداث في إطار من التهويل و المبالغة و الإغراق في الخيال».(1) و أيّا ما كان فهذا الضرب من الشعر يمثل الشعر العربي في مرحلة من مراحله التي شهدت ظروفا جديدة ، جعلت الشاعر يخرج من موطنه حاملا رسالة سماوية ، آمن بها و تمثلها ، و كان مطالبا بتبليغها و نشرها إلى الناس ، فكان شعره تعبيرا صادقا عن تجربة جديدة في تلك البيئات الجديدة .

و قد أغفل العلماء و الرواة هذا الضرب من الشعر، لأنه كان خارج الخارطة التي رسمها العلماء و التي قيدوا أنفسهم فيها ، و لا يستجيب للشروط التي وضعوها والأهداف التي سطروها، فكانت وجهتهم البادية ، و كان هدفهم البحث عن الشاهد و غريب اللغة، و قد أشار إلى ذلك الجاحظ في قوله:« **و لم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب. و لم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج. و لم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد و المثل**»(2)

و في العصر الحديث أشار الرافعي إلى مثل هذا الكلام أثناء حديثه عن الإسناد في الأدب و فشو الكذب و التوليد منذ القرن الأول ، و اشتغال أهل التفتيش و التحقيق من العلماء ، إلا حيث يكون الخبر أو الشعر مظنة الشاهد و موضع

---

(1) شعر الفتوح الإسلامية ، مرجع سابق.ص:22.

(2) البيان و التبيين ، مصدر سابق ، 24/4.

المثل ، فهناك يضربون دونه بالإسناد مخافة أن يجري في شيء العلوم من التي قوامها الأصلين الكتاب و السنّة قائلا:« و لو أنهم تناولوا ببعض تلك العناية كبار الرواة و فحول الشعراء و نوابغ الكتاب ، لكانت العربية اليوم أغنى اللغات آدابا و أمتنها أسبابا ، و أو سعها في تاريخ الآداب كتابا ، و لكن الأدباء لم يجنوا من ذلك إلا ثمرة المراء و نكد الخلاف و لم يحصلوا إلا الأشياء القليلة مما يتعلق باللغة لأنها موضع الشاهد»(1).

(1) تاريخ آداب العرب ، الرافعي ، 233/1

ح –**الشعراء الرواة** :

قسم الشعراء إلى أربعة أقسام،فقالوا:«الشعراء أربعة: شاعر خنديد و هو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيّد من شعر غيره، وسئل رؤبة عن الفحول فقال:« هم الرواة، و شاعر مفلق ، وهو الذي لا رواية له إلا أنه مجوّد كالخنديد في شعره وشاعر فقط،و هو فوق الرديء بدرجة و شعرور و هو لا شيء»(1).

فالنقاد و اللغويون يقدمون الشاعر الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيّد من شعر غيره ، و أصبح يمثل بالنسبة إليهم المقياس الذي يصنفون من خلاله الشعراء أو ما اصطلحوا عليه بـ:«**الفحولة**» . وقد استفادوا هذا المقياس من تصفح حركة الشعر العربي في أطواره المختلفة ، فمعظم الشعراء المجيدين إلا وقد لزم شاعرا في مرحلة سابقة ، يحفظ شعره و يرويه ،و هي نوع التلمذة ، يقول القاضي الجرجاني في كتاب الوساطة:«وقد كانت العرب تروي وتحفظ، ويعرف بعضها برواية شعر بعض ،كما قيل: إن زهيرا كان راوية أوس ، و إن الحطيئة راوية زهير و إن أبا ذؤيب راوية ساعدة بن جؤية ،فبلغ هؤلاء في الشعر حيث تراهم وكان عبيد راوية الأعشى» (2) يأخذ فيها التلميذ عن أستاذه أفانين الكلام و أسرار هذا الفن ، حتى ينقاد إليه الكلام وتسلس طريقه ، فيتفتق لسانه بشعر جميل مؤثر ، أي تكتمل شخصيتهم الفنية .

و قد تجد من لا يكتفي بشاعر واحد، بل يروي لعدة شعراء، و قد تتسلسل حلقة الشعراء الرواة لتكون شبه مدرسة فنية في الشعر،تبدأ بأوس بن حجر و تمتد إلى العصر الإسلامي إلى كثيّر كما في كتاب ً في الأدب الجاهلي:«فأرى أن الرواة يحدثوننا بأن زهير كان راوية أوس حجر، و أن الحطيئة كان راوية زهير ، و أن

---

(1) المزهر ، 489/2 ، 490.

(2) الوساطة ، 16 .

كعب بن الزهير كان شاعرا، تعلم الشعر من أبيه»(1) ثم يواصل حديثه إلى أن يقرر أن هؤلاء تجمعهم رابطة فنية فيقول: « فإنا بإزاء مدرسة شعرية معينة أستاذها أوس بن حجر ، و أستاذها الثاني زهير ، و أستاذها الثالث الحطيئة الذي أخذ عنه في الإسلام جميل و عن جميل أخذ كثيّر »(2).

و قد أشار الأصمعي قديما إلى خيط يجمع بين شعراء كانوا كثيري الاهتمام بشعرهم الذين أشار إليهم طه حسين ، فيسهرون على تنقيحه و تهذيبه ، و يتأنون في مراجعته حتى يسقيم في أكمل صورة يرونها ، عندها يعلنونه على الملأ ، و أطلق عليهم عبيد الشعر و الذين لم يذهبوا مذهب المطبوعين من الشعراء فيقول:« زهير و الحطيئة و أشباههما من الشعراء عبيد الشعر ، لأنهم نقحوه ، و لم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين ». و كان الحطيئة يقول: «خير الشعر الحولي المنقح المحكك»(3)

قد لا تكون الصلة فنية فحسب بل تكون الصلة صلة قرابة كصلة زهير بأوس زوج أمه و أبنائه كعب و بجير في الجاهلية ، و صلة جرير بأبنائه في الإسلام و في هذا يقول ابن سلام:« لم يزل في ولد زهير شعر ، و لم يتصل في ولد أحد من فحول الجاهلية ما اتصل في ولد زهير ، و لا في ولد أحد من الإسلاميين ما اتصل بولد جرير»(4)

و أهم طبقة هي طبقة الشعراء الرواة و التي كان لها اليد الطولى في حفظ الشعر الجاهلي ، جمعهم القرن الأول الهجري كالفرزدق و جرير و الطرماح و الكميت و رؤبة و ذلك لتوفر عاملين إثنين: الأول:قربهم من العصر الجاهلي و الثاني:أدركوا طبقة من الشعراء كانت بمثابة همزة الوصل بين العصر الجاهلي و العصر الإسلامي يطلق عليهم الشعراء المخضرمون كالحطيئة و حسان بن ثابت و النابغة ـــــ

(1) في الأدب الجاهلي ، حسين طه ، ط3 ، القاهرة: مطبعة فاروق ، 1933 ، ص :281.

(2) المرجع نفسه ، 282.

(3) الشعر والشعراء ، 21 ، 22 .

(4) طبقات فحول الشعراء ، 110/1.

الجعدي و غيرهم . إذ رووا و حفظوا لفحول الشعر الجاهليين و لم يكن الواحد منهم يحفظ لشاعر بعينه، بل يروي لأشهر الشعراء سواء أكان من قبيلته أو من قبائل أخرى ، وسيأتي على تفصيل ذلك في الفصل الموالي إن شاء الله .

و قد نجد من الشعراء من أدرك من أهله من عاش فترة من الزمن في العصر الجاهلي مثل رؤبة قال:«حدثني أبي عن أبيه قال: حدثتني عمتي و كانت في دارم قالت: سألت امرأ القيس و هو يشرب في ظلاله مع علقمة بن عبدة ما معنى قولك : كرّك لأمين على نابل ؟»(1)

و الثاني هو الكميت إذ نقل عن حماد الراوية أنه قال:« كانت للكميت جدتان أدركتا الجاهلية ، فكانتا تصفان له البادية و أمورها ، و تخبرانه بأخبار الناس في الجاهلية ، فإذا شك في شعر أو خبر عرضه عليهما فتخبرانه عنه ، فمن هناك كان علمه»(2)

---

(1) التنبيهات لأغاليط الرواة ، البصري أبو القاسم علي ، ط 3 ، حققه عبد العزيز الميمني ، القاهرة : دار المعارف ، 1986، ص: 88،89.

(2) تاريخ آداب العرب ، 1/ 229.

2- جمع القرآن الكريم و تدوينه:

القرآن كتاب الله والمعجزة الخالدة ، المنزل على خير البشر محمد ﷺ بواسطة أعظم ملائكة الرحمن الروح الأمين جبريل عليه السلام ، كتاب جاء ليخرج الناس من ظلمات الجاهيلة إلى نور الإسلام،من عبادة الأوثان إلى عبادة رب واحد لا شريك له خالق السماوات و الأرض وما بينهن،و كرم الله أمة العرب بحمل عبء الرسالة و نشرها في أرجاء المعمورة،و اقتضت حكمته أن تكون اللغة العربية دون سائر اللغات هي لغة القرآن﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾(1) فبالإضافة إلى كونه كتاب هداية و شريعة ، فإنه كذلك معجزة بيانية ، تحدى الرسول الكريم قريش والعرب على أن يأتوا بمثله فما استطاعوا بعد الكيد و الكذب والبهتان ، وأذعنوا صاغرين ، لأنه لامس شغاف قلوبهم فبهرهم ببيانه و جمال أسلوبه ، وهم أرباب الفصاحة .

كما اقتضت حكمته كذلك أن ينزل منجما حسب الظروف و الأحوال لقوله تعالى:﴿ **وَ قُرْآنًا فَرَّقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى مُكْثٍ وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** »(2) وقد رد القرآن على أولئك الذين قالوا لولا نزل عليه جملة واحدة بقوله عز و جل:« **وَ قَالَ الذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ دُفْعَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَ رَتَلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾(3)

القرآن الكريم هو أول كتاب دوّن عند العرب إذ كان الرسول ﷺ يأمر بكتابة كل ما ينزل منه وقت نزوله ،واتخذ لذلك جماعة من كرام الكاتبين مثل عليّ كرم الله وجهه و عثمان وزيد بن ثابت و أبي بن كعب فدونوه على اللخاف(*) و العسب(*)*والرقاع(*)**.ومضى كثير من كتبة الصحابة يحفظونه على ظهر قلب

---

(1) سورة يوسف:الآية : 2.

(2) سورة الإسراء: الآية:106.

(3) سورة الفرقان: الآية:32

(*) اللخاف: ج/ لخفة و هي صفائح الحجارة البيض الرقاق،فيها عرض و دقة

(*)* العسب: ج/ عسيب و هو جريد النخل (لسان العرب)

(*)** الرقاع: ج/ رقعة و هي التي يكتب فيها و تكون من جلد أو كاغد.

فمن المهاجرين نذكر: أبو بكر ، وعمر ، عثمان،وطلحة ،و سعد ،و ابن مسعود ،وحذيفة ،و أبو هريرة ،و ابن عمر ،و ابن عباس ،و عمرو بن العاص وعائشة ،وحفصة .ومن الأنصار نذكر:زيد بن ثابت ،و معاذ بن جبل ،و أبي بن كعب ،و أبو الدرداء ،و أنس بن مالك. و كان البعض منهم يكتبونه لأنفسهم . على أنهم جميعا لم يعولوا كتابته فقط ، إنما عولوا أولا على الحفظ و أخذه شفاها عن الرسول الأمي ، الذي كان يحفظه و يتلوه على المسلمين(1)

وقد تكفل الله عز و جل بحفظة ليطمئن قلب نبيه ﴿ **وَ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** ﴾».(2)

و قال أيضا :« **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾(3)

انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى بعد أن رتب آياته إذ روى عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان إذا نزلت سورة دعا بعض من يكتب فقال:« ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا و كذا »و هذا يدل على أنه أمر توقيفي ، ولم يجمع القرآن الكريم في كتاب واحد لأن الوحي كان متعلقا بحياة الرسولﷺ فما أن انقطع الوحي لحق الرسولﷺبربه و هذا ما يؤكده حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:« أن الله تعالى تابع على رسوله صلى الله عليه و سلم الوحي قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي ، ثم توفي رسول الله ﷺ بعد»(4) وقد أدرك الصديق رضي الله عنه ذلك فانقطاع القرآن دلالة قرب وفاة الرسول ﷺ.

---

(1) العصر الإسلامي ، ضيف شوقي، ص: 25

(2) سورة القيامة:الآية: 16 ،17.

(3) سورة الحجر: الآية :9.

(4) مختصر صحيح البخاري، الحسين بن مبارك ، حديث[1767/ 4981] ، دار الفكر للطباعة و النشر 2005.

وعرف حفظة القرآن بالقرّاء وكانت مهمتهم على نقله و إقراء بلغاته وليس عليهم أن يعرضوا لمعانيه. تقلد أبو بكر الصديق أمر المسلمين ،فكان أول خليفة للرسول عليه السلام وقد ارتدت بعض القبائل العربية ، فخاض الخليفة حربا شديدة ضد هؤلاء واشتد القتل بالقرّاء في غزوة اليمامة و وصل إلى السبعين الأمر الذي جعل عمر بن الخطاب يدخل على أبي بكر و يطلب منه أن يجمع القرآن الكريم ، و الحادثة يرويها البخاري في صحيحه:« عن زيد قال : أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إنّ القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن ، وأني أخشى أن يستحر القتل بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

قلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال عمر: و الله إن هذا خير.

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، و قد رأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : و قال أبو بكر : إنك شاب عاقل لا أتهمك ، و قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن و اجمعه .

قال زيد : فو الله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ فقال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر و عمر . فتتبعت القرآن أجمعه من العسب و اللخاف و صدور الرجال»(1)

---

(1) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي بدر الدين ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،القاهرة:دار التراث ،1957 ، 233/1 .

وقد اختار أبو بكر زيد بن ثابت لأنه كان حافظا ، ومن كتبة الوحي و صاحب العرضة الأخيرة. وقد أمر أبو بكر الصديق أن لا يؤخذ من حافظ شيء حتى يشهد شاهدان عدلان بصحته و أنه كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . احتفظ أبو بكر بالصحف إلى أن توفي ، فانتقلت إلى عمر رضي الله عنه إلى أن لاقى ربه ،ثم انتقلت إلى ابنته حفصة، ويوم ذاك اتسعت الفتوحات وتفرق المسلمون في الأمصار ، فأخذ أهل كل مصر عن رجل من بقية القراء. فأهل دمشق و حمص أخذوا عن المقداد بن الأسود ، أهل الكوفة أخذوا عن ابن مسعود ، و أهل البصرة أخذوا عن أبي موسى الأشعري- و كانوا يسمون مصحفه لباب القلوب – وقرأ كثير من أهل الشام بقراءة أبيّ بن كعب ، وكانت وجوه القراءة التي يؤدى بها القرآن مختلفة باختلاف الأحرف من أهل تلك الأمصار التي نزل عليها (1)

و لما غزا المسلمون إرمينية و أذربيجان ، رأى حذيفة بن اليمان اختلاف المسلمين في وجوه قراءة القرآن وتصعد الخلاف بينهم إلى درجة أن أخذ يكفر بعضهم بعضا ، أخذت الأمور تنذر بفتنة تأتي على الأخضر و اليابس، الشيء الذي جعل هذا الصحابيّ يعجل إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان لتدارك الأمر قبل فوات الأوان،و قد روى البخاري في صحيحه عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، و كان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية و أذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة و قال حذيفة لعثمان:« أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في كتاب الله اختلاف اليهود و النصارى» . فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك . فأرسلت بها إليه ، فأمر زيد بن ثابت و عبد الله بن الزبير و سعد بن أبي الوقاص

---

(1) تاريخ آداب العرب ، الرافعي ، 30/2.

وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة :« إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم . ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل في كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق» (1) وأخذ المسلمون يقرأون القرآن على حرف مصحف عثمان رضي الله عنه ، إلا أنهم اختلفوا في هذا الحرف ، فكانت ما يسمى بالقراءات ، فالقراء يقرئون الناس قراءة متواترة تنتهي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . و كان هذا الاختلاف تيسيرا و تخفيفا اعتمادا على الحديث النبوي الشريف : ﴿ **إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** ﴾(2)

إذا لقد عرف هذا الأمر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والكثير من الروايات المتواترة تصب في هذا المجال، نذكر منها ما حدث بين عمر بن الخطاب و هشام بن حكيم ،كما في صحيح البخاري:« عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ،فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم،فكدت أساوره في الصلاة فتصبّرت حتى سلّم فلبّبته بردائه، فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟. قال:أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت :كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت:إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال

---

(1) البرهان في علوم القرآن ، 1/ 236 .

(2) مختصر صحيح البخاري ، الحسين بن مبارك ،حديث[3992،1768].

رسول الله عيه الصلاة و السلام:أرسله اقرأ يا هشام ، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت ، ثم قال : اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا ما تيسر منه»(1)

و عن أبيّ بن كعب قال:« أقرأني رسول الله صلى الله عليه و سلم سورة ،فبينا أنا في المسجد جالس إذ سمعت رجلا يقرؤها يخالف قراءتي فقلت له: من علمك هذه السورة فقال: رسول الله ﷺ ، فقلت:لا تفارقني حتى نأتي رسول الله ﷺ فأتيته فقلت: يا رسول الله إن هذا خالف قراءتي في السورة التي علمتني فقال رسول الله ﷺ : اقرأ يا أبي فقرأتها فقال لي رسول الله ﷺ :أحسنت ، ثم قال للرجل:اقرأ فقرأ فخالف قراءتي فقال له رسول الله ﷺ : أحسنت ثم قال رسول الله رسول الله ﷺ:« **يَا أُبَيُّ إِنَّهُ أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهُنَّ شَافٍ كَافٍ**»(2)

اتفقت الأمة على سبعة قراء هم : أبو عمرو بن العلاء ، و حمزة بن حبيب و عاصم بن أبي النجود ، و عبد الله بن عامر اليحصبي ، و عبد الله بن كثير و نافع بن أبي نعيم ، والكسائي.

انطلاقا مما سبق نرى أن القرآن الكريم قد حضي بعناية فائقة ،إذ كانت الآيات تدوّن فور نزولها فكان الصحابة الكرام يحفظونها و يدونونها ، كما أن القرآن الكريم متعبد بتلاوته، لذا فإن المسلمين يتلونه في أوقات صلاتهم المكتوبة و غير المكتوبة ، و يجدون لذة عظيمة في تلاوته ، وكيف لا وهو تنزيل العزيز الحميد.

---

(1) مختصر صحيح البخاري ، حديث[1768 ، 3992] .

(2) سنن النسائي ، النسائي شعيب بن علي ، بيت الأفكار الدولية للنشر ، 1999، ص: 118.

3- رواية الحديث و بداية تدوينه:

تعريف الحديث الشريف: لغة: ضد قديم، و قد استعمل في قليل الكلام و كثيره ، لأنه يحدث شيئا فشيئا (1) ويراد به أيضا كل كلام يتحدث به وينقل ويبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه،من ذلك مثلا قوله تعالى:﴿ **وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا** ﴾(2) وقوله:﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ** ﴾(3) فقد سمى كتابه حديثا، و كذلك على الأصل اللغوي، وفي القرآن الكريم أيضا: ﴿**وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا**﴾ (4)﴿ **وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**﴾(5) أي ما يحدث للإنسان أثناء النوم.

اصطلاحا : في اصطلاح العلماء ما أضيف إلى النبيّ صلى الله عليه و سلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي .

وعلى هذا التعريف لا يدخل في التعريف الحديث الموقوف ، و هو ما أضيف أي نسب إلى الصحابي ، و إلى المقطوع أي ما أضيف إلى التابعي و هو مذهب الكرمان و الطيبي و من وافقهما ، لكن الجمهور ذهبوا إلى أنهما من الحديث و سوّوا في الدلالة بين الحديث و الخبر و الأثر .

فالتعريف المختار للحديث:« **هو ما أضيف إلى النبيّ ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي أو أضيف إلى الصحابي و التابعي**»(6)

وذهب بعضهم في تعريف الحديث إلى أنه ما أضيف إلى النبيّ ﷺ من قول فقط قال الجزائري:« **أما السنّة فتطلق في الأكثر على ما أضيف إلى النبيّ ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، فهي مرادفة للحديث عند علماء الأصول، وهي أعمّ منه عند من خصّ**

---

(1) تدريب الراوي ، السيوطي جلال الدين حققه أحمد عمر هاشم بيروت لبنان: دار الكتاب العربي ، 1979 ص: 23 .

(2) النساء:الآية: 97.

(3) الطور:الآية: 34.

(4) التحريم:الآية: 3 .

(5) يوسف:الآية: 101.

(6) منهج نقد علوم الحديث، نور الدين عتر ط 3 ،دمشق سوريا دار الفكر، 1981 ،ص: 26،27، 28.

الحديث بما أضيف إلى النبيّ ﷺ من قول فقط »(1)

بعد استعراضنا لتعريف الحديث الشريف لغة و اصطلاحا ، يتوجب علينا أن تحدث عن الحديث الشريف ومكانته في الإسلام ، فلا شك أن محمدا رسول من الله ، ومبلغ عن ربّه رسالته ، فكل ما يصدر عنه هو من الوحي قال تعالى: ﴿ و **مَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾(2) و السنّة هي التي تلي القرآن الكريم مرتبة ،و تعد المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي،وقد أمرنا الله باتباع الرسول:﴿ **وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ (3)وفي قوله جلّ وعلا:﴿**وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾(4) فالسنّة النبوية جاءت موافقة للقرآن الكريم تفسّر مبهمه ، وتفصّل مجمله ، و تقيّد مطلقه ، و تخصّص عامّه و تشرح أحكامه و أهدافه ، كما جاءت بأحكام لم ينصّ عليها القرآن (*) فكانت في الواقع تطبيقا عمليا لما جاء به القرآن الكريم تطبيقا يتخذ مظاهر مختلفة ، فحينا يكون عملا صادرا عن الرسول ﷺ ، وحينا يكون قولا يقوله في مناسبة ، و حينا ثالثا يكون تصرفا أو قولا من أصحابه صلى الله عليه وسلم فيرى العمل أو يسمعه ، ثمّ يقرّ هذا أو ذاك ، فلا يعترض عليه ولا ينكره ، بل يستحسنه فيكون هذا منه تقريرا (5)

فالرسول الكريم يرسم للمسلمين المنهج القويم الذي يحقق لهم الفلاح في الدنيا و الفوز بالآخرة،فأقبلوا عليها إقبالا كبيرا حفظا و رواية و حتى تدوينا، وسخروا

---

(1) الوضع في الحديث ، عمر بن حسن فلاتة ، دمشق : مكتبة الغزالي ، 1981 ، 1/ 43 .

(2) النجم:الآية: 10.

(3) الحشر:الآية: 7 .

(4) المائدة:الآية: 67.

(*) كتحريم الحمر الأهلية ، و كل ذي ناب من السباع ، و تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها.

(5) السنة قبل التدوين ، محمد عجاج الخطيب ، ط 2 ، القاهرة: مكتبة وهبة ، 1988، ص: 23 ،24 .

كل ما في وسعهم ، و بذلوا الغالي و النفيس، و أولوها من العناية و الاهتمام الشيء الكثير ، فعملوا ضبطها و حفظها في الصدور أول أمرهم ، يتلقونها من الرسول الكريم كما يتلقون القرآن الكريم ، و ذلك عن طريق المشافهة أو المشاهدة أو السماع ، لأنه من المتعذر يحضروا دائما مجالسه لأسباب تتعلق بحياتهم المعيشة كالتجارة وغيرها ، و لهذا كان البعض يحضر مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم بالتناوب مثل ما كان يحدث لعمر بن الخطاب رضي الله عنه و جاره إذ يروى عنه أنه قال:«كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد و هي من عوالي المدينة ، و كنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ ، ينزل يوما و أنزل يوما ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي و غيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك»(1).

و قد حث الرسولﷺعلى رواية الحديث، إذ يروى عن ابن عباس قال:« سمعت علي بن أبي طالب يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال:« **اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي**» قلنا: من خلفاؤك؟ قال:«**الَّذِينَ يَرْوُونَ أَحَادِيثِي وَ سُنَّتِي وَ يَعْمَلُونَ بِهَا**» . كما يروى عن زيد بن ثابت أن النبيّ صلى الله عليه و سلم قال: «**نَضَرَ اللهُ امْرِءا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ غَيْرَهُ ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيهٍ ، وَ رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوِ أَفْقَهُ مِنْهُ**»(2) و نضر الله معناه الدعاء له بالنضارة ، وهي النعمة و البهجة ، يقال بتخفيف الضاد و يقال بتخفيفها وتخفيفها أجود كما يقول الإمام الخطابي.

كان اعتماد الصحابة على الحفظ كبيرا ، هل يعني هذا أنهم لم يدونوا حديث

---

(1) فتح الباري ، العسقلاني أحمد بن علي بن حجر ، تحقيق ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت لبنان: دار المعرفة. 185/1

(2)المحدث الفاصل ، الرامهرمزي الحسن بن عبد الرحمن ، ط 1 ، تحقيق محمد عجاج الخطيب،لبنان: دار الفكر،1971،ص: 163،164.

الرسول الله صلى الله عليه وسلم، و اكتفوا بالرواية الشفوية خاصة و أن الأمية(*)كانت منتشرة ، كما ورد النهي عن تدوين السنّة في رواية عن أبي سعيد

الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا سِوَى الْقُرْآنِ،فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا فَلْيَمْحُهُ** ». المعروف أن العرب يمتازون بقوة الحافظة وكانت هي الأداة في حفظ تراثهم و أيامهم و أنسابهم ، وكان لمجيء الإسلام دور في إذكاء هذه القدرة ، فأقبلوا على حفظ القرآن الكريم و العمل بما جاء فيه، كما حرص الرسول عليه الصلاة على تدوينه فور نزوله ، فوعته الصدور و السطور معا ، وكان أوّل كتاب دوّنه المسملون ، إذ هو دستورهم الخالد ومنهجهم القويم ، الذي دعا إلى القراءة في أوّل آية نزلت كما أشاد بأداة الكتابة في قوله تعالى: « **ن وَ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** »(2). و من هنا ندرك التحول الجديد الذي عرفته العرب في تلك الفترة وأن الكتابة أصبحت من الضروريات التي تستدعيها هذه المرحلة فالدولة الحديثة في تسيير أجهزتها المختلفة و مراقبتها و في علاقاتها مع جيرانها من القبائل والدول الأخرى ، وما يتبادل من رسائل وغيرها. وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم على توطيد هذه القاعدة إذ أمر في قضية أسرى بدر بأن يفتدي كل أسير نفسه بتعليم عشرة من المسلمين ، كما أنه صلى الله عليه وسلم كان يحث على طلب العلم ، فبين مكانة وفضل طالب العلم عند الله و جعله فريضة على كل مسلم ، ومما روي عنه صلى الله عليه و سلم : «**قَيِّدُوا العِلْمَ بِالكِتَابِ**»(3) إذا كيف نفسر نهي الرسول صلى الله عليه وسلم

(*) الأميّة المقصود بها عدم معرفتهم القراءة و الكتابة.

(1) تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم ، بيروت:دار الفكر،ص:365.

(2) القلم :الآية: 1.

(3)جامع بيان العلم و فضله ، أبو عمر يوسف ، تحقيق أبو الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ، ص:305.

عند نزوله و يتلونه آناء الليل وأطراف النهار و يعملون بما جاء فيه ، إذ ربطوا

عن كتابة غير القرآن ؟ . الحقيقة أن المسلمين كانوا منشغلين بالقرآن الكريم يتلقونه بين الحفظ و العمل ، وكان القرآن ينزل على النبيّ منجما مدة ثلاث وعشرين سنة ، فهذا الوضع لا يهيئ لهم تدوين السنّة ، إضافة إلى أن الرسول الكريم تصدر عنه مواقف متعددة ، مع أهله و أصحابه وغيرهم، وأقوال في مناسبات كثيرة ، وكلنا يعرف أن السنّة تتصل بأقوال الرسول و أفعاله و تقريراته وأنّى يتأتى تدوينها في تلك الفترة و القرآن ينزل ؟ إضافة إلى أن عدد الكتبة لم يكن واسعا إلى الحد الذي يمكنه تدوين السنّة.و قد وردت أحاديث فيها نهي عن الكتابة و ذلك فيما يروى عن أبي سعيد الخدري قال: جهدنا بالنبيّ صلى الله عليه وسلم أن يأذن لنا في الكتاب فأبى(1) و يروي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :« **لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي ، وَ مَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ القُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ**»(2)

و فيه أحاديث كثيرة فيها إذن بالكتابة جمعها القاضي الحسن بن عبد الرحمان الرامهرمزي في كتابه المحدث الفاصل عن الحديث الذي يرويه أبو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما فتح الرسول مكّة وخطب في الناس فقام أبو شاه – رجل من أهل اليمن– فقال : اكتبه لي يا رسول الله . فقال الرسول صلى الله عليه و سلم : « **اُكْتُبُوا لِأَبِي شَاه** » . و عن عبد الله بن عمرو قلت: يا رسول الله أقيد العلم ؟ قال: نعم ، قلت : و ما تقييده ؟ قال : الكتاب.

و يروى عنه كذلك قلت يا رسول الله ، أكتب ما أسمعه منك ؟ قال : نعم . قلت : في الغضب و الرضى ؟ قال : نعم ، فإني لا أقول إلا حقا (3)

وفي حديث المروي عن وهب بن منبه عن أخيه قال:« سمعت أبا هريرة يقول :

---

(1) المحدث الفاصل ، ص :379.

(2) السنة قبل التدوين ، ص :303 .

(3) المحدث الفاصل، ص : 364 .

ما أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا منّي عن رسول الله ﷺإلاّ عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب و أنا لا أكتب»(1). و الأحاديث كثيرة في هذا المجال بين النهي و الإباحة ، وعمل العلماء على التوفيق بينها لما يبدو من تعارض ظاهري بينها ، ففريق يرى أن النهي كان في البداية حتى لا يختلط مع القرآن ويتشاغل عنه ، وعندما أمن هذا الجانب جاءت الإباحة بالكتابة أي أن النهي نسخ . و في هذا يقول ابن قتيبة:« ونحن نقول أن في هذا معنيين أحدهما : أن يكون من المنسوخ السنّة بالسنّة ، كأنه نهى أول الأمر عن أن يكتب قوله ، ثم رأى بعدما علم أن السنن تكثر و تفوت الحفظ أن تكتب و تقيّد والمعنى الآخر أن يكون خص بهذا عبد الله بن عمرو لأنه كان قارئا للكتب المتقدمة ويكتب بالسريانية و العربية ، وكان غيره من الصحابة أميين لا يكتب منهم إلا الواحد و الإثنان ، وإذا كتب لم يتقن ولم يصب التهجي فلما خشى عليهم الغلط فيما يكتبون نهاهم ، ولما أمن على عبد الله بن عمرو ذلك أذن له»(2).

فابن قتيبة يعرض رأيا ثانيا بعد القول بالنسخ و هو أن ابن عمر أخذ إذنا خاصا من الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه كان كاتبا متقنا ، و فريق يرى أن النهي يتعلق بعدم جمع صحف القرآن بصحف الحديث حتى لا يختلطا ، و الرأي الأخير يشير إلى أن النهي في حق من وثق بحفظه و اتكاله على الكتابة ، و الإذن في من لا يثق بحفظه كأبي شاه ، و هذا ما يعضده الحديث الذي يرويه عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جدّه قال:« قلنا يا رسول الله ،إنّا نسمع منك أشياء لا نحفظها أفنكتبها ؟ قال : بلى أكتبوها»(3).

---

(1) المصدر السابق ، ص: 368.

(2) تأويل مختلف الحديث ، ص: 365 ، 366 .

(3) المحدث الفاصل ، ص: 365.

فالنبيّ صلى الله عليه وسلم نهى عن الكتابة أولا حتى لا ينشغل المسلمون بغير

القرآن الكريم ، ثم أذن بالكتابة لبعض الصحابة كعبد الله بن عمرو و أبي شاه و الصحابة الذين استأذنوه في الكتابة لقلة حفظهم ، و هذا يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر بتدوين السنّة ، و إنما أذن بها لأن الأحاديث التي تبيح الكتابة جاءت بعد الأحاديث التي تنهي عنها ، كما أن المأثور عن الصحابة الكرام أنهم كانوا يعتمدون على الحفظ و الرواية الشفوية كأبي هريرة ، و كان فيهم من يكتب و يحفظ مثل عبد الله بن عمر وفيهم من يكتب إذا حفظ يمحو ما كتبه كما كان يفعل عاصم بن ضمرة إذ يروى عنه أنه كان يسمع الحديث و يكتبه ، فإذا حفظه دعا بمقراض فقرضه .

و من هنا نرى أن الرواية كانت تسير جنبا إلى جنب مع التدوين ، ومن الصحف المدونة في عهد الرسول النبيّ صلى الله عليه وسلم :

1- الصحيفة الصادقة لصاحبها عبد الله بن عمرو و التي تحتوي على ألف حديث و محتواها محفوظ في مسند الإمام أحمد.

2- صحيفة سمرة بن جندب الذي جمع أحاديث كثيرة في نسخة كبيرة ورثها ابنه سليمان .

3- صحيفة سعد بن عبادة ، ذكرها الإمام الترمذي في كتاب الأحكام من سننه باب اليمين مع الشاهد.(*)

4- صحيفة جابر بن عبد الله ، وأن سليمان بن قيس اليشكري جالس جابرا و روى عنه صحيفة ، و أن وهب بن منبه روى أحاديث من إملاء جابر.

5- صحيفة العهد التي تنظم العلاقة بين المسلمين و اليهود في السنة الأولى للهجرة.

(*) ذكرت في مسند الإمام أحمد ، و كما جاء في تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني.

6- ألواح عبد الله بن عباس ، فقد اشتهر بكتابة الكثير من سنّة رسول الله صلى

الله عليه وسلم و سيرته في ألواح كان يحملها معه في مجالس العلم .

7- صحيفة همام بن منبه و التي رواها عن أبي هريرة ، وتضم حوالي مئة و أبعين حديثا ، وكتبت بعد وفاة النبيّ لأن همام بن منبه ولد قبيل الأربعين للهجرة وهذا على أن أبا هريرة لم يكن يكتب و يقال أن الصحيفة هي صحيفة أبي هريرة في الحقيقة ، ونسبت على همام بن منبه(1)

و قد استمرت الحال على ما هي عليه في عهد الخلفاء ، وكانوا يتشددون و يقلّون في الرواية لأن الإكثار قد يؤدي إلى التزيّد دون أن يشعروا ، فيقعوا في الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما كرهوا أن ينشغل الناس بغير القرآن الكريم ، و اهتموا بالسنة بالقدر الذي يجدون الداعي إليها في المسائل المختلفة ، و يتهيبون من الكتابة ، فهذا أبو بكر رضي الله عنه ، يجمع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لا يلبث أن يمحوها كما تروي السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن أباها أبا بكر الصديق كتب ما يقرب خمسمائة حديث ، ثم رأى أن يحرقها لا لأن الرسول نهى عنها و إنما خاف أن تؤثر عنه وتنقل ، و قد يكون فيها حديث غير صحيح(2).

وكان رضي الله عنه أول من احتاط في قبول الحديث ، إذ روى الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة أبي بكر الصديق قال: كان أول من احتاط في قبول الأخبار، فروى ابن الشهاب عن أبي قبيصة أن الجدة جاءت إلى أبي بكر ـــــ

(1) قراءة في كتاب علوم الحديث و مصطلحاته ، ماجد أحمد نيازي الدرويش ، ص: 9،10،11 بحث مقدم للمؤتمر الدولي بجامعة الجنان - طرابلس - يوم : 3 و 4 فيفري 2006.

(2) توثيق السنة في القرن الثاني ، رفعت فوزي عبد المطلب ، ط 1 ، مصر: مكتبة الخانجي ، 1981 ص:53،54 .

تلتمس أن تورث . فقال:« ما أجد لك في كتاب الله شيئا و ما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئا ، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال: كان رسول الله ﷺ

يعطيها السدس . فقال له : هل معك أحد . فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك . فأ نفذه أبو بكر رضي الله عنه»(1).

و كذلك الأمر بالنسبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يأمر بتقليل الرواية فكان أكابر الصحاب لا يروون إلاّ الحديث أو الحديثين ، وكان أبو هريرة من أكثر الصحابة رواية للحديث ، إلاّ أنه أمسك عن الرواية زمن عمر بن الخطاب روى البخاري عن أبي هريرة أنه قال:« أن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا ثم يتلو قوله تعالى :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أُنْزِلَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللهُ وَ يَلْعَنُهُمْ اللَّاعِنُونَ** ﴾ حتى يبلغ قوله تعالى ﴿ **وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيُم** ﴾ إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم العمل في أموالهم،و أن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه و يحضر ما لا يحضرون،ويحفظ ما لا يحفظون»(2).

و قد روى البيهقي في المدخل عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستشار في ذلك أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم فأشاروا عليه أن يكتبها . فطفق عمر يستخير الله فيها ثم أصبح يوما و قد عزم له. فقال:« إني كنت أردت أن أكتب السنن، و إني ذكرت قوما كانوا قبلكم، كتبوا كتبا فأكبوا عليها و تركوا كتاب الله، و إني و الله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا».(3) و من خلال كلام عمر رضي الله عنه لم يقل بالنهي ، و إنما خوف الانشغال

---

(1) الحديث و المحدثون ، محمد محمد أبو زهو ، ط2 ، شركة الطباعة السعودية ، 1984، ص: 69 ، 70.

(2) المرجع نفسه ، ص: 67 ، تهذيب سير النبلاء 81/1.

(3) تدريب الراوي ، 64/2.

عن القرآن الكريم ، و كان رضي الله يتثبت من الرواية تثبتا شديدا ،إذ روى الذهبي أيضا أن عمر قال لأبي –و قد روى حديثا – :«لتأتيني على ما تقول ببيّنة . فخرج فإذا ناس من الأنصار ، فذكر لهم.فقالوا : سمعنا هذا من الرسول صلى الله

عليه وسلم . فقال عمر: أما إني لا أتهمك، و لكن أردت أن أتثبت»(1). و كذا كان الشأن بالنسبة لعثمان رضي الله عنه و الإمام عليّ كرم الله وجهه و اقتفى التابعون أثر الخلفاء في التثبت في قبول الحديث ، وإلى ما ترتاح إليه أنفسهم . و عملوا بما حثهم عليه الصحابة من مدارسة الحديث و مذاكرته وشجعوا على حفظه و طلبه ، و حضور مجالسه و مما يروى عن عمر رضي الله عنه:« تعلموا الفرائض والسنّة كما تتعلمون القرآن. فعنايتهم بالحديث لا تقل عن عنايتهم بالقرآن الكريم . و مما أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه:« عليكم بالعلم قبل أن يقبض، و قبضه ذهاب أهله» ، و عن علي كرم الله وجهه: « تزاوروا و تذاكروا الحديث ، فإنكم إلاّ تفعلوا يدرس»(2).

فكثر طالبوه وتعددت مراكزه ، كالبصرة و مكة و المدينة و دمشق . وأصبحت المجالس تغص بالطلبة ، و تنافسوا في طلبه. و أصبحت الكوفة تستقطب أهل الحديث، إذ قال أنس بن سيرين: « قدمت الكوفة قبل الجماجم(*) فرأيت بها أربعة آلاف يطلبون الحديث»(3).

و استطاعت هذه الحركة النشطة أن تتصدى لطائفة من الكذابين الذين حاولوا نشر الأباطيل و نسبوها إلى الرسول عليه الصلاة و السلام ، بعد الفتنة التي أشعل أوارها عبد الله بن سبأ ، وظهور الخوارج و الشيعة بعد الصراع الذي دار بين

---

(1) الحديث و المحدثون ، ص: 70 . (3) المرجع نفسه ، ص: 151.

(2) السنة قبل التدوين ، ص: 147 .

(*) ديرالجماجم (على سبع فراسخ من الكوفة)وقعة مشهورة بين الحجاج و عبد الرحمن بن الأشعث سنة 82هـ وقتل فيها عبد الرحمن وكثير من القراء.

عليّ و معاوية رضي الله عنهما ، و يروي مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن سيرين قال:« لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا: سمّوا لنا

رجالكم فينظر إلى أهل السنّة فيؤخذ حديثهم ، و ينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم» (1)

و من المجهودات الجبارة التي بذلوها في جمع الأحاديث :

1- كان لاتساع الفتوحات الإسلامية ، وتفرق الصحابة في هذه الأرجاء الواسعة ، ليعلموا الذين اعتنقوا الإسلام أمور دينهم ، يحفظونهم القرآن الكريم و السنّة الشريفة ، كما أخذوها عن صاحب الرسالة ، و منهم من أقام هناك حتى تخرج على أيديهم طبقة من التابعين ، حملوا من بعدهم لواء نشر السنة و الدفاع عنها .

2- الرحلة في طلب الحديث : كان انتشار الإسلام السريع سببا في خروج الكثير من الصحابة إلى مناطق بعيدة ، ويحملون معهم أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم و ما تعلموه منه ، فكانت مرحلة ضرورية لأخذ ما عندهم ، من أحاديث و أسانيدها للتثبت منها و تصفح أحوال الرواة و قد تكبدوا جهودا مضنية في ذلك .

3- ظاهرة الوضع في الحديث : لهذه الظاهرة أسباب عديدة ، كالخلافات السياسية التي برزت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، إضافة إلى الخلافات المذهبية عند أصحاب الأهواء، بروز تيار الزندقة الذي أخذ يعبث بالسنّة، بعد أن استحال الأمر عليه الطعن في القرآن الكريم، فوضعوا الأحاديث الملفقة يدّعون روايتها عن أحد الصحابة الكرام ،و جاء في مختلف الحديث لابن قتيبة:« منها

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ، النووي محيي الدين أبو زكريا يحي ، ط 3 نبيروت لبنان: دار إحياء التراث العربي،84/1.

الزنادقة و اجتيالهم للإسلام و تهجينه بدس الأحاديث المستشنعة والمستحيلة» (1) إضافة إلى الوعاظ و القصاص الذين لا يتقون الله و يعمدون إلى الكذب و

البهتان ،حتى يظفروا بمطلبهم و يحققوا غايتهم و فيهم يقول ابن قتيبة:« فإنهم يميلون و جه العوام إليهم ، و يستدرون(*) ما عندهم بالمناكير و الأكاذيب من الأحاديث ، و من شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجيبا خارجا عن نظر العقول ، أو كان رقيقا يحزن القلوب و يستفز العيون ، فإذا ذكر الجنة قال: فيها حوراء من مسك و زعفران ، و عجيزتها ميل في ميل و يبوئ له وليه قصرا من لؤلؤة بيضاء فيه سبعون ألف مقصورة ، في كل مقصورة سبعون الف قبة ، و في كل قبة سبعون ألف فراش. فلا يزال هكذا في السبعين ألفا لا يتحول عنها»(2).

الذين وضعوا الأحاديث لترغيب الناس و ترهيبهم كما أشير في مقدمة ابن الصّلاح:« الواضعون للحديث أصناف ، وأعظمهم ضررا قوم من المنسوبين إلى الزهد وضعوا الأحاديث احتسابا فيما زعموا ، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم و ركونا إليهم »(3).

إن انتشار العلم و ازدهاره في القرن الأول ، و ذيوع الرواية و الكتابة و التي لم تتخذ الطابع الرسمي ، إلاّ في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ، الذي أمر بتدوين السنّة ، بعد المشاورة من يثق فيهم من العلماء كالزهري .

---

(1) تأويل مختلف الحديث ، ص:188 .

(*) يستدرون بمعنى يستنزلون

(2) مقدمة ابن الصّلاح ، الشهرزوري تقي الدين أبو عمرو ، تحقيق ، عائشة عبد الرحمن ، ط2 ، مصر: دارالمعارف ، 198، ص : 279.

(3) تأويل مختلف الحديث ، ص: 188،189.

4- دواعي تدوين الحديث الشريف:

انكب المسلمون على القرآن الكريم يتلونه ويحفظونه ،و يدونونه فور نزوله فتناولوه غضا طريا من فم النبيّ صلى الله عليه وسلم مدة ثلاث وعشرين عاما فبلغ بذلك درجة التواتر، وتم جمعه في عهد عثمان رضي الله عنه ، فأوصد بذلك كل منافذ الخلاف أو ما يدعو إلى شقاق ، وأخذ المسلمون في أصقاع الأرض المفتوحة يقرأونه ويتدبرون آياته و يفسرونها ويستنبطون الأحكام منها ، فأمن بذلك من التزيد و التحريف .

أما بالنسبة للسنّة الشريفة و التي تعد المصدر الثاني بعد القرآن الكريم ، و هي من الوحيّ كما أشرنا فلم تكن تدوّن حتى لا تختلط بالقرآن ، و لا ينشغل بغير القرآن الكريم لهذا ورد النهي عن تدوينها كما جاء في حديث جابر رضي الله عنه في البداية ، ثم أذن في التدوين برخصة من طرف الرسول ﷺ كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو ، و لما أمن اللبس وقد أشير إلى الصحف التي دونت في عصر الرسول ﷺ ، لكن الرواية الشفوية كانت هي القناة الأولى و عليها المعوّل في حفظ الحديث لأن الصحابة الكرام و تابعيهم اعتمدوا أول ما اعتمدوا على قوة حافظتهم – وهي هبة من الله– فوجود الرواية إذا لا ينفي التدوين وإنما سارا جنبا إلى جنب .

و لما أذن القرن الأول بالأفول وآلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز سنة تسع و تسعين من الهجرة ، كانت الفتوحات قد بلغت مدى كبيرا و بشكل سريع يثير الدهشة ، وخرج المسلمون ينشرون الرسالة السماوية بما يحملونه من سنّة نبيّهم و هذا الأمر كفيل بذهاب ما تبقى من الصحابة و التابعين– من الذين خرجوا أم لم يخرجوا – فيذهب بذلك الكثير من السنّة الشريفة، فيضيع علم كثير ، ويفتح المجال أمام الملفّقين و المتزيدين و أعداء الإسلام، إضافة ما شاء لهم هواهم من

الكذب و البهتان . كما أن مانع التدوين قد زال بعد أن أمن اللبس من اختلاطها بالقرآن الكريم ،فما من مسلم إلا ويحفظ القرآن أو جزء منه لأنه متعبد بتلاوته أما بالنسبة للمشتغلين بالحديث من الطلبة ، فكان أول ما يختبرون فيه حفظهم للقرآن أولا قبل الحديث مثل ما يروى عن حفص بن غياث.قال«: أتيت الأعمش(ت128) فقلت حدثني. فقال: أتحفظ القرآن ؟ قلت : لا. قال : اذهب فاحفظ القرآن ، ثم هلمّ أحدثك»(1). إضافة إلى اختلاط العرب بالشعوب الأخرى و ضعف ملكة الحفظ عندهم ،أمر هذا الخليفة بتدوين السنة، و كتب لعماله بأن يجمعوا الحديث، و في هذا يروي البخاري في باب كيف يقبض العلم: «و كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم : أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فإني خفت دروس العلم و ذهاب العلماء و لا تقبل إلاّ حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم و لتفشوا العلم و لتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا»(2).

و بذلك يكون التدوين الرسميّ للحديث زمن عمر بن عبد العزيز ، يعني في نهاية القرن الأول و بداية القرن الثاني الهجريين ، و ما قام به الصحابة رضي الله عنهم من تقييد الحديث فإنما كان في الصحف ، بدءا من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم حتى خلافة عمر بن العزيز ولم يكن بمستوى المدونات الكبرى التي تجمع الأحاديث الكثيرة ،وكان ابن الشهاب الزهري أول من جمع الأحاديث بأمر من الخليقة عمر بن عبد العزيز ، فابن الزهري يقول:« أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن ، فكتبناها دفترا دفترا ، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا. و يقول : لم يدوّن هذا العلم أحد قبلي»(3).

---

(1) المحدث الفاصل ، ص: 207 .

(2) فتح الباري ، العسقلاني ، 194/1 .

(3) السنة قبل التدوين ، الخطيب ، ص: 332.

و ابن الشهاب يعد من أعلام ذاك العصر ، كان قد كتب السنن و ما جاء عن الصحابة أثناء طلبه للعلم . وذكر الحافظ بن حجر في باب كتابة العلم من فتح الباري ما نصه :«قال العلماء وكره جماعة من الصحابة و التابعين كتابة الحديث و استحبوا أن يؤخذ عنهم حفظا كما أخذوه حفظا لكن لما قصرت الهمم و خشي الأئمة ضياع العلم دونوه و أول من دون الحديث ابن الشهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن العزيز ، ثم كثر التدوين ، ثم التصنيف وحصل بذلك خير كثير و الحمد لله»(1).

و جاء في المحدث الفاصل أن القاضي قال:« قد ذكرنا في وجوب الكتاب ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عن علي و عمر و جابر و أنس و من يليهم من كبراء التابعين كالحسن و عطاء و طاووس و سعيد بن جبير وعروة بن الزبير ، ومن بعدهم من أهل العلم . و الحديث لا يضبط إلا بالكتاب ثم بالمقابلة و المدارسة و التعهد و التحفظ و المذاكرة والسؤال و الفحص عن الناقلين و التفقه بما نقلوه ، وإنما كره الكتاب من كره من الصدر الأول لقرب العهد ، وتقارب الإسناد ولئلا يعتمده الكاتب فيهمله ، أو يرغب عن تحفظه و العمل به فأما والوقت متباعد، و الإسناد غير متقارب ، و الطرق مختلفة والنقلة متشابهون ، و آفة النسيان معترضة ، والوهم غير مأمون فإن تقييد العلم أولى و أشفى ، والدليل على وجوبه أقوى ، وحديث بن سعيد : حرصنا أن يأذن لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم في الكتاب فأبى – أحسب أنه كان محفوظا في أول الهجرة و حين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القرآن»(2).

---

(1) الحديث و المحدثون ، محمد محمد زهو ، ص: 128.

(2) المحدث الفاصل ، الرامهرمزي ، ص : 385 ، 386.

ففي نهاية القرن الأول توفرت الدواعي الضرورية ، و التي تحتم تدوين الحديث الشريف قبل ذهاب رجاله ، خاصة وأن الفتن أطلت برأسها ، فسلكت مسلك الوضع في الحديث بما يخدم مذهبها ، أو اتجاهها ، أو قصدا لمنفعة آجلة أو تهجما وتهديما لأركان هذا الدين .

انتشرت الكتابة بعد ذلك و شاعت ، و أخذ رجال الحديث يجمعونه و يدونونه فكتب ابن جريج بمكة ، و ابن اسحاق و الإمام مالك بالمدينة ، والربيع بن صبيح و سعيد بن أبي عروبة ، و حماد بن سلمة بالبصرة ، و سفيان الثوري بالكوفة و الأوزاعي بالشام ، و هشيم بواسط ، و معمر باليمن ، و جرير بن عبد الحميد بالري ، و ابن المبارك بخرسان .

5- منهج العلماء في رواية و تدوين الحديث :

بعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربّه ، ترك جم غفير من صحابته يتمثلون سنته و يعملون بها لأنها من الدين ، و كانوا رضي الله عنهم مثالا للصدق و الأمانة و قوة الإيمان فلم يكن يدر بخلدهم لحظة أن يتزيدوا أو أن يضيفوا شيئا في حديث الرسول ﷺ و كلهم يحفظ ما روي عن سلمة رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: « **مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** »(1). و رأينا فيما سبق كيف كان الصحابة رضي الله عنهم يحتاطون و يتثبتون في الرواية ، لهذا كانوا يقلّون من رواية الحديث ، و يتحرون الإسناد و قد يعرضون الأحاديث على نصوص القرآن الكريم فإن خالفتها ردوها.وبعد فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه و ظهور الأحزاب و التيارات المختلفة انتشر الوضع في الحديث انتشارا ملفتا ، و اتخذه أهل التحزب و الأهواء و الزنادقة و القصاص و الوعاظ مطية لبث آرائهم و سمومهم و خدمة لأهدافهم .

و قد اقتفى التابعون طريق أسلافهم من الصحابة في التثبت بل زادوا من حرصهم في توثيقهم للحديث فوضعوا منهجا قويما دقيقا يتمثل في :

1- **العناية بالإسناد** :اهتم التابعون اهتماما بالغا بالإسناد، فالسند للخبر كالنسب للبشر ، و به تقاس درجة صحة الحديث ، و هو من الدين كما قال ابن المبارك: « **الإسناد من الدين، و لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء** »(2)

و لم يكونوا يسألون عنه في السابق إلا بعد أن كثر الوضع ، وتجرأ البعض على السنّة الشريفة و يروي مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن سيرين قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا:« سمّوا لنا رجالكم فينظر إلى أهل

---

(1) فتح الباري ، ص :201 .

(2) مقدمة ابن الصلاح ، 437.

السنّة فيؤخذ حديثهم ، و ينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»(1) و كانوا يرحلون في طلب الحديث من أجل سماعه من راويه زيادة في التثبت ، و العلو في السند و قد تكبدوا المشاق في سبيل ذلك،وإن كان الأمر يتعلق بحديث واحد فعن سعيد بن المسيب قال:«إن كنت لأسافر مسيرة الأيام في الحديث الواحد .(2)

2- **نقد الرواة** : بذل العلماء جهودا جبارة في هذا المجال وضربوا أروع الأمثلة في الكشف و التمحيص عن أحوال الرواة ، فدرسوا سيرهم فوقفوا على ورعهم وضبطهم و عدالتهم و تناولوا تواريخهم و في ذلك يقول سفيان الثوري:« لما استعمل الرواة الكذب ، استعملنا التاريخ»(3).

وبذلك وضعوا علم الجرح و التعديل والذي يعد مفخرة لهذه الأمّة ، فمن جرّحه العلماء لا يؤخذ عنه و يترك ، ومن اتفقوا على عدالته أخذوا عنه. و التجريح في الرواة في عرفهم لا يعد غيبة وإنما هو ضرورة تقتضيها مصلحة الدين فالإمام النووي يقول في هذا الصدد:« و أن الرواية لا تكون إلاّ عن الثقات و أن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرمة »(4)

3- **نقد المتن** : لم يكتف المسلمون بنقد السند فقط بل امتد اهتمامهم إلى نقد المتن كذلك ، حيث وضعوا قواعد متينة ، أشار إليها الإمام الشافعي رحمه الله بقوله : « لا يستدل على أكثر صدق الحديث و كذبه ، إلا في الخاص القليل

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ، ص: 84/1.

(2) المصدر نفسه . 17/1

(3) مقدمة ابن الصلاح، ص : 643.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي ، 84/1 .

من الحديث ، و ذلك أن يستدلوا على الصدق و الكذب فيه بأن يحدث المحدث ما لا يجوز أن يكون مثله ، أو ما يخالفه ما هو أثبت ، و أكبر بدلالات الصدق منه»(1).

و ذلك بعرض الحديث على القرآن الكريم ،فإن عارضه ترك ، و هذا ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فيما أخرج مسلم عنه : يسمع حديث فاطمة بنت قيس أن زوجها طلقها ثلاثا فلم يجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم لها سكنى و لا نفقة ، فقال عمر: لا نترك كتاب الله و سنّة نبينا ﷺ لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت ، لها السكنى و النفقة(2) قال الله عزّ و جلّ:﴿**لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ** ﴾(3)

و بعرضه على الصحيح من السنة النبوية ، و ما يقترن بالحديث من القرائن التي يعلم بها أنها باطل أو تخالف الحس الواقع، وفي كتب العلماء أمثلة كثيرة عن الوضّاعين و الأحاديث الموضوعة(*) .

إذا كان هذا حال الحديث الشريف فهل تأثر بهم رواة اللغة و الأدب ؟ الحقيقة التي يجب أن نتمثلها في هذا السياق مع مراعاة حدود بحثنا طبعا ، نجد أن رواة هذه الفترة –القرن الثاني– لم يلتزموا بالإسناد و لا بنقد المتن في ما جمعوه من اللغة و الشعر و الخطب ، و يلخص هذه القضية محمد عيد إذ يقول : الواقع أن الرواد الأوائل من الرواة –ربما القرن الثاني كله– لم يلتزموا الإسناد في ما رووه من مادة اللغة ، و بالأولى لم يدرسوا طرق الرواية دراسة نظرية يتبين منها كيفية

---

(1) الرسالة ، الشافعي محمد بن إدريس ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الفكر ، ص:399.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ، 104/10.

(3) الطلاق : الآية :1.

(*) ينظر الموضوعات لأبي فرج عبد الرحمن بن علي الجوزي و هو أحسن مؤلف.

الثقة أو الرفض للإسناد أو المتن ، و من النادر العثور في آرائهم على إسناد متصل تنتهي نسبته إلى السابقين الذين نقلوا عنهم من العرب أو الشعراء ، و من النادر بالأولى أن يحدث هذا الإسناد بالنسبة لمن عاصروهم و أخذوا عنهم اللغة من الأعراب في البادية أو الحضر(1) و قد بدأ الاهتمام بقواعد الرواية في القرن الثالث كضرورة أملتها ظروف ذلك العصر ، و في هذا يواصل محمد عيد قوله : لكن ضوابط الرواية ظهرت واضحة عند علماء القرن الثالث و من تلاهم و جاءت بصورة خاصة هي: سوق الإسناد بينهم و يبن الرواة الأوائل في القرن الثاني بطريقة متصلة أو منقطعة ، فيصل الإسناد إلى أبي عمرو بن العلاء و الأصمعي و أبي عبيدة مثلا ثم يساق بعد ذلك النص عن هؤلاء منسوبا إلى صاحبه بلا إسناد إليه و إن تقدم به الزمن (2) و اهتم من جاء بعدهم بوضع قواعد الرواية و ضبطها و اعتبرت جزءا من أصول النحو و أدلة الرواية و تركزت دراستهم على العناصر الآتية :تعديل الرواة تجريحهم –طرق الإسناد– طرق الأخذ و التحمل.و ظهر هذا جليا في الكتب المؤلفة في القرن الرابع مثل : أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد الصيرافي و مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ، و طبقات النحويين و اللغويين لأبي الحسن الزبيدي.

و كما هو واضح فإنهم سلكوا طريق المحدثين و اقتفوا أثرهم ، و السيوطي و هو من التأخرين –القرن التاسع– يكشف بعبارة صريحة في مؤلفه المزهر فيقول:«هذا علم شريف ، ابتكرت ترتيبه و اخترت تنويعه ، و ذلك في علوم اللغة و أنواعها وشروط آدائها و سماعها ، حاكيت به علوم الحديث في التقسيم و الأنواع» (3)

---

(1) الرواية و الاستشهاد باللغة ، محمد عيد ، القاهرة: عالم الكتب ، 1972 ، ص: 84 .

(2) المرجع نفسه ، 84 .

(3) المزهر في علوم اللغة و أنواعها ،1/1 .

الفصـل الثالث:

الرواية في العصر الأموي و دواعيها:

1- بروز العصبيات القبلية (شعر النقائض)

2- اهتمام الخلفاء بالشعر و روايته

3- حرفة التعليم

4- القصاص و الوعاظ و الإخباريون و النسابون

5- الشعراء الرواة (ذو الرمة- الفرزدق- جرير- رؤبة – سراقة البارقي)

لقد نشطت الرواية الشفوية في العصر الأموي نشاطا واسعا ، لما توفر لها من ظروف ملائمة، و عوامل مختلفة فسحت لها مجالات واسعة جعلها تزدهر و تنموا نموا لافتا ، فاق عصر صدر الإسلام ، منها السياسي و الديني الثقافي و العلمي و غيرها . ونبدأ حديثنا بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:«قال عون عن ابن سيرين قال : قال عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه . ثم يعقب ابن سلام : **فجاء الإسلام فتشاغلوا عنه بالجهاد و غزو فارس و الروم ، و لهت عن الشعر و روايته . فلما كثر الإسلام و جاءت الفتوح و اطمأنت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدون و لا كتاب مكتوب ، و ألفوا ذلك و قد هلك من العرب من هلك بالموت و القتل فحفظوا أقل ذلك، و ذهب عليهم منه كثير.و قد كان عند المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول ، و ما مدح هو و أهل بيته ، صار ذلك إلى بني مروان ، أو صار منه**».(1)

و من خلال هذا الكلام نرى أن عمر بن الخطاب يؤكد مقولة أن الشعر ديوان العرب ، و به طبعوا ثقافتهم ، و فيه جمعوا قيمهم و مثلهم ،و سجلوا أيامهم المشهودة ، و بعد مجيء الإسلام انشغل المسلمون بالقرآن الكريم لما وجدوا فيه من آيات الفصاحة و البلاغة،و الحكم البالغة بلسان عربي مبين.

فأخذوا يحفظونه و يتأملون آياته و يتدبرونها ، و يتلونه أناء الليل و أطراف النهار إضافة إلى ما جاء في السنة النبوية الشريفة،هذا الانشغال لا يعني بحال من الأحوال أنهم تركوا الشعر و غفلوا عنه فعندنا من الشواهد الكثيرة كنا قد ألمعنا إليها في السابق تؤكد بشكل واضح أن العرب لم تدع الشعر و لن تدعه و هذه حقيقة أكدها النبي ﷺ في قوله:« **لَا تَدَعُ العَرَبُ الشِّعْرَ حَتَّى تَدَعَ الإِبِلُ الحَنِينَ**».(2)

(1) طبقات فحول الشعراء ، 1/24،25 .

(2) العمدة ، 1/46.

إذا فالإسلام يعد مرحلة جديدة بالنسبة لحياة العرب يوجهها كتاب منزل من السماء حيث سما بهم عن حياة الجاهلية و أدرانها و أصبحوا يشكلون أمة تحمل رسالة إلى الناس جميعا، فخرجوا ينشرونها في الآفاق ،و قد استشهد الكثير ممن يحملون الشعر و يروونه و كان لزاما على معتنقي الإسلام أن يتمثلوا بقيمه و أخلاقه و لهذا أسقط الكثير من الشعر الذي ينال من الرسولﷺ و دعوته ، أو ما يتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، إضافة إلى مكانة الشعر إذ لم يعد هو المرجع و الحكم كما كان في السابق ، خاصة بعد أن أصبح أداة للتكسب و تملق الخلفاء و الأمراء ، فإن تخف رواية الشعر في هذه الظروف يعد أمرا منطقيا أمتله ظروف جديدة بسطت نفوذها على حياة المسلمين في تلك الأوقات ثم يشير ابن سلام إلى ضياع الكثير من الشعر و لم يصلنا إلا القليل منه ، و هذا الكلام يعضده قول أبو عمرو بن العلاء الذي نقله يونس بن حبيب عنه قال : قال أبو عمرو بن العلاء:« **ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، و لو جاءكم وافرا لجاءكم علم و شعر كثير**» (1)لأنه لم يكن مدونا ثم يشير إلى أنه يوجد بعض الشعر دون في الجاهلية ، وهو بذلك لا ينفي التدوين بصورة مطلقة .

و لما انتشر الإسلام و اعتنقه الكثير من الناس على اختلاف ألسنتهم و كان عليهم أن يتعلموا اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم و بها نزل و به شرفت على باقي اللغات ، إضافة إلى حاجة إلى تفهم غريب القرآن و الحديث ،و الأحكام و السنن ، و كان ابن عباس يقول:« **إذا سألتموني عن غريب اللغة ، فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب**»(2) فتعلم اللغة العربية ضرورة دينية بالدرجة الأولى بالنسبة للأعاجم الذين اعتنقوا الإسلام حديثا ، و انتشار اللحن و كذلك بالنسبة إلى العرب الذين فسدت سليقتهم بسبب مخالطة الأمم الأخرى عن طريق

---

(1) طبقات فحول الشعراء ، 25/1.

(2) البرهان في علوم القرآن ، 293/1.

الفتوحات ، و لأنه من العسير فهم آيات القرآن و تأويلها و الوقوف على الأحكام إلا بإتقان اللغة العربية ، و في هذا يقول الزهري : إنما أخطأ الناس في كثير من تأويل القرآن لجهلهم بلغة العرب. و في ما يرويه أبو عبيد قال سمعت الأصمعي يقول : سمعت الخليل بن أحمد يقول:« سمعت أيوب السختياني يقول : عامة من تزندق بالعراق لقلة علمهم بالعربية»(1) لهذا أقبل الناس على هذه اللغة إقبالا كبيرا ، و وجدوا ضالتهم في الشعر ، فحفظوا الكثير من أشعار الفحول و رووها.

و لهذا كان عهد بني أمية هو العصر الذي راجت فيه رواية الشعر بسبب الظروف التي أشرنا إليها ، إضافة إلى أن الأمويين شجعوا و أغدقوا الأموال في هذه السبيل لأسباب سياسية ، و أحيوا بذلك العصبيات القبلية التي نهى عنها الإسلام و التي برزت في شعر النقائض ، و اكتضت مجالسهم بالعلماء و الشعراء و الرواة .

و في هذه الفترة انتشر التعليم و كثرت مجالس العلم و تعددت ، و أقبل خلق كثير عليها ينهلون منها لأن البيئة أصبحت تشجع طلب العلم و التزود منه إضافة إلى كثرة الإخباريين و القصاص و الوعاظ و بروز طبقة من الشعراء المشهورين الذين شغلوا عصرهم فترة من الزمن ، و كل أولئك كانوا يروون الأشعار و يعملون على نشرها و إذاعتها بين الناس و سنعرض لهذا بشيء من التفصيل.

---

(1) كتاب الزينة ، 124.

1- بروز العصبيات القبلية (شعر النقائض) :

لقد جاء الإسلام بمبادئه السمحة و التي تدعو إلى نبذ العصبية القبلية و كل ما يدعو إليها ، ورابطة الدين أصبحت تعلو على رابطة الدم و الجنس إذا حدث تخالف في العقيدة و يجسد هذا قوله تعالى : ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ اليَوْمِ الآخِرِ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانُ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ** ﴾(1) و بذلك أخرج الإسلام العرب من ضيق القبيلة و انطوائها إلى سعة الأمة و تفتحها و هذا شيء جديد على العرب فكل فرد اعتنق الإسلام فهو منتم إليها و عنصر فيها و في هذا يقول الله تعالى :﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتَكُمِ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمِ فَاعْبُدُونِ** ﴾ (2) فالناس عند الله سواء ، و لا يعتدّ إلا بمقياس التقوى و صالح الأعمال وفي ذلك يقول عزّ و جلّ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ (3) و قد عمل الرّسول صلى الله عليه و سلم على إرساء هذه القواعد و توطيدها حتى تتمكن في النفوس و قد عبّر عن هذا الشاعر نهار بن توسعة في قوله [الوافر] :

أَبِي الإِسْلاَمُ لَا أَبَا لِي سِوَاهُ إِذَا هَتَفُوا بِبَكْرٍ أَوْ تَمِيمِ
دَعِيُّ القَوْمِ يَنْصُرُ مُدَّعِيهِ فَيُلْحِقُهُ بِذِي النَّسَبِ الصَّمِيمِ
وَ مَا كَرُمٌ وَ لَوْ شَرُفَتْ جُدُودٌ وَ لَكِنَّ التَّقِيَ هُوَ الكَرِيمُ (4)

---

(1) المجادلة ، الآية: 22
(2) الأنبياء ، الآية: 92
(3) الحجرات ، الآية: 13
(4) الشعر و الشعراء .334.

و أثر عن الرسول ﷺ أنه كان يحب سماع الشعر و يثيب عليه مادام لا يتعارض مع تعاليم الإسلام و يدعو إلى الفضائل و مكارم الأخلاق لكنه كان ينهى عن ما

دون ذلك إذا ما تعرض إلى أعراض المسلمين ، أو يذكّر بعادات جاهلية حرمها الإسلام و نبذها ،كالعصبية القبلية و الهجاء الفاحش و حادثة الأوس و الخزرج معروفة في التاريخ الإسلامي(*) و قد وقف الرسولﷺ موقفا شديدا حازما ، وسماها دعوى الجاهلية ، ثمّ نهج أبو بكر الصدّيق نهج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثمّ آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب الذي كان صارما قويا ، استطاع يتحكم في زمام الأمور إذ ساس النّاس سياسة رشيدة ، و كان شديدا في إرساء قواعد المساواة و العدل بين المسلمين ، فلم يسمح لأيّ دعوة من دعوات الجاهلية من أن تجد لها منفذا ، و كان رضي الله عنه يعاقب الشعراء إذا خاضوا في أعراض المسلمين ، و قصته مع الحطيئة الذي هجا الزبرقان بن بدر و مع النجاشيّ الحارثيّ الذي هجا بني عجلان فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: ما قال فيكم؟ فأنشدوه[الطويل] :

إِذَا اللهُ عَادَى أَهِلَ لُؤْمٍ وَ رِقَّةٍ فَعَادَى بَنِي العَجْلَانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلِ (1).

وفي خلافة عثمان لم تكن سياسته مرضية من طرف الجميع ، فسجلوا عليه الكثير من المآخذ ، و اتهموه بتهم شتى انتهت بمقتله رضي الله عنه ، ثم بايع الناس عليّ كرم الله وجهه ، لكنها لم تكن بيعة تامة إذ خرج عليه طلحة و الزبير —بعد أن بايعاه– و خرجت معهما السيدة عائشة رضي الله عنها فكانت معركة الجمل انتصر فيها علي كرم الله و جهه ، و خرج معاوية في الشام مطالبا بدم عثمان

(*) ما فعله اليهودي الذي غاضه ما وجد عليه الأوس و الخزرج من تآلف فدس بينهما شابا أخذ يذكرهم بأيام جاهليتهم و بالأشعار التي تداولوها بينهم ، وكانت النتيجة أن رفعوا السيوف لولا أن تداركهم الرسول صلى الله عليه وسلم .

(1) الشعر و الشعراء. 189 ، 192.

و ادّعى أنّه وليّه بحكم درجة القرابة التي تجمعه به ، و أخذ يؤلب الناس على عليّ كرّم الله وجهه باستعماله قميص عثمان رضي الله عنه الملوث بدمائه

فكانت معركة صفين ، و كاد النصر أن يحسم لعلي كرم الله وجهه لولا حيلة عمرو بن العاص الذي دعا إلى رفع الصاحف على السيوف فكان التحكيم ، و خلص الأمر إلى معاوية رضي الله عنه بعد مقتل علي كرم الله وجهه ، و بعد تنازل الحسن عن حقه في الخلافة حقنا لدماء المسلمين ، على أن تكون الخلافة من بعده شورى.

استقرت الخلافة في البيت الأموي ، و عمل معاوية بن أبي سفيان توطيد سلطته و ساس الناس باللين مرة و بالشدة مرة أخرى كما حاولوا استمالة خصومهم بالأموال من جهة و استبقاء لأعوانهم لنصرتهم من جهة أخرى ، و استعانوا بالشعراء في دعوتهم ، فوجدت طائفة من الشعراء تؤيدهم و تشيد بذكرهم رغبة في العطاء أو رهبة من العقاب أولئك هم شعراء الحزب الأموي و غيرهم من الفحول(1). كما عمل معاوية رضي الله عنه على تقريب اليمنية بأن تزوج منهم ميسون بنت بجدل الكلبي أم يزيد.

لم يأت معاوية بن أبي سفيان ما كان قد وعد به من قبل من تتبع قتلة عثمان وجعل الخلافة شورى من بعده ، بل نجده يعقد البيعة لابنه يزيد من بعده ، فكان ذلك سببا قويا جعل المسلمين بين معارض و مؤيد ، فالمعارضون كانوا من أهل الحجاز و العراق ، ففي الحجاز ناس أولى بالخلافة من يزيد بن معاوية و أفضل نسبا و حسبا و تقوى ، و يوجد أنصار يؤثرون علي كرم الله وجهه، و يشايعون أبناءه ، و بالعراق متمردون على بني أمية يوجد الخوارج و الشيعة وقد أعلنوا رفضهم علنا ، فحين خاطبهم مروان بن الحكم بالمدينة في ما دعا إليه معاوية

---

(1) تاريخ النقائض ، الشايب أحمد ، ط 3 ، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، 1954 ، ص:179 .
قاطعه عبد الرحمن بن أبي بكر قائلا:«كذبتم ما الخير أردتم لأمة محمد ، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية ، كلما مات هرقل قام هرقل»(1) أما المؤيدون فكانوا من

أهل الشام ، الذين كانوا دائما يسارعون إلى نصرة معاوية ، و يقفون إلى صفه أمام خصومه ، لما له من قدم راسخة في بلاد الشام إذ و لاّه عليها الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، و كذلك فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد أخذهم باللين و أغدق عليهم من الأموال الشيء الكثير فأحبوه و أطاعوه.

انتقل معاوية إلى جوار ربه ، و ما إن آلت الخلافة إلى ابنه يزيد حتى خرج عليه الحسين بن عليّ بالعراق و عبد الله بن الزبير بالحجاز ، فزادت بذلك العصبية و تأججت نارها و استفاقت الفتن و زاد أوارها ، و التي أمدت النقائض مبكرة بموضوعاتها ، و مادتها ، و اتجاهاتها ، و قسمت الأمة شيعا و أحزابا و نصبت الشعراء بعضهم لبعض و أعادت في ظل الإسلام النزعة الجاهلية التي ينكرها الإسلام (2)

و قد أفرزت هذه العصبيات كثيرا من التهاجي بين القبائل ، و أخذ الشعراء يفاخرون غيرهم بالنسب العريق و بالكثرة و بسبقهم إلى الإسلام ، ويهجون خصومهم من القبائل الأخرى .

و النقائض(*) كما معروف نمت و ترعرعت في مثل هذه الظروف ، فغدت بذلك تربة خصبة لهذا الضرب من الشعر : و من ذلك الحين اختلطت النقائض باختلاط العصبيات و تعقدها و صارت عصبية تميم و تغلب عنصرا من عناصر المناقضة ، يقف فيها الفرزدق مع الأخطل فيهجو قيس عيلان ، و كليب بن ـــــ

(1) أدب السياسة في العصر الأموي الحوفي أحمد،ط3 ،دار نهضة مصر،1969،ص:22 ،تاريخ الخلفاء ص: 183.

(2) تاريخ النقائض ، ص: 192.

(*)النقيضة : نقض البناء: هدمه، و نقض الحبل، نكثه و حل قواه . و ضده: فتل الحبل و أبرمه و أحكمه. و النقيضة بمعناها الفني تعني : القصيدة التي تنقض معاني سابقتها و يجب أن تتوفر على : الاتفاق بحرا و رويا، و أن يرد اللاحق على السابق معانيه و ينقضها.

يربوع ، وجرير يفتخر بتميم و دارم وتغلب و يقف فيها جرير عليهما فيهجو

دارما و تغلب و الأخطل و الفرزدق ، ويفخر ببني يربوع و قيس عيلان و بتميم و كلا شاعري تميم يفخر بمضر أو بخندف أيضا و ينتمي إلى قريش ، وهذا الموقف هو المسيطر على النقائض (1).

من المعلوم أن المناقضة بين الشعراء نشأت أول ما نشأت من منطلق قبلي متأثرة إلى حد بعيد بالجانب السياسي،فإن الذي أوقد نارها بين جرير و الفرزدق هو أن جرير هجا مجاشع قوم الفرزدق و احتدم الصراع بين جرير و بين البعيث الذي لم يقو على منازلة خصمه الذي بدا قويا سليط اللسان ، وكان يتغزل بنسائهم غزلا فاحشا فاستصرخن الفرزدق و مازلن به حتى أجاب طلبهن بعد أن حج و تزوج النّوار و عاهد الله أن لا يهجو أحدا ، و قيد نفسه ليجمع القرآن . و من هنا كانت الشرارة اندلاع هذه الحرب و التي دامت زهاء ثمانية و أربعين عاما ، و لم يسكتهما إلا الموت سنة 114هجرية .

أما الطرف الثالث وهو الأخطل الذي بعث ابنه إلى العراق ليأتيه بخبر الفرزدق وجرير ، فلما عاد أخبره أن جرير يغرف من بحر ، و الفرزدق ينحت من صخر ثم قدم الكوفة على بشر بن مروان ، فبعث إليه محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة بدراهم و حملان و كسوة و خمر ، و بلغني أن الذي بعث بهذا شبة بن عقال المجاشعي ، و قال للأخطل فضل شاعرنا عليه (أي الفرزدق) و سبّه فقال الأخطل[الكامل] :

اخْسَأْ كُلَيْبُ إِلَيْكَ : إِنَّ مُجَاشِعًا وَ أَبَا الفَوَارسِ نَهْشَلًا أخوَانِ

فرد عليه جرير [الكامل]:

يَا ذَا العَبَايَةِ إِنَّ بِشْرًا قَدْ قَضَى أَنْ لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ النَّشْوَانِ (2)

---

(1) المرجع السابق ، ص: 200 .

(2) طبقات فحول الشعراء .452/2 ، 453 .

وبدخول الأخطل(*) تمت حلقة الشعراء الذين شغلوا الناس بشعرهم و تخاصموا فيهم ردحا من الزمن ، واستطاعوا أن يسكتوا جما غفيرا من الشعراء، وعدوا من فحول الشعراء، و يقو ل الجاحظ في هذ االمنحى:«و **الذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه ، و مدحوا فرفعوا من قدر من مدحوا وهجاهم قوم فردوا عليهم فأفحموهم ، وسكت عنهم بعض من هجاهم مخافة التعرض لهم وسكتوا عن بعض من هجاهم رغبة بأنفسهم عن الرد عليهم ، وهم إسلاميون : جرير و الفرزدق و الأخطل**» (1).

فالنقائض كما نرى عبرت عن الصراع السياسي و القبلي و الاجتماعي ومثلت النضج الفكري الذي ساد في ذلك العصر ، و الطابع العربي الذي ميز تلك الثقافة في عصر بني أمية ، فشعراء النقائض تمكنوا وتسلحوا بمعرفة أيام العرب و وقائعم و علم الأنساب و حفظوا شعر الفحول و تمكنوا منه ، كما اكتسبوا قدرة على الجدال و المناظرة إفحام الخصم .

و بعد عرضنا للظروف التي نشأت فيها النقائض إذ بلغت أوجها في ذالك العصر ، نحاول أن نقف على تنقل هذا الضرب من الشعر بين الناس و ولعهم بروايته و مدارسته ، و كان المربد ميدان فسيحا تجتمع فيه القبائل لتسمع الشعر في الفخر و الهجاء و المنافرة ، و وجد شعراء النقائض هذا المكان مناسبا لعرض مهاراتهم و قدرتهم على إفحام الخصوم و كبتهم و التعريض بهم

و إظهار آيات العظمة و الفخار و عراقة النسب و حظهم من العز و المجد في الجاهلية و حتى في الإسلام ، مثل ما كان عليه أسلافهم في الجاهلية في سوق عكاظ. و سنحاول أن نعرض بعض الصور التي تبين لنا مدى استحكام ـــــ

(*)وإن كان بشار بن برد يرى أن الفرزدق لا يصل على مرتبة خصميه ، وإنما تعصبت له ربيعة و رفعت له لأن الأخطل و جرير من مضر ، الموشح ، ص : 138 .

(1) البيان و التبيين. 83/4 .

هذا الضرب من الشعر في النفوس ، لأنه يلاقي هوى في النفوس ، و شيوعه بين الناس و تهافتهم عليه ، رواية و حفظا و نقدا ، و إن كانت العصبية ملازمة لهذا الغرض لا تنفك عنه ، بل تصدر عنه ، ففي الخبر الذي يرويه عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية ابن الخطفى قال:« فقدم الحجاج البصرة ،و جرير و الفرزدق يتسابّان سبع سنين قبل قدومه ، و جرير مقيم بالبصرة ، و كان قبل ذلك مقيما بالبادية ، فكتب إليه بنو يربوع : أنت مقيم بالبادية و ليس أحد يروي عنك ، و الفرزدق قد ملأ عليك العراق فانحدر إلى جماعة الناس فأشد بالرجل كما يشيد بك ، فانحدر و أقام بالبصرة فلذلك يقول[الكامل] :

إِذَا شَهِدْتُ لِثَغْرِ قَوْمِي مَشْهَدًا آثَرْتُ ذَاكَ عَلَى بَنِيَّ وَ مَالِي(1)

فهذه الرواية تشير إلى أن الناس تروي هذا الشعر و تنقله ، فيتخطى حدود العراق إلى ما يليه من الحواضر و البوادي ، و تجد الناس يتتبعون الأخبار ، إذ ترد عليهم بين الحين و الحين ، من طرف الوافدين حاملين إليهم كل جديد فتجدهم يقبلون عليهم إقبال النهم ، علّهم يظفرون بشيء يطفئ نار التشوف و الانتظار ، سواء تعلق الأمر بشاعرهم أو بخصمه ، أو بشعر الفحول بصفة عامة .

و مما يروى أن ابن سلام:« قال : مسلمة بن محارب : كان الفرزدق عند أبي في مشربة له ، فدخل رجل فقال : وردت اليوم المربد قصيدة لجرير تناشدها الناس ، فانتقع لون الفرزدق قال: ليس فيك يا أبا فراس! قال ففيمن؟ قال في ابن لجأ التيمي، قال أحفظت منها شيئا؟ قال:نعم، علقت منها ببيتين فذكرهما»(2). فكأن ورود قصيد ة في المربد يعتبر حدث هام و أمر

---

(1) الأمالي ، القالي أبو علي ، تحقيق محمد الجواد علي، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية . ص:42/3.

(2) طبقات فحول الشعراء . 377/2

جليل يجب أن يتسامع به الناس و أن يطلعوا عليه فور وروده .

و يروى عن الراعي أنه مرّ به راكب يتغنى بأبيات[الطويل]:

وَ عَاوٍ عَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمَيْتُهُ بِقَارِعَةٍ أَنْفَاذُهَا تَقْطُرُ دَمَا

إِنِّي لَقَوَّالٌ لِكُـلِّ غَرِيبَةٍ وَرُودٍ إِذَا السَّارِي بِلَيْلٍ تَرَنَّمَا

خَرُوجٍ بِأَفْوَاهِ الرُّوَاةِ كَأَنَّهَا قَرَى هُنْدُوَانِيّ إِذَا هُزَّ صَمَّمَا(1)

فبعث برسول يسأل عن القائل فإذا هو جرير . (2)

و كان أكثر الناس رواية للنقائض قبيلة الشاعر،و قبيلة الخصوم كذلك لأن الأمر لا يتلعق بأفراد بقدر ما يتعلق بالجماعة، فالشاعر ينطق بلسانها و يتغنى بمجدها ومكارمها و مكانتها بين القبائل، و في هذا يقول ابن سلام:« حدثني محمد بن الحجاج الأسيدي قال:خرجت إلى الصائفة فنزلت منزلا لبني تغلب، فلم أجد طعاما و لا شرابا و لا علفا لدابتي شرى و لا قرى ولم أجد ظلا فقلت لرجل منهم ، أما في داركم هذه مسجد أستظل بفيئه ؟ قال: مما أنت ؟ قلت من بني تميم.قال: ما كنت أرى عمك جرير إلا قد أخبروك حين قال:[البسيط]

فِينَا المَسَاجِدُ وَ الإِمَامُ وَ لاَ تَرَى فِي دَارِ تَغْلِبَ مَسْجِدًا مَعْمُورَا (3)

وكثيرا ما تنازع الناس فيهم نزاعا شديدا و في ظروف صعبة ، و هذا دليل على أنّ النقائض كانت تستحوذ على جزء غير يسير من حياتهم ، و كان لا يمنعهم شيء من الوقوف على الأفضل منهما (الفرزدق و جرير) و يحكمون في ذلك ممن يرضون حكومته، ويؤكد هذا قول ابن سلام قال:« قال : أخبرني أبان بن عثمان البجلي قال : تنازع رجلان في عسكر المهلب في جرير و الفرزدق—و هو بإزاء الخوارج— فصارا إليه و سألاه، فقال:لا أقول فيهما

---

(1) الديوان ، جرير ، ط 3 ، تحقيق نعمان محمد أمين طه ، مصر: دار المعارف، ص:980.

(2) طبقات فحول الشعراء 438/2 ، زهر الآداب 49/1 . (3) طبقات فحول الشعراء ، 491/2.

شيئا – و كره أن يعرض نفسه – و لكن أدلكما على من يهون عليه سخطهما : عبيدة بن هلال اليشكري فهو مولى بني قيس بن ثعلبة ، و هو يومئذ في عسكر قطري .فأتياه فوقفا حيال العسكر فدعواه فخرج يجر رمحه و ظنّ أنه دعي للبراز ، فقالا له : الفرزدق أشعر أم جرير ؟ فقال : عليكما و عليهما لعنة الله ! قالا : نحب أن تخبرنا ثم نصير إلى ما تريد . قال : من يقول [الكامل]:

وَ طَوَى القِيَادُ مَعَ الطِّرَادِ بُطُونُهَا طَيَّ التِّجَارِ بِحَضْرَمَوْتَ بُرُودَا

قالا : جرير . قال : هو أشعرهما» (1)

استرعت النقائض العامة من الناس ،كما استرعت الخاصة منهم كالعلماء و النحاة و الأدباء و كبار الرواة و كذلك الشعراء ممن عاصرهم ، فعنبسة الفيل كان يفضل جريرا و يروي شعره هذا ما جلب عليه نقمة الفرزدق الذي صب عليه جام غضبه قائلا[الطويل]:

لَقَدْ كَانَ فِي مَعْدَانَ وَ الفِيلُ زَاجِرُ لِعَنْبَسَةَ الرَّاوِي عَلَيَّ القَصَائِدَا.(2)

و منهم يونس بن حبيب الذي كان يقدم الفرزذق بغير إفراط ، و كان المفضل الراوية يقدمه تقدمة شديدة كما يروي ابن سلام ، و ابن سيرين ، وسعيد بن المسيب ، و أبو عبيدة النحوي ، و خلف الأحمر ، و أبو عمرو بن العلاء و الراعي وغيرهم كثير .

و هؤلاء الثلاثة اكتسبوا مكانة خاصة إذ كانوا يمثلون عصرهم خير تمثيل و كانوا يعتبرون امتدادا لمدرسة زهير بن أبي سلمى و الأعشى و النابغة ، و كان عمرو بن العلاء يقول عن الأعشى:« نظيره في الإسلام جرير ، و نظير النابغة

---

(1) المصدر السابق ، 382/2 .

(2) أخبار النحويين البصريين ، السيرافي أبو سعيد ، ط1، تحقيق طه محمد الزيني وعبد المنعم خفاجي مصر:مصطفى البابي،1955،ص:19 .

الأخطل ، و نظير زهير الفرزدق»(1).

و نحن نعرف أن الفرزدق نشأ بالبادية و كذلك غريمه جرير فاكتسبا بذلك فصاحة الأعراب ، ونهلا من مناهلها العذبة ، و كيف لا وهما من قبيلة تميم التي انتقل إليها الشعر و لا زال فيها ، و التي تعد من أفصح القبائل العربية .و هذا الفرزدق يبين بشكل واضح أنه تلميذ الفحول و عنهم أخذ في قوله[الكامل] :

وَهَبَ القَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ،إِذْ مَضَوا وَ أَبُو يَزِيدَ وَ ذُو القُرُوحِ وَ جَرْوَلُ

وَ الفَحْلُ عَلْقَمَةُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ حُلَلُ المُلُوكِ كَلَامُهُ لاَ يُنْحَلُ

وَ أَخُو بَنِي قَيْسٍ وَ هُنَّ قَتَلْنَهُ وَ مُهَلْهِلُ الشُّعَرَاءِ ذَاكَ الأَوَّلُ(2)

كما أن الفرزدق كان على اطلاع واسع على ثقافة العصر الجاهلي ، يحفظ أشعارها و يرويها ، عالم بأخبارها و أيامها ، و كان يقول:« إنما أتاني الشعر من قبل خالي–العلاء بن ثرظة الضبي– خالي و خالي الذي يقول[الوافر]:

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أُنَاسٍ حَوَادِقَهُ أَنَاخَ بِآخَرِينَا

فَقُلْ لِلشَّاتِمِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَامِتُونَ كَمَا لَقِينَا (3)

و كان يتنقل بين مراكز العلم : بين البصرة و الكوفة و المدينة ، و يأخذ عن كبار العلماء و يمدحهم كما فعل مع عمرو بن العلاء[البسيط] :

مَازِلْتُ أَفْتَحُ أَبْوَابا وَ أُغْلِقُهَا حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا عَمْرو بْنُ عَمّارِ

قال:« فإذا كان الفرزدق و هو راوية الناس و شاعرهم ، يقول فيه مثل هذا القول ، فهو الذي لا يشك في خطابته و بلاغته . و قال يونس : لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس»(4). هذا بالنسبة إلى الفرزدق أما بالنسبة لجرير فقد أخذ عن جده الخطفى من القدماء العلماء بالنسب و بالعرب و كان

---

(1) طبقات فحول الشعراء ،66/1 ، العمدة ، 167/1 .

(2) نقائض جرير و الفرزدق، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ليدن: مطبعة بريل ، 1905، ص:204.

(3) الشعر و الشعراء ، 294.

(4) البيان و التبيين ، 321/1.

شاعرا(1). و يظهر أن جريرا اتستفاد كثيرا من جده خاصة ، و أن نقائضة مع الفرزدق تحتاج منه أن يطلع على الأنساب و الأخبار ، لأنها الدعامة في مواجة خصمه ، و كان يبدي رأيه في شعراء العصر الجاهليين و حتى الإسلاميين إذا ما سئل عن ذلك ، كما جاء في الأمالي ، فعن عمارة بن عقيل، قال:« حدثني أبي – يعني عقيل بن بلال–قال : سمعت أبي–يعني بلال بن جرير–يقول سمعت جريرايقول: دخلت على بعض خلفاء بني أمية فقال : ألا تحدثني عن الشعراء؟ فقلت : بلى ، قال: فمن أشعر الناس ؟ قلت : ابن العشرين–يعني طرفة–قال : فما تقول في ابن أبي سلمى و النابغة ؟ قلت: كانا ينيران الشعر و يسديانه قال: فما تقول في امرئ القيس بن حجر؟ قلت: اتخذ الخبيث الشعر نعلين يطؤهما كيف شاء، قال: فما تقول في ذي الرمة؟ قلت : قدر من الشعر على ما لم يقدر أحد، قال: فما تقول في الأخطل؟ قلت : ما باح بما في صدره من الشعر حتى مات ، قال : فما تقول في الفرزدق؟ قلت: بيده نبعة الشعر قابضا عليها،قال:فما أبقيت لنفسك شيئا! قلت :بلى ، و الله يا أمير المؤمنين ، أنا مدينة الشعر التي يخرج منها و يعود إليها، و لأنا سبّحت الشعر تسبيحا ما سبّحه أحد قبلي، قال: و ما التسبيح؟ قلت: نسبت فأطرفت، و هجوت فأرديت ، و مدحت فأسنيت ، و رملت فأغزرت ، و رجزت فأبحرت ، فأنا قلت ضروبا من الشعر لم يقلها أحد قبلي»(2).

(1) المصدر السابق ، 214/1.

(2) الأمالي ، أبي علي القالي ، 179/2،180.

2- اهتمام الخلفاء بالشعر و روايته :

لقد كان اهتمام خلفاء بني أمية بالشعر و روايته كبيرا ، فقد صبغوا عصرهم بصبغة عربية خالصة ، وتعصبوا لكل ما هو عربي ، فابدوا حرصهم الشديد على الحفاظ على التراث العربي ، و خير ما يمثل التراث الشعر فهو ديوان العرب و هو علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه(1) كما أشار إلى ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه . و قد قرّب بنو أمية الشعراء و الرواة و الخطباء و العلماء منهم و أجزلوا لهم العطاء ، فأقاموا مجالس لسماع الشعر و نقده و لنبدأ بمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فقد روي عن الشعبي أنه قال:« وفد عبيد الله بن زياد على عمّه معاوية بن أبي سفيان ، فقال له معاوية : أحفظت القرآن ؟ قال : نعم . قال : ففرضت الفرائض؟ قال : نعم .فرويت الشعر ؟ قال : لا.قال : فما منعك ؟ قال : منعني أبي . قال : فكتب معاوية إلى زياد كتابا يقول فيه : أن تروي عبيد الله الشعر ، و لقد رأيتني يوم صفين و قد دعوت بعرسي ثلاث مرات أريد الفرار فما ردني إلا الأبيات التي قال عمرو بن الإطنابة الأنصاري حيث يقول[الوافر] :

أَبتْ لِي عِفَّتِي وَ أَبَى بَلَائِي وَ أَخْذِي الحَمْدَ بِالثَمَنِ الرَّبِيحِ
وَ إِقْدَامِي عَلَى المَكْرُوهِ نَفْسِي وَ ضَرْبِي هَامَةِ البَطَلِ المُشِيحِ
وَ قَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ لِنَفْسِي مَكَانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي(2)

و مما يروى عنه، عن سليمان المخزومي قال:« أذن معاوية للناس إذنا عاما ، فلما احتفل المجلس قال:أنشدوني ثلاثة أبيات لرجل من العرب ، كل بيت قائم بمعناه فسكتوا ، ثم طلع عبد الله بن الزبير ، فقال : هذا مقوال العرب و علامتها أبو خبيب ، قال : مهيم(*) ؟ قال :أنشدني ثلاثة أبيات لرجل من العرب ، كل بيت

---

(1) طبقات فحول الشعراء ، 24/1. (*) مهيم : كلمة استفهام يراد بها ما الخبر؟

(2) جمهرة أشعار العرب، ص:42 ، المزهر ، 310/2 ، العمدة ،43/1.

قائم بمعناه ، قال : بثلاث مائة ألف ، قال : وتساوي ؟ قال : أنت بالخيار و أنت واف كاف ، قال هات ، فأنشده للأفوه الأودي(*)[الوافر] :

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ فَلَمْ أَرَ غَيْرَ خَتَّالٍ وَ قَالِ

قال : صدق ، هيه. قال:

وَ لَمْ أَرَ فِي الخُطُوبِ أَشَدَّ وَقْعًا وَ أَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ

قال : صدق ، هيه. قال:

وَ ذُقْتُ مَرَارَةِ الأَشْيَاءِ طُرًّا فَمَا طَعْمٌ أَمَرُّ مِنَ السُّؤَالِ(1)

قال : صدق ، ثم أمر له بثلثمائة ألف(2) و هذا دليل على اهتمام معاوية برواية الشعر ، وكيف أنه يجزل العطاء في ثلاث أبيات لشاعر جاهلي.

و هذا عبد الملك بن مروان الذي مجلسه يزدهي بخيرة الشعراء و العلماء و الفقهاء و كان يدعوهم إليه و ينزلهم المنازل الرفيعة ، ويغدق عليهم من العطايا الشيء الكثير ، و يسمع منهم و يناقشهم فكان على قدر كبير من العلم الفصاحة و الفقه ، و كان يحرص على تأديب أبنائه ، إذ يستدعي كبار المؤدبين و عن هذا يروي عمرو بن سلام أن عبد الملك بن مروان دفع ولده إلى الشعبي يؤدبهم فقال: « علمهم الشعر يمجدوا و ينجدوا »(3).

و حدا به الأمر إلى أن يلوم بعض الشعراء على قلة زيارتهم مثل ما فعل مع بنصيّب ، و كانت مجالسه تحتل مكانة كبيرة في مجال العلم و الفقه و الشعر إذ يجمع نخبة ذلك العصر و زبدته ، فكانت ميدانا فسيحا لعرض الآراء و مناقشتها

(*) شاعر جاهلي اسمه صلاءة بن عمرو بن مالك ، يماني ، من مذحج ، كان سيد قومه و قائدهم في حروبهم و هو من شعراء الحكمة.

(1) الديوان ، الأفوه الأودي ، ط 1 ، تحقيق محمد التونجي ، بيروت : دار صادر ، 1998.

(2) تاريخ الخلفاء ، السيوطي جلال الدين ، بيروت لبنان : دار الفكر، ص: 189.

(3) المزهر،2/ 309 ، 310 .

و قد تتحول إلى مناظرات شديدة بين الفقهاء أو بين اللغويين ، أو بين الشعراء أنفسهم ، وفي خضم هذه الأجواء كان لا يقف موقف المتفرج بل يقف موقف العالم العارف فيدلي برأيه و يعرض حجته و كثيرا ما تكون صائبة ، إذ كان معدودا من فقهاء المدينة و اسمه مقرون بابن سيرين و عروة بن الزبير ، و يقول عنه الشعبي:« ما ذكرت أحدا إلا وجدت الفضل عليه ، إلا عبد الملك ، فإن ذاكرته حديثا زادني فيه ، و لا شعرا إلا زادني فيه »(1).

و مما يروى عنه عن أبي بكر قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:«كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سمره مع ولده و أهل بيته و خاصته،فقال لهم : ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل في الشعر و ليفضل من رأى تفضيله ، فأنشدوا و فضلوا، فقال بعضهم: امرؤ القيس ، و قال بعضهم:النابغة ، و قال بعضهم: الأعشى ، فلما فرغوا ، قال أشعر و الله هؤلاء جميعا الذي يقول [الطويل] :

وَ ذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ بِحِلْمِي عَنْهُ وَ هْوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمُ

يُحَاوِلُ رَغْمِي لَا يُحَاوِلُ غَيْرَهُ وَ كَالْمَوْتِ عِنْدِي أَنْ يَحُلَّ بِهِ الرَّغْمُ

فَإِنْ أَعْفُ عَنْهُ أُغْضِ عَيْنًا عَلَى القَذَى وَ لَيْسَ لَهُ بِالصَّفْحِ عِنْدَ ذَنْبِهِ عِلْمُ (2)

و البيت المرواني له شهرة واسعة في مجال رواية الشعر و نقده ، و يعضد هذا الكلام ما أخبر به عامر بن عبد الملك الذي قال:«كان الرجلان من بني مروان يختلفان في الشعر ، فيرسلان راكبا فينيخ ببابه-بعني قتادة- فيسأله عنه ثم يشخص»(3).

كما أن عبد العزيز بن مروان عرف بميله إلى الشعر و إكرامه لأهله فحين أقبل عليه نصيّب فبمصر حذره الحاجب بعد أن أعجب بشعره قائلا:« إياك أن تنتحل

---

(1) عبد الملك بن مروان ، عمر أبو النصر ، ط1 ، بيروت: المكتبة الأهلية ، 1962، ص: 100 .

(2) الأمالي ، القالي أبو علي ، 102/2 .

(3) طبقات فحول الشعراء ، 61/1.

فإن الأمير راوية عالم بالشعر، و عنده رواة» .(1) و كان هشام بن عبد الملك مولع بالشعر راغب فيه ، و هو الذي بعث إلى حماد الراوية يستدعيه إلى دمشق عن طريق عامله يوسف بن عمر و طلب منه أن يعطيه خمسمائة دينار و جملا مهريا يسير إليه اثنتي عشرة ليلة ، و عندما شخص إليه سأله:« أتدري فيم بعثت إليك ؟ قلت :لا . قال : بعثت إليك لبيت خطر ببالي لم أدر من قاله.قلت و ما هو ؟ قال:

فَدَعُوا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيقُ

قلت : هذا يقوله عدي بن زيد في قصيدة له ، قال : انشدنيها ، فأنشدته».(2)

و قد يصل الأمر أحيانا إلى الشجار بينهم ، حول قائل البيت كذا ، أو عن أحسن بيت قالته العرب في الكرم أو الزهد و غيرهما . و قد يشتد الجدال حين يفاضلون بين الشعراء أو بين معنى و معنى ، أو في غرض معين ، مثلما حدث بين الوليد بن عبد الملك و أخيه مسلمة ، فعن محمد بن عبيد الله العتبي قال:« تشاجر الوليد بن عبد الملك و أخوه في شعر امرئ القيس و النابغة الذبياني في وصف طول الليل، أيهما أجود، فرضيا بالشعبي فأحضر فأنشده الوليد للنابغة[الطويل] :

كَلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ وَ لَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَ لَيْسَ الَّذِي يَرْعَى النُّجُومَ بِآيِبِ

و أنشده مسلمة قول امرئ القيس.[الطويل] (3) :

وَ لَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَ أَرْدَفَ أَعْجَازًا وَ نَاءَ بِكَلْكَلِ

كَأَنَّ الثُرَيَا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ

---

(1) تجريد الأغاني ،الحموي ابن واصل،تحقيق طه حسين و إبراهيم الأبياري،القاهرة:مطبة مصر،1955،ص: 109

(2) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، الأنباري أبو البركات ، ط3،حققه أبراهيم السامرائي ، الأردن : مكتبة المنار ، 1958 ، ص: 40 ، 41 .

(3) الموشح ، ص: 31 .

و الشواهد كثيرة لا يحصيها عد ، فبلاط الخلفاء و الأمراء كان دوما قبلة الأدباء والشعراء و رواة الشعر و غيرهم ، و كانت أبوابهم مفتوحة على مصراعيها و أيديهم ممدودة ، فأجزلوا العطاء و أكثروا من العطايا ، يستقدمون إليهم كل عالم جليل ، و شاعر فحل ، وخطيب مفوه ، لأنهم يعدونهم زينة مجالسهم و مناط فخرهم ، و تعبيرا عن حبهم للعلم و تقديرا لأهله. و كان أمراءهم يفعلون ذلك كالحجاج بن يوسف و سعيد بن العاص الذي كان على المدينة و كان يطعم الطعام و يخوض مع جلسائه في أحاديث العرب و أشعارهم (1).

(1) الشعر و الشعراء ، ص: 188.

3- حرفة التعليم :

العرب أمة موسومة بالأمية ، و يغلب عليها طابع البداوة ، والقبائل لا تستقر في مكان حتى تنتقل إلى غيره طلبا للماء و الكلأ ، في بيئة صحراوية شاسعة قاسية ، يحكمها في الغالب نظام قبلي يخضع للعرف و ما ورثوه من تقاليد عن أبائهم و أجداهم ، فكانت ثقافتهم ثقافة شفوية ينقلها الصغير عن الكبير معتمدين على حافظة قوية بها يحفظون موروثهم من عاديات الزمن فكانوا يعقدون مجالس يجتمع فيها أفراد القبيلة للسمر ، يتناشدون الأشعار و الأخبار. و كانت الكتابة عندهم شيئا نادرا لأن الظروف لا تسمح لهم بذلك ، لأنها تتصل بالمستوى الفكري و الثقافي و السياسي و الشوط الذي قطعته في مجال الحضارة و العمران ، و المصادر تخبرنا أن عدد الكتاب الذين يتقنون الكتابة قليل،فعن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم العدوي قال:«دخل في الإسلام من قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب» (1) و قد ذكرت بعض الأسماء في العصر الجاهلي كأمية بن أبي الصلت و قيس بن نشبة و ورقة بن نوفل ، وما حفظ أسمائم إلا دليل على قلّتهم.

و ما إن جاء الإسلام حتى دخل العرب عهدا جديدا ، فدعا إلى العلم في أول آية نزلت من القرآن الكريم و ذلك في قوله تعالى :﴿ **اِقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴿1﴾ **خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ** ﴿2﴾ **اِقْرَأْ وَ رَبُّكَ الأَكْرَمُ** ﴿3﴾ **الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ** ﴿4﴾ **عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لاَ يَعْلَمُ** ﴿5﴾ ﴾(2) و قد سلك الرسول الكريم طريق القرآن إذ أخذ يحث المسلمين على طلب العلم ، وجعل فداء أسرى بدر تعليم عدد من المسلمين القراءة و الكتابة ، و قد اعتبر الإسلام الإقبال على العلم ضرورة دينية إلى جانب ما تتطلبه الحركة العقدية و الثقافية و الاجتماعية في مجتمع يسعى إلى بناء صرح

---

(1) فتوح البلدان ، البلاذري ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، بيروت: مؤسسة المعارف ، 1987،ص: 660.

(2) العلق: الآية:[1- 5]

حضاري قوي و متماسك. فالظروف الحديثة شجعت على انتشار التعليم و كان

هذا متزامنا مع سرعة الفتوحات الإسلامية و دخول أمم كثيرة في الإسلام فكثرت بذلك الكتاتيب و حلق العلم في المساجد ، و أقبل خلق كثير عليها من العرب و عيرهم ينهلون منها يتدارسون القرآن الكريم و يحفظونه.

و في هذا يقول عمر أبو النصر: «كان مبدأ طلب العلم قراءة القرآن الكريم و حفظ آياته و فهم معانيه ، و كان هذا بدء نشر العلم و التعليم في تاريخ العرب فقد انبثق عن حفظ القرآن جماعة القراء الذين كانوا يحفظون القرآن و الذين يعتبرون أول المعلمين في تاريخ الإسلام ، لأنهم كانوا يعلمون الناس قراءة القرآن ، وحفظه و في المصادر التي بين أيدينا ما يدل على أن الخلفاء الراشدون كانوا يرسلون هؤلاء القراء إلى الأمصار المفتوحة لتعليم الناس القرآن و حفظه و أقدم نص وجدناه في ذلك ما فعله عمر بن الخطاب في السنة الرابعة من الهجرة»(1).

و تعتبر المساجد أول الأماكن التي احتضنت التعليم في الإسلام ، ففيها يحفظون القرآن الكريم و يتعلمون القراءة و الكتابة و الحساب و الشعر و القصص و الأخبار ، بالإضافة إلى بعض البيوت و الأماكن التي كان الناس يجتمعون فيها للدرس و التحصيل.

و لم يكن التعليم يخضع لنظام معين بل كل مكان يلقى فيه العلم يعد بمثابة مدرسة ، إضافة إلى مجانيته و كانت الفرص متاحة للجميع دون قيد أو شرط . و نتيجة هذه الحركة الدؤوب أسست لظهور مدارس ذات توجهات فكرية مختلفة متمثلة في مدرسة أبي موسى الأشعري في القراءات في البصرة ،و مدرسة عبد الله بن مسعود في الفقه بالكوفة ، و مدرسة عبد الله بن عباس في التفسير

---

(1) عبد الملك بن مروان ، عمر أبو النصر ، ص: 287.

بمكة ، و المدرستين البصرية و الكوفية في النحو (1). و في عهد بني أمية زاد نشاط التعليم و اتسع نطاقه ، خاصة و أن الأمة في تلك المرحلة قد قطعت شوطا في

مجال المدنية و الحضارة ، وكان خلفاء بني أمية يهتمون بتربية أبنائهم و تعليمهم ، إذ يبعثون بهم إلى البادية على عادة أجدادهم ، ليتعلموا الفصاحة من أهلها و يأخذوا شيئا من عادات العرب الراسخة ، إلى جانب ما تتميز البادية من نقاء في هوائها ، فيكتسبون بلاغة في اللسان ، و قوة في الجسم ، ثم يعهدون بتربيتهم إلى طبقة من العلماء هم المؤدبون ، وكان هؤلاء المؤدبون يثقفون تلاميذهم باللغة و الشعر و التاريخ و الأنساب. وقد أوصى معاوية بن أبي سفيان باتخاذ الشعر وسيلة من وسائل التربية الأساسية في قوله :« **اجعلوا الشعر أكبر همكم ، و أكثر آدابكم ، فإنه فيه مآثر أسلافكم ،و مواضع إرشادكم**» (2) فالشعر كان دوما ديوان العرب و لم يكن لهم علم أصح منه على قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لهذا وجدنا معاوية بن أبي سفيان يركز على الشعر ، لأنه يعبر عن المآثر و الأمجاد التي صنعها الأجداد ، و به حفظت الأنساب ، وفيه تجسد جمال الكلام العربي و فصاحته ، لذا اختاروا من الشعر أعذبه و أحكمه إلى جانب ما يتضمنه من أخلاق و فضائل تسمو بنفس المتعلم و ترغبه في المعالي وتبعده عن صغائر الأمور و سفاسفها .

و قد دفع عبد الملك بن مروان ولده إلى الشعبي يؤدبهم فقال:« **علمهم الشعر يمجدوا و ينجدوا و أطعمهم اللحم تشتد قلوبهم ، و جزّ شعورهم تشتد رقابهم و جالس بهم علية الرجال يناقضوهم الكلام**»(3) فالشعر يعد من أهم الوسائل التربوية فتعلمه و روايته ، يكسب المروءة و الشرف ، و يبعث على الشجاعة

---

(1) عصر الخلافة الراشدة ، العمري أكرم ضياء ، مكتبة العبيكان ، 1414هـ ص:271 .

(2) أدب السياسة في العصر الأموي ، ص:270 .

(3) المزهر ، 309/2 ، 310 .

و النجدة. و كان يتخير الأشعار و من ذلك أنه قال لمؤدب ابنه:« إذا رويتهم الشعر فلا تروهم إلا مثل قول العجير السلولي :

يَبِينُ الجَارُ حِينَ يَبِينُ عَنِّي وَ لَمْ تَأْنَسْ إِلَيَّ كِلَابُ جَارِي
وَ تَظْغَنُ جَارَتِي مِنْ جَنْبِ بَيْتِي وَ لَمْ تُسْتَرْ بِسِتْرِ مِنْ جِدَارِي
وَ تَأْمَنْ أَنْ أُطَالِعَ حِينَ آتِي عَلَيْهَا وَ هِيَ وَاضِعَةٌ الخِمَارِ(1)

و أوصى أحد مؤدبي ولده:« أدبهم برواية شعر الأعشى، فإنه–قاتله الله– ما كانت أعذب بحره و أصلب صخره»(2) و كان يقول:« **من أراد أن يتعلم ركوب الخيل،فليرو شعر الطّفيل**»(3) و قد قيل أن علم الملوك:«**النسب و الخبر و الشعر**»(4) والواضح أن بني أمية ركزوا هذه العناصر التي سعت إلى تمثل الثقافة الجاهلية في الكثير من قيمها إلى جانب قراءة القرآن الكريم والحديث الشريف.

فأبناء الخاصة يتلقون التعليم على أيدي مؤدبين كبار في مرتبة العلماء و كانت مجالات التربية ، تركز على الجانب العقلي و الروحي و البدني للمتعلم . و هذا لا يعني أن التعليم اقتصر على هذه الفئة دون غيرها ، فالعلم كان متاحا للجميع و قد أظهر الناس اهتمامهم بتربية أبنائهم و تعليهم و إن كان فيهم من يدفع أجرة في سبيل ذلك بعدما كان مجانا . ولم تكن الدولة تشرف على التعليم و إن كانت تشجع عليه بما تقدمه من دعم مادي.

إن أغلب المؤدبين كانوا علماء كأبي عمرو بن العلاء و عامر الشعبي و دغفل النسابة و صالح بن كيسان و ميمون بن مهران وكان منهم الشعراء كالكميت و الراعي ، وهؤلاء و غيرهم كثير كانوا يحفظون الشعر و يروونه ، فكان الشعبي يقول:« ما كتبت سوداء على بيضاء إلا حفظته»(5).

---

(1) الأغاني ، 75/13 . (4) محاضرات الأدباء الإصبهاني الراغب ،تحقيق إبراهيم زيدان
(2) أدب السياسة في العصر الأموي ،ص:270 . الفجالة مصر: مطبعة الهلال،1902،ص: 16.
(3) الشعر و الشعراء ، ص: 275. (5) المصدر نفسه ، ص: 16 .

4- القصاص و الوعاظ و الإخباريون و النسابون :

سنبدأ في هذا المبحث **بالقصاص و الوعاظ** ثم نعرج على الإخباريين و النسابين و إن كانت الرواية تجمع بينهم ، لأن رواية الشعر كانت تابعة لذكر الأخبار و الأنساب ، و كذلك من أجل شرح غريب القرآن و الحديث الشريف و البحث عن الشاهد.

القصّ في اللغة هو القطع و التتبع و إيراد الخبر . و قص الشعر و الصوف : قطعه والقص : أخذ الشعر بالمقص.و أصل القص القطع.و يقال:قصصت الشيء إذا تتبعت أثره،قال تعالى : ﴿**وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ**﴾(1) أي تتبعي أثره.و القصة الخبر و هو القصص ، و قص علي خبره يقصه قصا و قصصا أورده(2). و القص هو فن مخاطبة العامة و وعظهم بالاعتماد على القصة ، و المقصد من القصص في الأصل مقصد ديني طيب ، إذ في إيراد القصة موعظة و عبرة ، و من أجل ذلك نرى القرآن الكريم يقص علينا أخبار الأمم السابقة و في ذلك يقول عز و جل:﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ (3) و قال كذلك :﴿**وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ**﴾ (4).

و تعد القصة من الوسائل المهمة في التربية و التوجيه ، و أخذ العبرة و الاتعاظ لما لها من تأثير في النفوس ، إذ استطاعت أن تستهوي الناس منذ القديم لأن النفس تجد متعة و راحة، فلا تجد أمة من الأمم إلا ولها من القصص الشيء الكثير و القصاص هم الذين يقصون على الناس، ويكون علمهم التفسير و الأثر و الخبر عن الأمم البائدة و غيرهم ، ينقلون ذلك تعليما و موعظة ، وكانوا في القرن الأول يقدمونهم في بعض حروب بني أمية ، ليقصوا على المقاتلة أخبار الشهداء

---

(1) القصص :الآية :11 .
(2) المنجد ، مادة قص ، ص: 666.
(3) يوسف :الآية : 111.
(4) القمر : الآية : 4.

و فضائلهم و ما وعدوا به في الجنة مما لا عين رأت و لا أذن سمعت ليحمسوهم بذلك قبل مباشرة القتال ، و حتى لا تحجزهم رهبة و لا يملكهم فزع و لا ترد وجوههم آمال الحياة ، و هو وجه من الحيطة في السياسة و حسن النظر في التدبير ، وكان ذلك دأب الحجاج الثقفي أمير العراقين لبني أمية ، في حروبه التي شنها و وقائعه ، لأن أكثر من قاتلهم كانوا من المستميتين ديانة أو حمية كالخوارج و الناقمين عليه و على بني أمية من العرب ، وأخبارهم مشهورة(1). ولم يكن القصص في عهد النبي صلى الله عليه و سلم ، و لا في عهد أبي بكر الصديق ، و لا في عهد عمر بن الخطاب ، و ذلك لقربهم من عهد الرسالة و يؤكد هذا ما رواه الإمام أحمد و الطبراني عن ابن السائب بن يزيد قال:« إنه لم يكن يقص على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم و لا زمن أبي بكر و لا زمن عمر»(2) وذكر أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه أن يقص عليهم لأنهم كانوا شغوفين بسماع القصص و مدى تعلقهم بها فنزل: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ** ﴾(3) و في حديث آخر:«أن بني اسرائيل لما قصوا هلكوا أي اتكلوا على القول و تركوا العمل»(4) و من القصاص الأوائل الذين الذين أدخلوا القصص الديني ورد اسمهم تميم الداري و هو من الصحابة رضي الله عنهم ، و كان يقول في قصصه إذا ذكر الموت و خاطب الميت :

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَ إِلَّا فَإِنِي لَا إِخَالُكَ نَاجِيَا

وقد طلب الإذن من عمر رضي الله عنه فأبى عليه ، بالرغم من إلحاحه ، وقد روى ذلك الطبراني بسند جيّد عن عمرو بن دينار أن تميما الداري استأذن عمر

---

(1) تاريخ آداب العرب ، الرافعي ، 299/1 .

(2) تحذير الخواص ، السيوطي جلال الدين ، ط1، تحقيق محمد لطفي الصباغ ، الأردن ، وقف الأنصار،ص: 60.

(3) يوسف :الآية : 3.

(4) المفصل ،371/1 .

في القصص ، فأبى أن يأذن له ثم استأذنه فقال:« إن شئت و أشار بيده »، يعني الذبح . فقال الحافظ زين الدين:« فانظر توقف عمر في إذنه في حق رجل من الصحابة الذين كل واحد منهم عدل مؤتمن ، وأين مثل تميم في التابعين و من بعدهم »(1) و قد أحدث القصص في زمن معاوية بن أبي سفيان الذي اتخذ قاصا كان يجلس إليه متى انفتل من صلاة الفجر ، فلا غرو أن يتبعه أهل الشام على ذلك ويكثر القصص فيهم (2).

و في عهد التابعين لم يكن القصص محظورا ، و لم ينكر أعلام الصحابة و كبار التابعين ذلك بل كانوا يحضرون و يستمعون كما فعل عبد الله بن عمر الذي كان يجلس إلى عبيد بن عمير الليثي و هو من التابعين ، و قد أقرته السيدة عائشة رضي الله عنها ، فحدث عطاء قال:« دخلت أنا وعبيد عليها فقالت: من هذا ؟ فقال : أنا عبيد بن عمير. فقالت رضي الله عنها : قاص أهل مكة ؟ قال : نعم قالت : خفف ، فإن الذكر ثقيل»(3) .و قد ذكر الجاحظ أشهر القصاص «و قصّ الحسن و سعيد ابنا أبي الحسن ، و كان جعفر بن الحسن أول من اتخذ في مسجد البصرة حلقة و أقرأ القرآن في مسجد البصرة ، وقص إبراهيم التيمي و قص عبيد بن عمر الليثي و جلس إليه عبد الله بن عمر حدثني بذلك عمرو بن فائد بإسناد له ، و من القصاص : أبو بكر الهذلي و هو عبد الله بن سلمى وكان بينا خطيبا صاحب أخبار وآثار ، و قصّ مطرّف بن عبد الله بن الشخير في مكان أبيه ، و من كبار القصاص ثم من هذيل : مسلم بن جندب و كان قاصّ مسجد النبي صلى الله عليه و سلم بالمدينة ، و كان إمامهم و قارئهم ، و فيه يقول عمر ابن عبد العزيز : من سرّه أن يسمع القرآن غضا فليسمع قراءة مسلم بن جندب.

---

(1) تحذير الخواص ، مرجع سابق ، ص: 60 . (3) المرجع نفسه ، 299/1.

(2) تاريخ آداب العرب ، 299/1 .

و من القصاص عبد الله بن عرادة بن عبد الله بن الوضين ، وله مسجد في بن بني شيبان ، و من القصاص الكبار موسى بن سيار الأسواري ، و كان من أعاجيب الدنيا »(1).

و كان القصاص يهدفون إلى وعظ الناس و تذكيرهم بالآخرة و أهوال يوم القيامة ، و بالجنة و ما فيها من نعيم ، و عدم الركون إلى الدنيا الفانية ، و على هذا فإن القصاص كانوا وعاظا ، لأن الغاية التي يطلبونها من خلال القصص هي الوعظ ، و من أشهر الوعاظ : عبد الله بن عمرو بن العاص في مصر ، ورجاء بن حيوة و الأوزاعي في الشام ، و سعيد بن المسيب و أبي حازم الأعرج في المدينة و المزني و الشعبي وأيوب السختياني و محمد بن واسع الأزدي البصري، و قد تولى الوعظ في جيش قتيبة بن مسلم بخرسان و فيه يقول إنه أحبّ إليّ من ألف سيف شهير و سنان طرير ، و من كبار الوعاظ و القصاص مالك بن دينار

و كان يقول في قصصه : ما أشد فطام الكبير ، وينشد :

وَ تَرَوَّضْ عِرْسَكَ بَعْدَمَا هَرِمَتْ وَ مِنَ العَنَاءِ رِيَاضَةُ الهَـرِمِ (2)

إلا أن بعض العلماء يفرق بين القصص و التذكير و الوعظ ، منهم ابن الجوزي في كتابه «**القصاص و المذكرين**» الذي يعرف القصص بقوله : القاص هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها و الشرح لها ، وذلك القصص ، وهو في الغالب مستعمل فيمن يروي أخبار الماضين . و عرف التذكير : بأنه تعريف الخلق نعم الله عز و جل عليهم وحثهم على شكره و تحذيرهم من مخالفته . و يقول في تعريف الوعظ:بأنه تخويف يرق له القلب. ثم يقول:إن القصص مذموم و التذكير والوعظ محمودان . ثم عقب : و هذا لا يذم لنفسه لأن في إيراد أخبار السالفين عبرة لمعتبر و عظة لمزدجر...و إنما كرّه لأحد ستة أشياء :

---

(1) البيان و التبيين ، 1/ 367 ، 368 .

(2) العصر الإسلامي ، شوقي ضيف ، 436 .

1- لأن القصص بدعة لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم .

2- لندرة صحة أخبار المتقدمين.

3- لأن القصص يشغل عن قراءة القرآن و رواية الحديث و التفقه في الدين.

4- لأن القصص في واقعه أفسد قلوب الناس.

5-لأن ما في القرآن والسنة من العظة ما يكفي عن غيره مما لا يصح.

6- لأن معظم القصاص لا يتحرون الصواب (1).

و يشير الرافعي إلى ذلك بقوله : ولم يكن القصص في القرن الأول مرذولا، و لا كانوا يرون به بأسا ، لأن فنونه ترجع إلى القرآن و الحديث. و لما كان القرن الثاني و انتهى عصر كبار القصاص من التابعين ، و على رأسهم الحسن البصري (ت **110**) نشأت بعده الطبقة التي أخذت عنها العامة و قد اضطربت الفتن و كثر الكلام و فشت الأكاذيب في الحديث و في الأخبار و في الشعر ، فصار همّ القاص أن يجيء بالغرائب ، ويكثر من الرقائق ، لأن أهل العلم انصرفوا إلى حلقات الرواية ولم يبق في حلقات القصاص إلا العامة و أشباههم ، و قد علمت مذهبهم و الشأن فيما ينفق عندهم فمن ثمّ ساءت المقالة فيهم و صار القاص عند أهل العلم أحمق ممخرقا لا يعرفونه بغير ذلك(2).

و كثيرا ما كان القصاص يعتمدون على الشعر فيروونه على المستمعين على نطاق واسع ، فاستكثروا منه لأنه يزين كلامهم من جهة،و من جهة أخرى يجلب اهتمام السامعين ، لما للشعر من تأثير في النفوس ، و ما يضيفونه من أساطير لتجد طريقها إلى أفئدة العامة . و قد أنكر ابن سلام على ابن إسحاق الكثير من الأشعار التي ساقها في السيرة قائلا:« و كان مما أفسد الشعر و هجنه، وحمل كل غثاء منه ، محمد بن إسحاق بن يسار —مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف

---

(1) تاريخ القصاص، 13 ، 14.

(2) تاريخ آداب العرب ، 300/1 ، 301 .

و كان من علماء الناس بالسير . قال الزهري : لا يزال في الناس علم ما بقي مولى آل مخرمة و كان أكثر علمه بالمغازي و السير و غير ذلك ، فقبل الناس منه الشعر ، و كان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر أتينا به فأحمله . و لم يكن ذلك له عذرا ، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط و أشعار النساء فضلا عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عاد و ثمود ، فكتب لهم أشعارا كثيرة ، وليس بشعر ، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف»(1) و أخذ بن سلام يرد على ابن إسحاق بالأدلة النقلية و العقلية معا .

هذا بالنسبة للقصاص و الوعاظ ، أما بالنسبة **النسابين و الإخباريين** فإن العصر الأموي شهد ازدهارا كبيرا في روايتهما و تدوينهما . فالخلافة الأمية حافظت على الطابع العربي و تعصبت له ، و تمسكت بالعادات و القيم التي ورثوها عن أجدادهم كالفخر بالنسب ، و العناية بالأخبار و الأشعار كان معاوية بن أبي سفيان من الذين اعتنوا بأنساب و أخبار العرب ، إذ جاء في أخبار عبيد بن شرية عن معاوية:« و كانت أفضل لذاته في آخر عمره المسامرة و أحاديث من مضى. فقال له عمرو بن العاص : لو بعثت إلى الجرهمي الذي بالرقة من بقايا من مضى فإنه أدرك ملوك الجاهلية و هو أعلم من بقي في أحاديث العرب و أنسابها و أوصفه لما مر عليه من تصاريف الدهر. فبعث إليه معاوية فأتى في محمل بعد أيام كثيرة و شدة شوق من معاوية إليه ، فدخل عليه شيخ كبير السن صحيح البدن ثابت العقل ذرب اللسان.فإذا به كان يحدثه وقائع العرب و أشعارها وأخبارها ، أمر أهل ديوانه و كتابه أن يوقعوه و يدونوه في الكتب»(2).

فأملى كتاب الملوك و أخبار الماضي و الأمثال.

---

(1) طبقات فحول الشعراء ، 7/1 ، 8 .

(2) التيجان في ملوك حمير ، وهب بن منبه ، ط 2، تحقيق مركز الدراسات و الأبحاث اليمني ، ص:325.

و وفد دغفل النسابة على معاوية و أتاه قدامة بن ضرار القريعي ، فنسبه دغفل حتى بلغ أباه الذي ولده فقال:« و ولد ضرار رجلين أما أحدهم فناسك ، و أما الآخر فشاعر فأيهما أنت؟ فقال : أنا الشاعر السفيه و قد أصبت في نسبي و كل أمري» (1).

و شهدت رواية الأنساب و الأخبار تشجيعا كبيرا من طرف خلفاء بني أمية و كانوا كانوا يغدقونه على النسابين و الإخباريين من أموال الشيء الذي جعل الكثير يقبل على حرفة الرواية و يعدون أنفسهم لها ، و من هؤلاء عبد الرحمان بن محمد الأشعث (ت**80**هـ) يقول:« قدم عبد الملك ، وكان يحب الشعر فبعث إلى الرواة ، فما أتت عليّ سنة حتى رويت الشاهد و المثل و فضولا بعد ذلك ، وقدم مصعب وكان يحب النسب فدعوت النسابين فتعلمته في سنة ، ثم قدم الحجاج و كان يدني على القرآن ، فحفظته في سنة» (2) و النسب يستتبع رواية أخبار العرب و ما فيه شاهد على التاريخ من أشعارها ، لهذا فرواية الأنساب عادة ما تتداخل مع رواية الأخبار و لا تنفصل عنها . وكان يزيد يهتم بالأنساب إذ اتخذ علاقة بن كرشم الكلابي من سماره ، لأن له علم بالأنساب و الأخبار و أحاديث العرب القديمة ، و قد أخذ عنه من ذلك شيء كثير (3) و أكثر من ذلك بل ظهر في بني أمية أنفسهم علماء النسب كالوليد بن روح بن الوليد بن عبد الملك و كان أثيرا عند عمر بن عبد العزيز(4).

ومن أشهر النسابين على حد قول الجاحظ : و النسّاب أربعة : دغفل بن حنظلة و عميرة أبو ضمضم ، و صبح الحنفي ، و ابن كيس النمريّ(5).

---

(1) الفهرست ، ص: 101 .

(2) الحيوان ، الجاحظ ، ط2 ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصر:مطبعة البابي الحلبي و أولاده، **1966**، **5/194**،**195**.

(3) معجم الأدباء، الحموي ياقوت ، ط1 ،تحقيق إحسان عباس ، بيروت:دار الغرب ،**1993** ، ص:**1630**.

(4) طرفة الأصحاب ، ص :6. (5) البيان و التبيين ،304/1.

أما الإخباريون فنذكر على رأسهم محمد بن السائب الكلبي(ت**146**ه) الذي يعد من علماء الكوفة بالتفسير و الأخبار و أيام الناس، يتقدم الناس بالعلم بالأنساب وله من الكتب كتاب تفسير القرآن ، و أجمعوا على تركه و اتهموه بالكذب و الرفض، و هو أول من افترى خبر كتابة القصائد السبع (المعلقات) و تعليقها على الكعبة ، و ابنه هشام(ت**206**هـ) عالم بالنسب و أخبار العرب و أيامها و مثالبها و وقائعها إضافة إلى شبيل بن عرعرة الضبعي ، و مجالد بن سعيد بن عمير ،و الشرقي بن القطامي ، و أبو اليقضان و غيرهم . و هؤلاء اختصوا برواية أخبار العرب و تغلب عليها . و هناك طائفة من الإخباريين تغلب عليهم أخبار الفتوح الإسلامية و على رأسهم أبو مخنف الأزدي و له كتاب فتوح الشام و كتاب فتوح العراق و كتاب صفين ، و أبو الفضل بن مزاحم و له كتاب الغارات و كتاب الجمل و كتاب صفين و غيرهم (1).

(1) تاريخ آداب العرب ، 1/315،314 .

5 – الشعراء الرواة :

تحدثنا عن هذه الطبقة و أشرنا إلى أهميتها الكبيرة في بداية هذا الفصل و التي يطلق عليها طبقة الفحول ، لأن الشاعر الفحل هو ذلك الذي يروي شعر غيره ، سواءِ ألزم شاعرا بعينه و روى عنه حتى تكمل شخصيته الفنية ، ويمتلك أداة هذا الفن ، و قد يشكلون مدرسة شعرية إذا تسلسلوا في نسق كالمدرسة التي تمتد من أوس بن حجر و تنتهي على كثيّر ، أم روى لشعراء عدة دون قيد كالفرزدق،و جرير ، و سراقة البارقي و غيرهم.

إن التوقف عند هذه الطبقة من الأهمية بمكان في العصر الأموي ، لأن هذه الفئة استطاعت أن تحفظ لنا الكثير من الشعر ، و أن تحميه من الضياع ، و أن تنقذ ما يمكن إنقاذه . و لا شك أن الكثير من الشعر ضاع لأنه لم يكن مدونا ، و إنما تكفلت الذاكرة بحفظه جيلا عن جيل. و قد انتخبنا مجموعة من الشعراء كان لهم الدور الكبير في رواية الشعر و حفظه ، و كانوا يمثلون حلقة وصل مهمة في تاريخ رواية الشعر و تنقلها من جيل إلى جيل ، فقد حفظوا الكثير من الشعر الجاهلي و رووه وتمثلوا به ، بل لقد نقدوه و حكموا عليه و فاضلوا بين الشعراء الجاهليين(1).

أ– ذو الرمّة (ت 117هـ):

هو غيلان بن عقبة بن بهيس و يكنى أبا الحارث و هو من بني صعب بن ملكان بن عدي بن عبد مناة(2). لزم البادية و كان راوية للراعي و يجعله إماما ،و كان كذلك يؤخذ عنه بعض الشعر الجاهلي، فقد أخذ عنه يونس بن حبيب قصيدة عبيد بن الأبرص الحائية التي يصف فيها المطر(3). كان معلما بالبدو، ويعد من

---

(1) مصادر الشعر الجاهلي: 225.

(2)) الشعر و الشعراء: 326.

(3) مصادر الشعر الجاهلي: 226.

الذين يعرفون الكتابة و القراءة لكنه كان يكتم ذلك، لأنه يعد عيبا فعن محارب قال:«كان ذو الرمة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك،و أنه لا يحسن المدح والهجاء» (1) و كذلك ما رواه شعبة، قال:« لقيت ذا الرمة فقلت : اكتبني بعض شعرك فجعل يمل علي و يطلع في الكتاب ،فيقول:« ارفع اللام من السين و شق الصاد و تعور الكاف . فقلت : من أين لك الكتاب ؟ قال : قدم علينا رجل من الحيرة فكان يؤدب أولادنا ، فكنت آخذ بيده فأدخله الرمل فيعلمني الكتاب ، و أنا أفعل ذلك لئلا تقول عليّ ما لم أقل»(2) و كان حجة و هذا ما أقره الأصمعي: «ذو الرمة حجة لأنه بدوي»(3)

وقد نال شهرة كبيرة في عصره عند الشعراء و العلماء على السواء ، لما في شعره من إحكام الصنعة و جمال الفن و قوة التأثير، يؤكد هذا عن حماد الراوية قال: قال الكميت حيث سمع قول ذي الرمة[الطويل]:

أَعَاذِلُ قَدْ أَكْثَرْتِ مِنْ قَوْلِ قَائِلِ وَ عَيْبٌ عَلَى ذِي الوُدِّ لَوْمُ العَوَاذِلِ

«هذا و الله ملهم و علم بدوي بدقائق الفطنة و ذخائر كنز العقل المعد لذوي الألباب أحسن»(4)

و عن عمارة بن عقيل قال:«كان جرير عند بعض الخلفاء فسأله عن ذي الرمة فقال: أخذ من طريف الشعر و حسنه ما لم يسبقه إليه احد غيره»(5) و كان يقول فيما نقله أبو عمرو بن العلاء عن جرير قال«:قال جرير : لو خرس ذو الرمة بعد قصيدة :

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا المَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنّهُ مِنْ كُلًى مَفْرِيَةٍ سَرِبُ

لكان أشعر الناس»(6)و من العلماء و الرواة كحماد بن إسحاق، قال: قال حماد

---

(1) الأغاني ، 116/16.
(2) الموشح ، ص: 177.
(3) المصدر نفسه : ص: 170 .
(4) الأغاني ، 108/16 .
(5) المصدر نفسه ،109/16.
(6) الموشح ، ص:171 .

الراوية:« قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم أر أفصح و لا أعلم بغريب منه»(1) وعرف عنه أنه كان يحرص على تدوين شعره و لا يكتفي بالرواية ، لأنه يدرك أنه يمكن أن يزاد في شعره ، و أن يقال عنه ما لم يقل كما أشرنا إلى ذلك في رواية شعبة ، و كذلك أن الذاكرة قد يعتورها نوع من النسيان و السهو لذا كان يقول لعيسى بن عمر:« **اكتب شعري، فالكتاب أحب إلي من الحفظ ، لأن الأعرابي ينسى الكلمة و قد سهر في طلبها ليلته فيضع في موضعها كلمة في وزنها ثم ينشدها الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلام بكلام**»(2).

و رغم مكانته في ميدان الشعر و اعتراف الكثير له بذلك كجرير و الكيمت و كذلك العلماء و الرواة ، إلا أنه لم يدخل في عداد المقدمين (الفحول) و يعلل هذا حديث الجلودي الذي قال:« قيل للبطين : أكان ذو الرمة متقدما(فحلا) ؟ فقال البطين : أجمع علماء بالشعر على أن الشعر وضع على أربعة أركان : مدح رافع ، أو هجاء واضع ، أو تشبيه مصيب ، أو فخر سامق ، وهذا كله مجموع في جرير و الفرزدق و الأخطل ، فأما ذو الرمة فما أحسن قط أن يمدح ، ولا أحسن أن يهجو ، ولا أحسن أن يفخر ، في كل ذلك دونا ، إنما يحسن التشبيه فهو ربع شاعر»(3). و في رواية أخرى عن علي بن يحيى المنجم عنه عن أبيه:« أن ذا الرمة سأل الفرزدق عن شعره و قال : مالي لا ألحق بالفحول ؟ فقال : يقعد بك عن غاية الشعراء نعتك الأعطان و الدمن ، و أبوال الإبل»(4).

و قد أصدر جرير حكما لا يبتعد كثيرا عما أصدره الفرزدق ، فعن أبي عبيدة قال:« قيل لجرير كيف ترى شعر ذي الرمة ؟. قال : قال نقط عروس ، و أبعار

---

(1) المصدر السابق ، 109 .

(2) الحيوان،الجاحظ أبو عثمان،ط2،تحقيق عبد السلام هارون، مصر:مكتبة مصطفى البابي،1965،ص:41/1.

(3) الموشح ، ص: 172.

(4) المصدر نفسه ، 173 .

ظباء » (1) و قد شرح الأصمعي هذا الحكم الذي أصدره الفرزدق و جرير في حقه في قوله:« إن شعر ذي الرمة حلو أول ما تسمعه، فإذا كثر إنشاده ضعف و لم يكن له حسن لأن أبعار الظباء أول ما تشم تجد لها رائحة ما أكلت الظباء من شيح و القيسوم و الجثجاث و النبت الطيب الريح ، فإذا أدمت شمه ذهبت تلك الرائحة ، و نقط عروس إذا غسلتها ذهبت»(2).

و كان ذو الرمة خبيرا بكلام العرب ، يميز بين شعر الجاهليين و شعر الإسلاميين فحياته في البادية التي تعد مصدر الشعر الجاهلي ، و الينبوع الذي ينهل منه الشعراء الفحول و مقصد العلماء، أكسبته معرفة و دراية بأسلوب شعراء الجاهلية إضافة إلى أنه كان يقصد اليمامة و البصرة و الكوفة ، وكان ينشد شعره بالمربد و الكناسة و على صلة بالأمراء و على رأسهم بلال بن بردة والي البصرة و ما كان يضمه مجلسه من الشعراء و الرواة ، فقد ورد أن حماد الراوية قدم على بلال بن أبي بردة البصرة وعند بلال ذو الرمة ، فأنشده حماد شعرا مدحه به فقال بلال لذي الرمة:« كيف ترى هذا الشعر؟ قال:جيدا و ليس له.قال: فمن يقوله ؟ قال: لا أدري إلا أنه لم يقله.فلما قضى بلال حوائج حماد و أجازه. قال له: إن لي إليك حاجة .قال: هي مقضية.قال: أنت قلت ذاك الشعر؟ .قال : لا . فمن يقوله ؟ قال:بعض شعراء الجاهلية، وهو شعر قديم لا يرويه غيري،قال: فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس قولك ؟ قال: **عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام**(3) و هذا يعني أنه على اتصال دائم بما كان يجري في بيئة البصرة و الكوفة مجال الأدب و الفكر و العلم ، و إن كان هذا الأمر يطعن بعض الشيء في بدويته ، إذ يحكى أن أبا عمرو ،رأى ذا الرمة في دكان طحان بالبصرة يكتب

---

(1) الموشح ، ص: 170.

(2) المصدر نفسه ، ص: 171.

(3) الأغاني ، 88/6.

قال : فقلت : ما هذا يا ذا الرمة؟ قال : أكتم عليّ يا أبا عمرو» (1) و من آيات تأثره بالوسط الأدبي و الفكري الذي اشتهرت به البصرة خاصة أنه كان يخوض في قضايا فكرية جديدة ،كقضية القدر لهذا قيل أنه يقول بأراء المعتزلة فعن أبي عبيدة قال:« اختصم رؤبة و ذو الرمة عند بلال بن أبي بردة ، فقال رؤبة : و الله ما فحص طائر أفحوصا ، و لا تقرمص سبع قرموصا إلا بقضاء من الله و قدره .فقال له ذو الرمة : و الله ما قدر الله على الذئب أن يأكل عيايل ضرائك .فقال رؤبة : أفبقدرته أكلها؟ هذا كذب على الذئب ثان .فقال ذو الرمة : الكذب على الذئب خير من الكذب على رب الذئب»(2).

ب- الفرزدق (20-114هـ) :

هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، و كان جده صعصعة بن ناجية عظيم القدر في الجاهلية و اشترى ثلاثين موءودة ولقب بالفرزدق لغلظه و قصره ، وشبه بالفتيتة التي تشربها النساء و هي الفرزدقة ، كنيته أبو فراس. أما أبوه غالب فكان يكنى أبا الأخطل ، وكان سيد بادية تميم ، و أمه ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس (3) فهو سليل أسرة عريقة في النسب و الحسب و المجد .

و لد الفرزدق في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عن،نشأ في أسرة يكتنفها العز والمجد والسؤدد تعتز بما ورثته كابرا عنكابر، يشيدون بمآثر أسلافهم و يتحدثون عن كريم فعالهم،و يتذاكرون أخبار أبطالها الأمجاد و أيامهم المشهودة. و عرف عن الفرزدق قوة الحفظ و النباهة و الفطنة إلى جانب موهبة فذة ، اعتنى به جده صعصعة الذي كان على دراية بالأخبار و راوية الأحاديث ، و قد

---

(1) الخصائص ، ابن جني أبو الفتح ،ط2،حققه محمد على النجار، المكتبة العلمية ، 1952، 296/3.

(2) أمالي المرتضى، المرتضى أحمد بن حسين، ط1، تحقيق بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة،1907، 15/1.

(3) الشعر والشعراء ، ص: 290 .

حدث عن جده أن امرأ القيس كان عاشقا لابنة عم له يقال لها عنيزة(1).

و كانت رعاية أبيه أكبر حيث عمل على تربيته و تهذيبه و رواه الشعر و كلام العرب ، نظم الشعر وهو صغير ، و قد فرح الأب بذلك و وفد على علي بن أبي طالب و معه ابنه الفرزدق.قال لعلي كرم الله وجهه:« قد رويته الشعر يا أمير المؤمين و كلام العرب ، ويوشك أن يكون شاعرا مجيدا»(2).

نشأ الفرزدق في مرابع كاظمة نشأة فتيان البادية و ورث أخلاقها و فضائلها و في بادية تميم أتيح له أن ينهل الفصاحة من مناهلها ، ففتق لسانه ، وفصح بيانه، و أحاط بسر العربية ، و أوتي القدرة على تشقيق الكلام ، وكيف لا وهو من تميم المعروفة بفصاحتها بين القبائل العربية ، فعن الأصمعي قال:« سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : أفصح الناس سافلة قريش و عالية تميم ، قال : كنا نسمع أصحابنا يقولون : أفصح الناس تميم و قيس و أزد السّراة و بنو عذرة»(3). و كانت قبيلة تميم تمتلىء بالشعراء إذ انتقل الشعر إليهم و بقي فيهم و هذا ما تنبه إليه الشعراء و النقاد ، و في هذا يقول ابن سلام الجمحي:« و كان شعراء الجاهلية في ربيعة ثم تحول في قيس ثم آل ذلك إلى تميم ، فلم يزل فيهم حتى اليوم»(4). و كان ميالا إلى الهجاء بحكم المنازعات التي تحدث بين البطون المجاورة و كان يطلع على الأنساب و الأخبار و المثالب ليضمنها شعره ، وكان شديد الاعتداد بنفسه و بنسبه الذي لا يدانيه نسب، مزهوا بنفسه إلى حد التكبر ، لهذا

كان هجاءه مقذعا فاحشا خاصة هجاءه لبني نهشل و بني فقيم ، فاستعدوا عليه زياد فاضطر إلى الفرار إلى الحجاز.وفد على سعيد بن العاص و هناك التقى بالحطيئة و كعب بن جعيل في مجلسه و القصة يرويها ابن سلام:«أخبرني أبو يحيى

---

(1) ديوان امرىء القيس ، ص: 10

(2) مصادر الشعر الجاهلي ،ص : 228.

(3) الفاضل،ص: 112.

(4)طبقات فحول الشعراء ،1/ 40.

قال:لما هرب الفرزدق من زياد حين استعدى عليه بنو نهشل في هجائه إياهم أتى سعيد بن العاص–و هو على المدينة أيام معاوية–فاستجاره فأجاره و عنده الحطيئة و كعب بن جعيل التغلبي، فأنشده الفرزدق مدحته إياه التي يقول فيها[الوافر] :

تَرَى الشُّمَّ الجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الأَمْرُ فِي الحَدَثَانِ عَالاَ

بَنِي عَمِّ الرَّسُولِ وَ رَهْطَ عَمْرٍو وَ عُثْمَانَ الَّذِينَ عَلَوا فَعَالاَ

قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالاَ

فقال الحطيئة : هذا و الله هو الشعر ، لا ما تعلل به منذ اليوم أيها الأمير.فقال له كعب بن جعيل : فضله على نفسك و لا تفضله على غيرك. قال : بل و الله أفضله على نفسي و على غيري ، يا غلام أدركت من قبلك ، وسبقت من بعدك ، ثم قال له الحطيئة : لإن بقيت لتبرزن علينا»(1) و كثيرا ما كان يتنقل في الحواضر كالبصرة و الكوفة و المدينة و مكة ، و التي تعد مراكز علمية تزخر بشتى العلوم ، إذ كانت حلقات العلم التي تعج بطلبة العلم ، و تنتشر بكثرة و تقدم أصنافا من المعارف.

و يبدو أن الفرزدق كان كثير الرواية لشعر امرىء القيس حافظا لأخباره ، و في هذا يقول ابن دأب(راوية الفرزدق):« لم أر قط أروى لأخبار امرئ القيس و أشعاره من الفرزدق ، و يعلل العلماء كثرة روايته لشعره و أخباره بأن امرىء القيس صحب عمه شرحبيل بن الحارث قبل يوم الكلاب وكان شرحبيل مسترضعا في بني دارم رهط الفرزدق ، فلحق امرؤ القيس بعمه فلذلك حفظ الفرزدق أخباره ، و بعض أخبار الفرزدق عن امرىء القيس متصلة إلى الجاهلية نفسها و ربما إلى عصر امرىء القيس نفسه ، فالفرزدق يذكر أن جده حدثه بها وجده شيخ كبير و هو يومئذ غلام حافظ لما يسمع(2).

---

(1) طبقات فحول الشعراء: 322 ، معجم الأدباء: 2786.

(2) جمهرة أشعار العرب ، ص:108،109.

و كان كثير الرواية للحطيئة ، و لقي أبا البلاد الكوفي الراوية القديم(1).
و بذلك اكتسب علما غزيرا و ثقافة ثرية و متنوعة ، أخذها من الحلق و المجالس التي كان يغشاها واحتكاكه بعلماء عصره و شعرائه كالحسن البصري الفقيه الزاهد و جرير و الأخطل وغيرهم . لذلك عد نفسه وريث الفحول من الشعراء وأنهم وهبوه القصائد ، ذاكرا أسماءهم و كله فخر واعتزاز[الكامل]:

وَهَبَ القَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ،إِذْ مَضَوا وَ أَبُو يَزِيدَ وَ ذُو القُرُوحِ وَ جَرْوَلُ
وَ الفَحْلُ عَلْقَمَةُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ حُلَلُ المُلُوكِ كَلَامُهُ لَا يُنْحَلُ
أَخُو بَنِي قَيْسٍ وَ هُنَّ قَتَلْنَهُ وَ مُهَلْهِلُ الشُّعَرَاءِ ذَاكَ الأَوَّلُ
وَ الأَعْشَيَانِ ،كِلَاهُمَا ، وَ مُرَقِّشٌ وَ أَخُو قُضَاعَةَ قَوْلُهُ يُتَمَثَّلُ
وَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ عَبِيدٌ ،إِذْ مَضَى وَ أَبُو دُؤَادٍ قَوْلُهُ يُتَنَحَّلُ
وَ ابْنَا أَبِي سُلْمَى زُهَيْرٌ وَ ابْنُهُ وَ ابْنُ الفُرَيْعَةِ حِينَ جَدَّ المِقْوَلُ(2)

إن الفرزدق من خلال هذا يعلن صراحة أنه تمثل شعر القدماء حفظا ورواية ، مما أكسبه أصالة في فنه وثراء في خبرته ، استطاع من خلالها أن يبرز كشاعر فذ بين شعراء عصره و علمائه ،و أن يكتسب شهرة كبيرة جعلت يونس بن حبيب يقول : لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس(3). و عن الجاحظ قال : فإذا كان الفرزدق و هو راوية الناس وشاعرهم و صاحب أخبارهم ، يقول فيه هذا القول ، فهو الذي لا يشك في خطابته و بلاغته(4).

ج– جرير (30 – 114هـ) :

هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفى ، وهو من بني كليب بن يربوع و كان عطية أبو جرير مضعوفا ، و أم جرير أم قيس بنت معبد من بني كليب بن

---

(1) الفرزدق، الفحام شاكر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ابن عكنون–الجزائر،1977،ص:433.
(2) الديوان الفرزدق ، ط1 ، تحقيق علي فاعور ، لبنان بيروت: دار الكتب العلمية ،1987 ، ص: 493.
(3) البيان و التبيين: 321/1 ، معجم الأدباء:2786. (4) المصدر نفسه : 321/1.

يربوع، و كان يكنى أبا حزرة .له عشرة من الولد فيهم شعراء أشهرهم بلال و عكرمة و نوح (1). و قد سجل ابن سلام هذا في قوله:« و لم يزل في ولد زهير شعر ، ولم يتصل في ولد أحد من فحول الجاهلية ما اتصل في ولد زهير ، ولا في ولد أحد من الإسلاميين ما اتصل في ولد جرير»(2) ولد جرير في بادية اليمامة وكان له أخوان هما: عمرو و أبو الورد ،كانا ينظمان الشعر. ولم ينشأ جرير نشأة الفرزدق في بيت عز و مجد ،بل في بيت متواضع ، فأبوه عطية متخلفا في المال مبخلا ، وجده الخطفى فكان كثير المال من الغنم و الحمير ، و قد آتاه الشعر من قبله ، و مما يروى من شعره :

عَجِبْتُ لِإِزْرَاءِ العَيِّي بِنَفْسِهِ وَ صَمْتِ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْقَوْلِ أَعْلَمَا

وَ فِي الصَّمْتِ سِتْرُ لِلْعَيِّي وَ إِنَّما صَحِيفَةُ لُبِّ المَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا(3)

كما أن جرير ينتمي إلى تميم التي انتهى إليها الشعر ، و عرفت شعراء كبار قلما توفروا لدى قبائل أخرى ، و هي قضية ملفتة و مهمة نبه إليها الكثير من النقاد والعلماء كابن سلام الجمحي و ابن رشيق و غيرهم ، و القاعدة نفسها يؤكدها أبو عبيدة معمر بن المثنى إذ يقول:« كان الشعراء في الجاهلية من قيس ، و ليس في الإسلام مثل حظ تميم في الشعر ، و أشهر تميم جرير والفرزدق و الأخطل»(4) و كان يشبه بالأعشى لحسن تشبيهه ، و الأخطل بالنابغة و الفرزدق بزهير(5).

و قد أخذ جرير عن جده الشيء الكثير من أخبار العرب و أنسابهم ، و التي تشكل جزءا هاما من ثقافته الشعرية، أشار إلى هذا الجاحظ حيث يقول:« و من العلماء بالنسب و العرب : الخطفى و هو جد جرير بن عطية بن الخطفى، و هو

---

(1) الشعر و الشعراء: 284.

(2) طبقات فحول الشعراء : 110/1.

(3) العصر الإسلامي ، ص : 276 .

(4) معجم الأباء ، ص : 2786 .

(5) الأغاني : 36/6.

حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع، و إنما سمي بالخطفى لأبيات قالها [الرجز]و هي :

يَرْفَعْنَ بِالْلَّيْلِ إِذَا مَا أَسْدَفَا أَعْنَاقَ جِنَّانٍ وَ هَامًا رُجَّفَا

وَ عَنقًا بَاقِي الرَّسِيمِ خَيْطَفَا (1)

و إلى جانب ذلك فهو شاعر و قد أخذ جرير منه ذكرنا بيتين له قبل قليل . وروى أبو عبيدة عن مسحل بن زيداء –بنت جرير– عن أبيها جرير ، أخبارا عن أيام الجاهلية منها خبر ذي قار(2).

و كانت لجرير آراء في شعراء العصر الجاهلي و شعراء الإسلامي ، وهذا يدل على معرفته الواسعة بالشعر وخبرته ، فعن عمارة بن عقيل ، قال:« حدثني أبي عقيل بن بلال قال : سمعت أبي –بلال بن جرير– سمعت جريرا يقول : دخلت على بعض خلفاء بني أمية، فقال: ألا تحدثني عن الشعراء؟ قلت : بلى، قال :فمن أشعر الناس؟ قلت : ابن العشرين – يعني طرفة– قال : فما تقول في أبي سلمى و النابغة ؟ قلت : كانا ينيران الشعر، ويسديانه ، قال كفما تقول في امرىء القيس بن حجر ؟ قلت: اتخذ الخبث الشعر نعلين يطؤهما كيف شاء قال : فما تقول في ذي الرمة؟ قلت :قدر على الشعر على ما لا يقدر عليه أحد ، فما تقول في الأخطل؟ قلت : ما باح بما في صدره من الشعرحتى مات، فما تقول في الفرزدق؟ قلت: بيده نبعة الشعر، قابصا عليها ، فما أبقيت لنفسك شيئا! قلت: و الله يا أمير المؤمنين، أنا مدينة الشعر التي يخرج منها و يعود إليها ، ولأنا سبحت الشعر تسبيحا ما سبحه أحد قبلي ، قال : و ما التسبيح؟ قلت : نسبت فأطرفت ، و هجوت فأرذيت ، و مدحت فأسنيت ، و رملت فأغزرت رجزت

---

(1)) البيان والتبيين: 366/1 .

(2) مصادر الشعر الجاهلي: 227.

فأبحرت ، فأنا قلت ضروبا من الشعر لم يقلها أحد قبلي»(1)

و كان يمتلك ثقافة ثرية خاصة فيما يتعلق بأخبار الجاهلية و أيامها و أنسابها وهذا يشكل جزءا هاما منها ، و هل المدح و الهجاء إلا ذكر المحامد و كشف العيوب ، لهذا قال أبو عبيدة فيه و في الفرزدق:« هما بئس الشيخان ، ما خلق الله أشأم منهما على قومهما ، وإنهما أخرجا مثالب بني تميم و عيوبهم ، و كانا أعلم الناس بعيوب الناس»(2).

د- رؤبة بن العجاج (65-145هـ) :

رؤبة بن العجاج عبد الله بن رؤبة بن أسد بن صخر بن كيف بن عميرة يتصل نسبه بيزيد بن مناة الراجز المشهور من مخضرمي الدولتين ، ومن أعراب البصرة سمع من أبي هريرة و النسابة البكري و عداده من التابعين، و روى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى و النضر بن شميل و خلف الأحمر و غيرهم(3). و أبوه العجاج بن رؤبة الراجز المعروف،و يظهر أنه اعتنى بابنه و أنشأه تنشئة طيبة في هذا الفن، حتى أصبح الناس يفاضلون بينهما.و يعد رؤبة من رجاز الكبار الإسلام و فصحائهم المذكورين المقدمين منهم ، بدوي نزل البصرة و مدح بني أمية و مدح بني العباس ، و مات في خلافة المنصور وأخذ عنه وجوه أهل اللغة وكانوا يعتقدون به و يحتجون بشعره ، و يجعلونه إماما(4).

و بداوته جعلت منه قبلة بعض الشعراء الذين يأخذون الغريب منه و يستعملونه في أشعارهم ، ففي رواية حكيت عنه أنه قال:« جاءني رجلان ، فجلسا إليّ و أنا أنشد شيئا من شعري ، فهمسا بينهما فنفقت عليهما ،فهمدا ، ثم سألت عنهما فقيل لي : الطرمّاح و الكميت ، فرأيتهما طريفين فآنست بهما ، ثم كانا يأتياني

---

(1) الأمالي: 179/2 ، 180.

(2) مصادر الشعر الجاهلي ،ص: 227.

(3) معجم الأباء ،ص: 1312.

(4) تجريد الأغاني ،ص : 2145 .

فيأخذان الشيء من شعري فيودعانه أشعارهما»(1) و كان يونس شديد الأخذ عنه قد تصل إلى درجة التعصب أحيانا إذ قيل له:« من أشعر الشعراء؟ قال: العجاج و رؤبة ، فقيل له: لم نعن الرجاز ، فقال : هما أشعر أهل القصيد ، إنما الشعر كلام ، و أجوده أشعره»(2). و لعل تبرير إقبال علماء اللغة و النحاة على رؤبة و أبيه العجاج ، قضية لها ما يبررها في هذه المرحلة المهمة و التي تميزت بالبحث عن الغريب و التماس الشاهد ، و قد علق ابن جني قائلا: و قد كان قدماء أصحابنا يتعقبون رؤبة و أباه ، ويقولون:« تهضّما اللغة و ولّداها و تصرفا فيها غير تصرف الأقحاح فيها ، وذلك لإيغالهما في الرجز، و هو مما يضطر إلى كثير من التفريع و التوليد ، لقصره ، و مسابقة قوافيه»(3). و في ذلك يقول شوقي ضيف عن رؤبة:« وعنده انتهى فن الرجز إلى كل ما كان ينتظره من وعوثة و صعوبة لغوية ، إذ تحول به ليرضي اللغويين من حوله ويقدم لهم كل ما كان يطلبونه من الشواذ اللغوية في الألفاظ و أبنيتها و هيئاتها و ما قد يحدث في بعض الحروف كالهمز من إعلال، وكأنما تحول معينا لا ينفد للأوابد و الشوارد ومن ثمّ غدت الأرجوزة عنده و كأنها متن لغوي معقد أو قل مستغلق، تستغلق ألفاظه ، إذ يختارها من وحشي الكلام ، بحيث لا يفهمها إلا خاصة الخاصة من أمثال اللغويين يونس أبي عبيدة و خلف الأحمر وأبي عمرو بن العلاء»(4) وكان لشدة إلحاح يونس على رؤبة أن قال له:« حتى متى تسألني عن هذه الأباطيل و أزوقها لك ؟ أما ترى الشيب قد بلغ في رأسك و لحيتك!»(5)

هـ – سراقة البريقي :

هو سراقة بن مرداس الأصغر البارقي ، شاعر مشهور خبيث، كان

---

(1)الخصائص: 298/3 .
(2) تجريد الأغاني، ص: 2147.
(3) الخصائص: 298/2.
(4) العصر الإسلامي:402 ، 403 .
(5) طبقات فحول الشعراء: 767/2.

يهجو جريرا (1). و الأخبار عنه قليلة ، ولا نعرف شيئا عن حياته و نشأته، و لا يأتي ذكره إلا من خلال ما يروى عن هجائه للجرير ، و قصته مع المختار . و من الأبيات التي هجا بها جرير و انتصر للفرزدق عليه ، ويقال أن بشر بن مروان الذي كان يغري بين الشعراء هو الذي حمل سراقة على ذلك[الكامل] :

أَنَ الفَرَزْدَقَ بَرَزَتْ أَعْرَاقَهُ عَفْوًا وَ غُودِرَ فِي الغُبَارِ جَرِيرُ

مَا كَانَ أَوَّلَ مِحْمَرٍ قَعَدَتْ بِهِ أَنْسَابُهُ إِنَّ اللِّئِيمَ عَثُورُ

هَذَا قَضَاءُ البَارِقِيِّ وَ أَنّهُ بِالْمَيْلِ فِي مِيزَانِكُمْ لَبَصِيرُ

فرد عليه جرير من خلال مدحه لبشر [الوافر]:

يَا بِشْرُ حَقَّ لِوَجْهِكَ التَبْشِيرُ هَلَّا غَضِبْتَ لَنَا وَ أَنْتَ أَمِيرُ

قَدْ كَانَ حَقَّكَ أَنْ تَقُولَ لِبَارِقٍ يَا آلَ بَارِقٍ فِيمَ سُبَّ جَرِيرُ؟

وكان سراقة رجلا جميلا و شاعرا ظريفا حسن الإنشاد ، تحبه الملوك(2).

أما في ما يخص قصته مع المختار ، فعن إبراهيم كان سراقة البارقي من ظرفاء أهل العراق فأسره المختار يوم جباية السبيع و كانت للمختار فيها وقعة منكرة، فجاء به الذي أسره إلى المختار فقال له:« إني أسرت هذا ، فقال له سراقه : كذب ما هو الذي أسرني إنما أسرني غلام أسود على برذون أبلق عليه ثياب خضر ما أراه في معسكرك الآن ، وسلمني إليه فقال له المختار : أما أن الرجل قد عاين الملائكة فخلوا سبيله، فخلوه فهرب»(3).

و لم يكن الفرزدق و جرير وحدهما من الذين يفخرون بأنهم أخذوا عن فحول شعراء العصر الجاهلي و رووا أشعارهم ، و وقفوا على أخبارهم ، بل يوجد غيرهم كسراقة البارقي الذي راح هو كذلك يفخر بشاعريته ذاكرا فحول

---

(1) المؤتلف و المختلف، الآمدي ابن بشر ، ط1 حققه ف،كرنكو، بيروت: دار الجيل.ص: 172.

(2) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ : 470/1.

(3) الأغاني: 30/8.

الشعراء بدءا بالمهلهل و امرئ القيس و غيرهما و في هذا يقول[الكامل] :

وَ لَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ القَرِيضِ طَرِيقَةً أَعْيَتْ مَصَادِرُهَا قَرِينَ مُهَلْهِلِ
بَعْدَ امْرِئِ الْقَيْسِ الْمُنَوَّهِ بِاسْمِهِ أَيَّامَ يَهْذِي بِالدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
و أَبُو دَوَادٍ كَانَ شَاعِرَ أُمَّةٍ أَفَلَتْ نُجُومُهُمْ وَ لَمَّا يَأْفَلِ
وَ أَبُو ذُؤَيْبٍ قَدْ أَذَلَّ صِعَابَهُ لَا يَنْصِبَنَّكَ رَابِضٌ لَمْ يَذْلَلِ
وَ أَرَادَهَا حَسَّانُ يَوْمَ تَعَرَّضَتْ بَرَدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَلْسَلِ
ثُمَّ ابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَتَمَنَّعَتْ وَ إِخَالُ أَنَّ قَرِينَهُ لَمْ يُخْذَلِ
وَ بَنُو أَبِي سُلْمَى يُقَصِّرُ سَعْيُهُمْ عَنَّا كَمَا قَصُرَتْ ذِرَاعَا جَرْوَلُ
وَ أَبُو بَصِيرٍ ثُمَّ لَمْ يُبْصِرْ بِهَا إِذْ حلَّ مِنْ وَادِي القَرِيضِ بِمَحْفِلِ
وَ اذْكُرْ لَبِيدًا فِي الفُحُولِ وَ حَاتِمًا سَيَلُومُكَ الشُّعَرَاءُ إِنْ لَمْ تَفْعَلِ(1)

(1) نقلا عن مصادر الشعر الجاهلي: 230، من الديوان ، تحقيق حسين نصار ، د ط ،لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1947، ص : 64-71

الفصـــل الرابع

الرواية و التدوين في مدرستي البصرة و الكوفة:

1- نشاط الرواية (الضبط و التدوين)

2- مدرسة البصرة و أعلام الرواة

3- مدرسة الكوفة و أعلام الرواة

4- القضايا النقدية التي أثيرت:

أ-الانتحال

ب-الاعتزال

ج-تداخل رواية الشعر و رواية الحديث

5- تدوين الشعر الجاهلي و الإسلامي و أعلام الرواة:

أ-أبو عمرو بن العلاء (66،155هـ)

ب- المفضل الضبي (ت170هـ)

ج-حماد الراوية (95، 164هـ)

د- خلف الأحمر (115،180هـ)

هـ-الأصمعي (122، 215هـ)

الرواية و التدوين في مدرستي البصرة و الكوفة(العصر العباسي) :

1-نشاط الرواية (الضبط و التدوين): من المعلوم أن راوية الشعر في القرن الأول لم تكن مستقلة عن رواية الأخبار و الأنساب و القصص ، و إنما كانت حميلة على غيرها و قد رأينا في السابق كيف أن المسلمين السابقين استعانوا بالشعر في تفسير غريب القرآن ، وقد اشترطوا على مفسري القرآن الكريم أن يكونوا على علم بلغات العرب إذ أكد هذه القاعدة أنس بن مالك و مجاهد الذي قال:« لا يحل لأحد يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب»(1). وكان كبار الصحابة يتجنبون تفسير القرآن الكريم كأبي بكر و عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، و كان عمر بن الخطاب أول من دعا إلى الاعتماد على الشعر في تفسير القرآن الكريم ،إذ روي عنه أنه سأل مرة عن معنى قوله تعالى :﴿ أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾*. فقام شيخ من هذيل، و قال : هذه لغتنا التخوف: التنقّص. قال عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ فقال:نعم و روى قول الشاعر:

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا كَمَا تَخَوَّفَ عُودُ النَّبْعَةِ السَّفِنُ

فقال عمر لأصحابه:عليكم بديوانكم.قالوا : وما ديواننا ؟قال:شعر الجاهلية،فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني الكلام(2). و يعدّ ابن عباس(ت**68**هـ) من العلماء الكبار المبرزين الذين اعتمدوا على الشعر في التفسير ، وكانت كتبه تبلغ حمل بعير و من أقواله المأثورة:«الشعر ديوان العرب فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك»(3). و كان يحب الشعر و يحفظ منه الشيء الكثير كما كان يتميز بحافظة قوية تسعفه في المواقف المختلفة

---

(1) البرهان ، ص: 292/1. * سورة النحل، الآية:47.

(2) الموافقات ، الشاطبي أبو إسحاق ، تحقيق محمد عبد الله دراز ، مصر دار الفكر العربي، ص:54.

(3) البرهان ، ص:294/1.

ففي مجالسه في التفسير كان دائما يستشهد بأبيات شعرية في تفسير آيات القرآن الكريم ، وفي مواقفه مع ابن الأزرق مشهورة ، فقد روى أبو عبيدة بإسناد له عن عكرمة ، قال : رأيت ابن عباس و عنده نافع بن الأزرق و هو يسأله و يطلب منه الاحتجاج باللغة ، فسأله عن قوله عزّ و جلّ : ﴿وَ اللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ﴾(1) فقال : و ما جمع ألم تسمع :« مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدْنَ سَائِقَا »

قال : و سأله عن قوله : ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾(2) فقال : هو الجدول فسأله عن الشاهد فأنشده :

سَلْمًا تَرَى الدَّالِجَ مِنْهُ أَزَوَرَا إِذَا يَمُجُّ فِي السَّرِيِّ هَرْهَرَا

و سأله عن قوله :﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾(3) قال هو الدعيّ الملصق ، أما سمعت قول حسّان [الطويل]:

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الأَدِيمِ الأَكَارِعُ(4)

و هذا كان دأب علماء هذا العصر – و نعني القرن الأول الهجري– فرواية الشعر كانت متصلة برواية الأخبار و الأنساب ، و كذلك بالتفسير و الحديث و السير و المغازي ، ولم تكن مستقلة عنها. و قد رأينا في الفصل السابق كيف كان بنو أمية يشجعون على رواية الأخبار و الأنساب وكيف أن معاوية بن أبي سفيان استقدم عبيد بن شرية الجرهمي من صنعاء لأنه كان إخباريا و نسابة إضافة إلى من جاء بعده خاصة عبد الملك بن مروان ، وقد انتقلت هذه السنة إلى أمرائهم كأبي سعيد ابن العاص و الحجاج بن يوسف و غيرهما. و مما زاد في نشاط هذه الحركة مجالس العلماء التي كانت تعقد في المساجد و غيرها و ما كانت تتناوله من تفسير و سير و مغازي ، و قد صاحب هذا حركة نشيطة تتمثل في تدوين هذا التراث الزاخر، وقد بدأ في زمن معاوية بن أبي سفيان(ت60هـ) حين استقدم

---

(1) الانشقاق ، الآية:17.
(2) مريم ، الآية:24 .
(3) القلم ، الآية:13.
(4) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، 133،131.

عبيد بن شرية الجرهمي– بإشارة من عمرو بن العاص – من صنعاء (اليمن) وأخذ يسأله عن الأخبار المتقدمة و ملوك العرب و العجم، و سبب تبلبل الألسنة و افتراق الناس في البلاد و نحو ذلك، فلما أجابه، أمر معاوية أن يدون و ينسب إلى عبيد بن شرية.(1) و أشهر كتبه كتاب الملوك و أخبار الماضين، وقد طبع في ذيل كتاب التيجان في ملوك حمير بعنوان : أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن و أشعارها و أنسابها ن وله كتاب الأمثال. وكان هذا أول تدوين للأخبار. و ألّف زياد بن أبيه(ت53هـ) كتاب المثالب(*)، و ألف بن مفرغ الحميري(ت69هـ) سيرة تبّع و أشعارها(2). و ممن كتب في أخبار الجاهلية و أشعارها خالد بن الهياج كاتب الوليد بن عبد الملك(3) الذي كان خطاطا ماهرا و كان يكتب المصاحف، وقد نسخ مصحفا لعمر بن العزيز.

ولم يكن التدوين يقتصر على الأنساب و الأخبار، بل تعدى إلى تدوين السير و المغازي،و كان أول من صنف في المغازي عروة بن الزبير(ت93هـ) و الذي قال عنه الواقدي:كان فقيها عالما حافظا ثبتا، حجة عالم بالسير، و هو أول من صنف في المغازي(4). و ألف وهب بن منبه(ت116هـ) صاحب الأخبار والقصص كتابا في الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم فكان أول من دون هذه الموضوعات التاريخية. و وضع محمد بن مسلم الزهري(ت124هـ)

---

(1) الفهرست ، ابن النديم أبو الفرج محمد ، حققه: رضا تجدد طهران، 1971.

(*) ألف هذا الكتاب لأنه كان من الموالي و قد استلحقه معاوية ،و أنفت العرب لذلك و نافروه فظفروا عليه و على نسبه ، فعمل هذا الكتاب ودفعه إلى ابنه وقال : استظهروا به على العرب فإنهم يكفون عنكم. انظر الفهرست،ص:101

(2) فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي.أشرف على طبعه :إدارة الثقافة و النشر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.السعودية.المجلد الثاني،1991 ،38/1.

(3) الفهرست ، ص:9.

(4) البداية و النهاية ، أبو الفدا إسماعيل بن كثير ، ط1 ، القاهرة : دار التقوى ،1999 .112/9.

كتابا في المغازي فكان أول من دونها.و ألف عيسى بن عقبة كتاب المغازي الذي أشاد به الإمام مالك : عليكم بمغازي موسى فإنه رجل ثقة ، طلبها على كبر سن ليقيد من شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكثر كما كثّر غيره.(1) و كتب محمد بن إسحاق(ت151هـ)كتابه الشهير في السيرة ومزجه بالخرافات و الموضوعات على نحو ما فعل ابن منبه ، وجعل كل ذلك عربيا ، و عدوه أول من ألف في السيرة ، لأنه وضع كتابه للمنصور ، ولأنه اتسع فيه بما لم يحمل عن أحد غيره(2).

على أن العلماء في أواخر القرن الأول كانوا يكتبون عن العرب ما يصيبونه من الشعر و الخبر و نحوهما، ولكنهم لا يعدون هذا تأليفا ، إلا إذا كان مسندا ، فكل ما دون في الصحف لا يعد تأليفا كما كان يفعل ابن عباس الذي كان يكتب على الألواح فعن عبيد الله عن جدته سلمى قالت:« رأيت عبد الله بن عباس معه ألواح يكتب عليها عن أبي رافع شيئا من فعل رسول الله ﷺ »(3). وسعيد بن جبير الذي قال:«ربما أتيت ابن عباس فكتبت في صحيفتي حتى أملأها وكتبت في نعلي حتى أملأها ، و كتبت في كفي»(4) . ولا ننسى في هذا المجال كيف كان الكثير من الشعراء يروون شعر فحول العصر الجاهلي و الإسلامي ويحرصون على تدوينه كالفرزدق الذي يأمر رواته بكتابة شعره ، و جرير الذي أصبح بالمربد فقال:«يا بني تميم قيدوا» ، قيدوا (أي اكتبوا) و ذو الرّمة الذي قال لعيسى بن عمر:« اكتب شعري فالكتاب أحب إلي من الحفظ».واستمر التدوين

---

(1) المغازي ، موسى بن عقبة ، تحقيق محمد باقشيش أبو مالك ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية 1994 ، جامعة ابن زهر ، أكادير ، المملكة المغربية ، ص:11.

(2) تاريخ آداب العرب ، الرافعي ، 225/1.

(3) الطبقات ، ابن سعد ، 320/2.

(4) المصدر نفسه ، 375/8.

في مختلف العلوم و شتى الفنون . و أول إسناد في الأدب كان علميا بحتا و ذلك إسناد نصر بن عاصم الليثي إلى أبي الأسود الدؤلي في كتابه (العين) الذي وضعه في العربية ، ثم كان العلماء يروون المغازي ، وهذه لا بد فيها من الإسناد و إن كان قصيرا لقرب التابعين من عهدها الذي حدثت فيه ، و لما خيف على لسان العرب من الفساد مست الحاجة إلى الكتابة عن العرب لصيانة اللغة والاستعانة على فهم القرآن والحديث ، و تجريد القياس في العربية و ما على ذلك نشأت الطبقة التي ابتدأ الإسناد في الأدب على رجالها كحماد الراوية و أبي عمرو العلاء وغيرهما فصارت الرواية علمية محضة(1).

ففي القرن الأول الهجري عمل العلماء على جمع التراث الأدبي وحصره للعصر الجاهلي و عصر صدر الإسلام ، لا عن طريق الرواية الشفوية فحسب عن طريق التدوين كذلك ، و هذا ما ميز هذه الفترة عن سابقتها في العصر الجاهلي ، كما أن الذين اشتغلوا بالرواية كانوا علماء كبار فمنهم : المحدثون و المفسرون و الإخباريون و النسابون و المؤرخون ، و هذا ما أكسب الرواية صفة العلمية و إن كانت تفتقد بعض خصائص الرواية العلمية ، وهذا لأسباب موضوعية يمكن أن نقف عندها بيسر ، فعلماء هذه الفترة لم يشافهوا الأعراب قصد استقراء ما عندهم من لغة وشعر ، و كذلك لم يكونوا يسندوا ، و هذان الأمران عماد الرواية بمعناها الاصطلاحي عند العلماء(2). وما إن دخل القرن الثاني حتى عرفت الرواية منحا جديدا،و وجدت لها متسعا لم تعرفه من قبل فبعدما كان الهدف منها هو حفظ التراث الأدبي لأنه يمثل هوية العربي و ثقافته التي صنعها أجداده و عليه أن يحافظ عليها ويصونها بعد أن حدث اختلاط بين الشعوب

---

(1) تاريخ آداب العرب ، الرافعي ، مرجع سابق ، 228/1.

(2) مجلة رؤى ، مقال: الرواية الشفوية في العصر الإسلامي، موسى مصطفى لعبيدان، النادي الأدبي جدة العدد:السابع .2007.

المختلفة من روم و فرس و غيرهما و تنوع ثقافاتهم خاصة في العصر الأموي، وقد عرف عن بني أمية تعصبهم للعرب، فهي دولة عربية أعرابية على حد قول الجاحظ. و أصبحت في مطلع القرن الثاني تخصصا و احترافا تتلون بصبغة علمية و إن كانت لا تخلو من التكسب ، و في هذا يقول طه أحمد إبراهيم:« غير أن القرن الأول لم يكد يشارف نهايته حتى كان للناس في رواية الأدب قصد جديد وحتى اضطرتهم الحياة الاجتماعية و الفكرية إلى رواية كل شيء قام عليه اللسان العربي، دعت إلى هذا القصد حركة التدوين ، و وجود البيئات العلمية المتنوعة اشتغالها بالاستنباط و استخراج القياس، وحاجتها إلى الأمثلة و الشواهد و هذا القصد وجد عند النحويين و اللغويين»(1). فقد عمل العلماء على مراجعة ما نقل إليهم من الموروث الجاهلي و لا نغفل هنا أن الرواية الأدبية انتقلت إليهم و هي حميلة على الأخبار و الأنساب و العلوم التي جدت في ذلك القرن كالحديث و التفسير و المغازي و السير فركزوا جهودهم على توثيق النصوص الأدبية و اللغوية و تدوينها، و قد تميزت بميزتين :

الأولى: أن الرواة عملوا على فصل رواية اللغة و الأدب عن غيرها.و أولوا أشعار الجاهلية وصدر الإسلام عناية خاصة ، وفي هذه الفترة ظهرت المجموعات الشعرية الموثقة مثل مجموعة المفضل الضبي(ت167هـ)و مجموعة الأصمعي(ت216هـ) و صنف الفقعسي –الذي يعد راوية بني أسد و صاحب مآثرها– كتاب بني أسد و أشعارها.(2) و ظهر معجم العين للخليل بن أحمد(ت170هـ) و معجم الجيم لأبي عمرو الشيباني(ت206هـ) و غير ذلك من المجاميع اللغوية و الأدبية.

---

(1) تاريخ النقد الأدبي عند العرب حتى القرن الرابع الهجري،طه أحمد إبراهيم ، مكتبة الفيصلية ،2004،ص:72.

(2) انباه الرواة ، جمال الدين أبو الحسن القفطي ، ط1، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة،مصر:دار الفكر العربي، 1986.

الثانية:احتراف الرواة و جعلوا منها علما له أصول و قواعد.(1) و أول من يمثل هذه الطبقة أبو عمرو بن العلاء إذ يعد من العلماء المقدمين في بداية القرن الثاني ، ففي فوائد النجيرمي بخطه: قال شعبة:« كنت أجمع أنا و أبو عمرو بن العلاء عند أبي نوفل ابن أبي عقرب ، فأسأله عن الحديث خاصة ، ويسأله عن الشعر و اللغة خاصة فلا أكتب شيئا مما يسأله عنه أبو عمرو، و لا يكتب أبو عمرو شيئا مما أسأله أنا عنه»(2).

انبرى العلماء على جمع اللغة من مظانها المختلفة ، حيث أخذوا اللغة عن الأعراب الوافدين على الحواضر والذين يقصدون الأسواق كالمربد الذي نال شهرة كبيرة و إن كان هو في الأصل سوقا للإبل إلا أنه كان كذلك سوقا للأدب و اللغة و فيه قال الجارود:« عليكم بالمربد، فإنه يطرد الفكر ، و يجلو البصر، و يجلب الخبر، ويجمع بين ربيعة و مضر»(3). لكن هذا لم يكن كافيا ، فهم يدركون تمام الإدراك أن مهمتهم تتجاوز ذلك إذ كان عليهم أن يأخذوها من منابعها ، فيمموا البوادي لأن لغتهم لا زالت محافظة على صفائها و نقائها و لم يداخلها شوب ، و بحكم أنها بعيدة و لم يخالط أهلها الآخرين ، و تجدهم أحرص الناس على لغتهم ، فمنهم من فضل الانعزال صيانة للسانه ، فلا اغترب و لا سمح للغريب بالإقامة عنده أكثر من ثلاثة أيام و يشير ياقوت الحموي إلى ذلك بقوله حين عرف بالعكوتين:« و أهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم لم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يحتكوا و لم يختلطوا بغيرهم من الحاضرة في مناكحهم و هم أهل قرار لا يظغنون عنه و لا يخرجون منه ، و أنهم لا يسمحون للغريب أن يقيم عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفا على لسانهم»(4). و من البديهي أن هؤلاء العلماء يعرفون مقصدهم جيدا و يميزونه ، فقد توجهوا إلى بوادي الحجاز و نجد و تهامة و في هذا ما روي عن الأصمعي قال:« سمعت أبا عمرو

---

(1) مجلة رؤى ، مقال: الرواية الشفوية في العصر الإسلامي.

(2) المزهر في اللغة و الأدب ، ص:304/2.

(3) البيان و التبيين ،345/1.

(4) الأعراب الرواة ، ص:155،156.

بن العلاء يقول:« أفصح الناس سافلة قريش و عالية تميم، قال : و كنا نسمع أصحابنا يقولون : أفصح الناس تميم و قيس و أزد السّراة و بنو عذرة»(1).

و لهذا قيل إن الرواة الذين كانو ا يقصدون قبائل البادية لم يأخذوا عن لخم و جذام لأنهما جاوروا أهل مصر ، و لا عن بكر لمجاوتهم للفرس ، و لا عن ثقيف لمخالطتهم تجار اليمن ، و لا عن قضاعة و غسان لحلولهم بالشام و هكذا(2). و سئل الخليل من أين علمك هذا ؟ فقال:« من بوادي الحجاز و نجد وتهامة»(3). و من أشهر العلماء الذين خرجوا إلى البادية و أقاموا فيها –كما أشرنا سابقا– و أخذوا اللغة عن أهلها أبو عمرو بن العلاء و الخليل بن أحمد و أبو عمرو الشيباني و أبو عبيدة و الأصمعي و النضر بن شميل و غيرهم ، قاموا بمشافهة الأعراب و جمعوا الغريب و دونوه و قد لاقوا من المشاق الشيء الكثير ، و من آلام الغربة و البعد عن الأهل والأوطان ما لا يوصف و من شظف العيش في البادية و قساوة طبيعتها ، لكن الرغبة في تحصيل العلم و تمسكهم بالصبر هوّن كل الصعب،و لصيد خبر أو شعر أو مثل أحبّ إليهم من حمر النعم و من كل شيء نفيس، فقد جاء في آمالي القالي قال:حدثنا أبو بكر قال : أخبرنا عبد الرحمن قال : سمعت عمي يحدث أن أبا العباس ابن عمه–وكان من أهل العلم– قال:«شهدت ليلة من الليالي بالبادية، وكنت نازلا عند رجل من بني الصيداء من أهل القصيم و كان والله واسع الرّحل ، كريم المحل فأصبحت و قد عزمت على الرجوع إلى العراق ، فأتيت أبا مثواي فقلت: إني هلعت من الغربة واشتقت إلى أهلي و أفد في قدمتي هذه عليكم كبير علم ، و إنما كنت أغتفر وحشة الغربة و جفاء البادية فأظهر توجعا ، ثم جفاء ، ثم أبرز غذاء فتغذيت معه ، و أمر بناقة له مهرية فارتحلها و اكتفلها ، ثم ركب و أردفني، و أقبلنا على مطلع الشمس، فما سرنا كبير مسير حتى

---

(1) الفاضل ، المبرد ، ص: 113.

(2) الآداب العربية في العصر العباسي،محمد عبد المنعم خفاجي، ط1، بيروت، لبنان:دار الجيل،1992،ص:234،233.

(3) نزهة الألباء ، ص:59 . معجم الأدباء ، ص : 1738 .

لقينا شيخ على حمار له جمّة قد ثمغها كالورس فكأنها قنّبيطة و هو يترنم ، فسلم عليه صاحبي و سأله عن نسبه فاعتزى أسيديا من بني ثعلبة ، فقال : أتنشد أم تقول؟ فقال: كُلاًّ،فقال : أين تؤم؟ فأشار بيده ماء قريب من الموضع الذي نحن فيه، فأناخ الشيخ و قال لي:خذ بيد عمّك فأنزله عن حماره ، ففعلت ، فألقى له كساء ثم قال: أنشدنا– يرحمك الله–و تصدق على هذا الغريب بأبيات يعهن عنك ، ويذكرك بهن فقال: إي ها الله إذا !ثم أنشدني[الطويل]:

لَقَدْ طَالَ يَا سَوْدَاءُ مِنْكِ المَوَاعِدُ وَ دُونَ الجَدَا المَأْمُولِ مِنْكِ الفَرَاقِدُ

إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ الغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجُدْ بِفَضْلِ الغِنَى أَلْفَيْتَ مَالَكَ حَامِدُ

و أنشدني أيضا[الطويل]:

تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالحُرِّ أَجْمَلُ وَ لَيْسَ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ مُعَوَّلُ

فَلَوْ كَانَ يُغْنِي أَنْ يُرَى المَرْءُ جَازِعًا لِنَازِلَةٍ أَوْ كَانَ يُغْنِي التَّذَلُّلُ

قال أبو بكر قال عبد الرحمن قال عمي: فقمت و الله و قد أنسيت أهلي ، وهان عليّ طول الغربة وشظف العيش سرورا بما سمعت ، ثم قال لي: يا بنيّ، من لم تكن استفادة الأدب أحبّ إليه من الأهل والمال لم ينجب»(1). و قد روي عن الشعبي أنه قال:« لو أن رجلا من أقصى حجر الشام سار إلى أقصى حجر اليمن فاستفاد حرفا من العلم ما رأيت عمره ذهب باطلا إذا كان لذلك واعيا فهما»(2).

و قد أشرنا قبل قليل أن أبا عمرو بن العلاء وهو الرائد في هذا المجال، إذ خرج إلى البادية وجمع مادة غزيرة من العرب الفصحاء حتى ملأت بيتا له ، و مصداق ذلك ما رواه الجاحظ عن أبي عبيدة قال:«و كانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له إلى قريب من السقف ، ثم إنه تقرأ فأحرقها كلها فلما رجع بعد إلى

---

(1) الأمالي، أبو علي القالي ، 1/169،170

(2) جمهرة أشعار العرب ، ص:42.

عمله الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه ، وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية».(1) فهو لا يعتد إلا بشعر المتقدمين من الشعراء و لا يحفل بشعر الفرزدق و جرير و اعتبرهما من المولدين ، وعندما سئل عنهم قال«: ما كان من حسن فقد سبقوا إليه ، و ما كان من قبيح فهو من عندهم» ، وعنه قال الأصمعي: «جلست إليه عشر حجج، فما سمعته يحتج ببيت إسلامي»(2).

أما بالنسبة إلى تلميذه الأصمعي فقد كانت له شهرة عند الأعراب لكثرة تردده عليهم فعن الرياشي عن الأصمعي قال:«كنت أغشى بيوت الأعراب، أكتب عنهم كثيرا حتى ألفوني ، وعرفوا مرادي، فأنا يوم مار بعذارى البصرة ، قالت لي امرأة : يا أبا سعيد ائت ذلك الشيخ ، فإن عنده حديثا حسنا فاكتبه إن شئت. قلت أحسن الله إرشادك فأتيت شيخا همّا فسلمت عليه ، فرد علي السلام ، و قال:من أنت؟ قلت :أنا عبد الملك بن قريب الأصمعي ، قال: ذو(*) يتبع الأعراب فيكتب ألفاظهم ؟ قلت نعم و قد بلغني أن عندك حديثا حسنا معجبا رائعا،و أخبرني باسمك و بنسبك،قال: نعم أنا حذيفة بن سور العجلاني»(3). و يحدثنا أبو العباس المبرد عن الأصمعي قال:«رآني أعرابي، و أنا أكتب كل ما يقول فقال: ما تدع شيئا إلا نمصته ، أي نتفته».

و قال له بعض الأعراب و قد رآه يكتب كل شيء:

مَا أَنْتَ إِلاَّ الحُفَظَهْ تَكْتُبُ لَفْظَ اللُّفَظَهْ

و قال له آخر :« أنت حتف الكلمة الشرود»(4).

وهذا الكسائي يروي حكاية يذكر فيها سبب خروجه إلى قبائل العرب خفية دون أن يطلع والده خوفا من أن يلزمه الدكان قائلا«: فلما صرت إلى ظاهر الكوفة و لقيت القبائل جعلت أسألهم فيخبروني مشافهة و ينشدونني الأشعار ، فأنظر ما في

---

(1) البيان والتبيين ، 321/1.

(2) المزهر ، 488/2.

(3) المصدر نفسه ، 308/2،307.

(4) أخبار النحويين البصريين ، ص:52.

(*)ذو هنا بمعنى الذي ، وهي لغة طيء .

يدي و إلى ما أسمعه منهم فأجد الحجة تلزم ما عندي ، فما زلت أكتب عنهم حتى نفذت نفقتي و شحب وجهي و جلدي ، فصرت كأني رجل منهم ، فاشتريت شملتين فاتزرت بواحدة و ارتديت بأخرى ، ولبثت ما شاء الله ثم رجعت إلى الكوفة»(1).

كما روي عنه أنه خرج و أنفذ خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه(2).

و هذا النضر بن شميل(ت203هـ) الذي يعد من الأعلام في مجال رواية الأثر و السنن و الأخبار ، وقد أخذ عن الخليل بن أحمد و عن العرب ، خرج إلى البادية و طال مكثه هناك إذ دامت إقامته فيها أربعين سنة فحصل بذلك على علم غزير.(3) ويذكر أبو العباس بن يحي ثعلب قال:«دخل أبو عمرو إسحاق بن مرار البادية و معه دستيجتان من الحبر فما خرج حتى أفناهما يكتب سماعه عن العرب» ، و هو المعروف بجهوده الكبيرة و المضنية في جمع أشعار قبائل العرب ،حيث يروى عن عمرو بن أبي عمرو قال:« لما جمع أبي أشعار القبائل كانت نيفا و ثمانين قبيلة ، فكان كلما عمل منها قبيلة أخرجها إلى الناس كتب مصحفا بخطه و جعله في مسجد الكوفة حتى كتب نيفا و ثمانين مصحفا»(4).

و أبو سعيد بن أوس الأنصاري الذي طاف بالبوادي متنقلا بينها ، يسمع من الأعراب ، و هو القائل«: لست أقول قالت العرب ، إلا إذا سمعته من هؤلاء بكر بن هوازن ، وبني كلاب، و بني هلال ، أو من عالية السافلة(نجد) أو سافلة العالية(المدينة) وهي قبائل عرفت بالفصاحة ،و بعدت عن التخوم ، فمن بكر بن هوازن : معاوية ـــ

(1) مجالس العلماء،أبو القاسم بن عبد الرحمن الزجاجي،ط3،تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة : مكتبة الخانجي،1999.

(2) نزهة الألباء ، ص: 59.

(3) بغية الوعاة ، السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، صيدا،بيروت: المكتبة العصرية ،1964 ، 316/2.

(4) نزهة الألباء ، ص:78 ، معجم الأدباء ،ص: 626.

و منبه وسعد و زيد ، وعلى رأس هؤلاء جميعا– أظآر النبيّ صلى الله عليه وسلم–بنو سعد ومن بكر ابن هوازن قسيّ و هو ثقيف أما عالية السافلة فهم أهل نجد و قد رويت

عنهم أكثر اللغة ،و أهم من سكانها تميم و قبائل من ربيعة ، أما سافلة العالية فهم أهل المدينة».(1).

و ما نستخلصه فيما سبق أن معظم علماء القرن الثاني و من جاء بعدهم ،قد رحلوا إلى البادية و اقتربوا من الأعراب ، و أخذوا عنهم اللغة مشافهة ، و شاركوهم حياتهم و تعرفوا على حيواناتها ،و نبتها ، و الأخبية ،و البيوت ،و الوحوش ،و الأمثال و الأنواء ،و السلاح ،و مياه العرب ،و أسماء الخمر ،و غريب الحديث ،و الوحشي من الكلام، ثم عادوا إلى حواضرهم و هم يحملون علما غزيرا مدونا فيعرضونه في حلقهم العلمية على تلاميذهم ، أو في مجالس الخلفاء و الأمراء.

و من المعلوم أن علماء القرن الثاني قد رحل جلهم إلى البادية ، وشافهوا الأعراب و دونوا الكثير من أخبارهم و شعرهم و أمثالهم و نوادرهم ، و لما وجد الأعراب أنهم بهذه الأهمية لما يحملونه من لغة رأوا أن يقوموا بحركة نشطة تجاه الحواضر ، خاصة و أن الثروة التي يحملونها مقصد العلماء و مطلبهم ، و تدر عليهم مكسبا محترما فتوافدوا على سوق المربد بالبصرة و الكناسة بالكوفة و غيرهما فرادى و جماعات يعرضون بضاعتهم من لغة و أدب فيتلقفها الرواة و يتنافسون في سماعها و تدوينها.

و من أشهر الأعراب الذين أخذت عنهم اللغة : أبو البيداء الرياحي و هو أعرابي نزل بالبصرة ن و كان يعلم الصبيان بأجرة ، و أبو مالك عمرو بن كركرة كان يعلم في البادية و ورّق في الحضر و يقال أنه يحفظ اللغة كلها ، و أبو عرار و كان قريبا من أبي مالك و كان شاعرا ، و أبو سرار الغنوي و كان فصيحا و أخذ عنه أبو عبيدة و أبو مهدية أعرابي صاحب غريب ، يروي عنه البصريون ، والبهدلي الذي روى عنه

---

(1) الأعراب الرواة ، ص: 158.

الأصمعي و جعله حجة و روى شعره و غيرهم كثير ذكرهم ابن النديم(1).

و كانت الأسواق مقصد التجار ، و مقصد الرواة و العلماء و الشعراء و طلبة العلم و غيرهم ، وهذا ليس بدعا فالمعروف عن العرب أنها تعرض في أسواقها السلع للاتجار فيها ، و كذلك تعرض فيها الأشعار و الخطب و الأخبار كسوق عكاظ في العصر الجاهلي ، وكيف كان النابغة- الذي التي تضرب له قبة من آدم- يجلس و يحكم بين الشعراء و يفاضل بينهم. و في هذا يروي القالي عن الأصمعي قال:« جئت إلى أبي عمرو بن العلاء فقال لي: من أين أقبلت يا أصمعي؟.جئت من المربد ، قال : هات ما معك، فقرأت عليه ما كتبته في ألواحي، فمرت به ستة أحرف لم يعرفها، فخرج يعدو في الدرجة و قال: شمرت في الغريب أي غلبتني»(2). و يروى عن أبي عبيدة قوله:«قدم علينا رجال من بادية بني جعفر بن جعفر بن كلاب فكنّا نأتيهم،فنكتب عنهم»(3). و المعروف عن الجاحظ أنه سمع من أبي عبيدة الأنصاري ، و أخذ النحو من الأخفش أبي الحسن و كان صديقه ، و أخذ الكلام على النظّام ، و تلقف الفصاحة من العرب شفاها من المربد(4). و يروي صاحب الأغاني: «نزل في ظاهر البصرة قوم من أعراب قيس بن عيلان، وكان فيهم بيان و فصاحة، فكان بشار يأتيهم و ينشدهم أشعاره التي يمدح فيها قيسا ، فيجلونه لذلك و يعظمونه و كان نساؤهم يجلسن معه ويتحدثن إليه و ينشدن أشعاره في الغزل ، و كن يعجبن به»(5).

وكانت هذه الحركة النشطة سواء أكانت من العلماء و رحلتهم على البادية أو من الأعراب توافدهم على الحواضر، قد بدأت قوية طيلة القرن الثاني و الثالث، ثم بدأت تفتر و تضعف في القرن الرابع الهجري و هذا ما عبر عنه ابن جني في كتابه الخصائص:

---

(1) الفهرست ، ص: 43،44.

(2) ذيل الأمالي،أبو علي القالي،بيروت،لبنان :دار الكتب العلمية، ص: 162.

(3) الرواية و الاشتشهاد باللغة ، مرجع سابق .ص: 22.

(4) معجم الأدباء ، ص: 2101.

(5) الأغاني ، 206/3.

«و كذلك أيضا لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة

و خبالها ، و انتقاص عادة الفصاحة و انتشارها ، لوجب رفض لغتها و ترك تلقي ما يرد عنها ، وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا ، لأنا لا نكاد نرى بدويا فصيحا ، و إن نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه ، لم نكد نعدم ما يفسد ذلك و يقدح فيه ، و ينال ويغض منه»(1). عبرت عن مرحلة في غاية الأهمية بالنسبة للثقافة العربية التي انتقلت من طور الشفوية إلى مرحلة التدوين ، و هذا يعد انتقالا نوعيا في باب السير نحو بناء الصرح الحضاري الذي أخذ العرب بأسبابه ، وقطعوا شوطا لا بأس به فالكتابة

أصبحت سمة هذه المرحلة و ذلك لشيوعها وسط العلماء و الأدباء و المفسرين و المحدثين و الشعراء و غيرهم ،أي أنها صارت سلوكا حضاريا يمارسة الناس في ذلك العصر ، و قد أشرنا إلى انتشار التعليم و شيوعه و كثرة طلبة العلم في الفصل السابق إضافة إلى الصورة التي وصل إليها الخط العربي من شكل و إعجام و توفر وسائله و تعددها كما أومأنا إلى ذلك في المدخل .

و ما يجدر الإشارة إليه أن العلماء قد اعتمدوا على ما نقلوه عن الأعراب مشافهة كما اعتمدوا على ما وجدوه مدونا كذلك ، فالكثير من الأخبار تشير إلى وجود مدونات تمتد إلى العصر الجاهلي منها ما رو ي عن محمد بن يزيد بن ربان ، قال:« أخبرني رجل عن حماد الراوية، قال : أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب في الطنوج – قال: و هي الكراريس– ثم دفنها في القصر الأبيض ، فلما كان المختار بن أبي عبيد قيل له إن تحت القصر كنز ، فاحتفره ، فأخرج تلك الأشعار»(2). و يذكر بن سلام

في طبقات فحول الشعراء:«و قد كان عند النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح هو و أهل بيته به فصار ذلك إلى بني مروان ، أو صار منه»(3). و يرى

---

(1) الخصائص ، 5/2.

(2) المصدر نفسه ، 187/1.

(3) طبقات فحول الشعراء ، 25/1.

ناصر الدين الأسد أن هذه الرواية و سابقتها واحدة و أن ابن سلام لم يكذبها و لم يشكك فيها.و جاء في الأغاني قصة حسان بن ثابت مع عبد الله بن الزبعرى و ضرار بن الخطاب الفهري ،فعن خالد بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال:« نهى عمر بن الخطاب الناس أن ينشدوا شيئا من مناقضة الأنصار و مشركي قريش، و قال في ذلك: شتم الحي بالميت و تحدي الضغائن و قد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام ، فقدم المدينة عبد الله بن الزبعرى و ضرار بن الخطاب الفهري ثم المحاربي فنزلا على أبي أحمد بن جحش و قالا له: نحب أن ترسل إلى حسان بن ثابت حتى يأتيك فننشده و ينشدنا مما قلنا له ، وقال لنا ، فأرسل إليه ، فجاءه فقال له: يا أبا الوليد هذان أخواك ابن الزبعرى و ضرار بن الخطاب قد جاءا أن يسمعاك و تسمعهما ما قالا لك و قلت لهما ، فقال :ابن الزبعرى و ضرار: نعم يا أبا الوليد إن شعرك كان يحتمل في الإسلام و لا يحتمل شعرنا، و قد أحببنا أن نسمعك و تسمعنا ، فقال حسان : أفتبدآن أم أبدأ ؟ قالا : نبدأ نحن ، قال: ابتدئا.فأنشداه حتى فار فأصبح كالمرجل غضبا ، ثم استويا على راحلتهما يريدان مكة ، فخرج حسان حتى دخل على عمر بن الخطاب فقص عليه قصتهما و قصته ، فقال له عمر : لن يذهبا عنك بشيء إن شاء الله و أرسل من يردهما، و قال له عمر: لو لم تدركهما إلا بمكة فارددهما عليّ، و خرجا فلما كانا بالروحاء رجع ضرار إلى صاحبه بكره فقال له: يابن الزبعرى ، أنا أعرف عمر و ذبه عن الإسلام و أهله و أعرف حسان و قلة صبره على ما فعلنا به و كأني به قد جاء و شكا إليه ما فعلنا ، فأرسل في آثارنا و قال لرسوله إن لم تلحقهما إلا بمكة فارددهما عليّ فاربح بنا ترك العناء ، و أقم بنا مكاننا فإن كان ما ظننت فالرجوع من الروحاء أسهل منه من أبعد منها ، و إن أخطأت ظني فذلك الذي نحب و نحن من وراء المضي فقال ابن الزبعرى : نعم ما رأيت قال:فأقاما بالروحاء ، فما كان إلا مرّ طائر حتى وافاهما رسول عمر فردهما إليه ، فدعا لهما بحسان و عمر في جماعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه و سلم ، فقال لحسان: «انشدهما مما قلت لهمان، فأنشدهما حتى فرغ مما قال

لهما ، فوقف فقال له عمر أفرغت؟ قال : نعم. فقال له : أنشداك في الخلاء و أنشدتهما في الملأ ، و قال لهما عمر :إن شئتما فأقيما، و إن شئتما فانصرفا ، و قال لمن حضره : إني قد كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين و المشركين شيئا دفعا للتضاغن عنكم و بث القبيح فيما بينكم فأما إذا أبوا فاكتبوه و احفتظوه به ، فدونوا ذلك عندهم ، قال خلاد بن محمد:فأدركته و الله و إن الأنصار لتجدده عندها إذا خافت بلاه»(1).

إذا انتقلنا إلى العصر الأموي فإننا نبدأ بمعاوية بن أبي سفيان الذي صخر ساعات من كل يوم يقعد فيها ، و يحضر غلمانه الدفاتر التي فيها سير الملوك و أخبارها و الحروب و المكايد ، فيقرأ ذلك عليه غلمان مرتبون ، و قد وكلوا بحفظها و قراءتها. كما أمر بتدوين أحاديث عبيد بن شرية من أخبار و أشعار و وقائع و نسبتها إليه(**عبيد بن شرية**)(2). و كان الوليد بن عبد الملك قد خصّ خالد بن الهياج الخطاط بكتابة المصاحف و الأشعار و الأخبار له(3).

و من المعروف أن الوليد بن يزيد الذي كان مولعا بتدوين أشعار العرب و أخبارها و أنسابها من ديوان لجنّاد و حمّاد و قد أعاده إليهما(4). وقد عرف عن الزهري –الذي يعد من علماء الحديث– أنه كان يدون كل شيء و لا يترك شيئا يفلت منه ، و في هذا ذكر ابن مبارك عن يونس بن يزيد قال: قلت للزهري : أخرج إليّ كتبك فأخرج إليّ كتبا فيها شعر(5). و مما يروى عن حماد الراوية أنه كان في أول أمره يتشطر و يصحب الصعاليك و اللصوص فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله و كان فيه

---

(1) الأغاني ، الإصفهاني تحقيق : أحمد الشنقيطي ، مصر: مطبعة التقدم بشارع محمد علي، 5/4.

(2) مصادر الشعر الجاهلي ، ص:159.

(3) الفهرست ، ص:9.

(4) المصدر نفسه ، ص:103.

(5) جامع بيان العلم و فضله ، ص:334.

جزء من شعر الأنصار ، فقرأه حماد فاسحتلاه و حفظه(1).

و يظهر أن حماد كان يعتمد على مدونات كانت عنده ، في الأخبار و الأنساب و الأشعار التي تتصل بالعصر الجاهلي رغم ما يتمتع من قوة الحفظ و كثرة استيعابه للشعر العربي، و ما لقب بالراوية إلا لأنه يحفظ ما لا يقدر عليه غيره،و يؤكد هذا ما يرويه هو نفسه قال:«أرسل الوليد بن يزيد إلي بمائتي دينار، و أمر يوسف بن عمر بحملي إليه على البريد قال ، فقلت: لا يسألني إلا عن طرفيه : قريش و ثقيف فنظرت في كتابي قريش و ثقيف ، فلما قدمت عليه سألني عن أشعار بلي ، فأنشدته منها ما استحسنه»(2).

و انطلاقا من هذه الشواهد ، يمكن أن نقول أن العلماء و الرواة اعتمدوا على مدونات مكتوبة ، إلى جانب الرواية الشفوية ، وكانوا يعودون إليها كلما ألجاتهم الحاجة إلى ذلك، و قد رأينا قبل قليل حماد الراوية يعود إلى كتب قريش و ثقيف لكن هذا لا يعني بحال من الأحوال أن الرواية كانت بقدر التدوين في هذا العصر و إنما نقول أن الرواية كانت النهر الكبير الذي حمل الشعر العربي و حافظ عليه إلى أن و صل إلى عصر التدوين ، و كانت المدونات المكتوبة إحدى الروافد التي ساهمت هي الأخرى في حفظه و صيانته في تلك الفترة و نقصد بها نهاية القرن الثاني.

---

(1) الأغاني ، 87/6.

(2) المصدر نفسه ، 94/6

2- مدرسة البصرة :

تعد البصرة و أختها الكوفة من أهم الحواضر التي أسسها العرب الفاتحون في العراق سنة 14هـ في خلافة عمر بن الخطاب، حين خرجوا من جزيرتهم يحملون الرسالة التي كلفوا بحملها إلى الناس كافّة ، و اتخذها الفاتحون دار هجرة و منزل جهاد ، و قد رأى عمر بن الخطاب أن يتخذا كمعسكرين على الحدود الشرقية للجزيرة العربية إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس و أقصى بلاد العرب(1).

و أن يبقيا على اتصال بالجزيرة حتى لا ينساح الفاتحون في البلاد المفتوحة و كانت هذه الجيوش مادة الجيوش المحاربة في عصر صدر الإسلام و عصر بني أمية جميعا في بلاد فارس و خرسان.(2) و قد عرفتا نشاطا كبيرا في العراق امتد إلى النواحي السياسية و الاجتماعية و الفكرية و الدينية و الأدبية.

سميت البصرة لأنها بنيت على أرض غليظة ذات حجارة رخوة بيضاء ، إذ تسمي العرب هذه الأرض البصرة (3). و كانت تسمى بلاد الهند ، و قد أرسل سعد بعد وقعة القادسية الشهيرة التي مزقت الفرس في محرم سنة 14 هـ عتبة بن غزوان المازني إلى جهة موضع البصرة بأمر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب. و قد فتح عتبة الأبلة و نزل بجيشه على طرف البرّ إلى جانب مسلحة الفرس التي خربت في تلك الأثناء فسموها الخريبة و اتخذ المكان معسكرا لا يحول الماء بينه و بين مكة ، إذ كان من ذلك الموضع على الضفة الغربية للفرات إلى مكة رمال و جبال و سهول لا يفصل بينها نهر ، ثم كتب إلى الخليفة الثاني في موسم الشتاء يستأذنه في البناء فأذن له فبنى مسجدا و دارا للإمارة من القصب في الرحبة التي سميت رحبة بني

---

(1) البيان و التبيين ، 19/1.

(2) تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، ص:153.

(3) مختصر تاريخ البصرة ، الأعظمي ، تحقيق عزّة رفعت ، بور سعيد: مصر، مكتبة الثقافة الدينية .ص:19.

هاشم و ذلك سنة14 هـ، فبنى الناس بيوتهم من القصب ، و قد كانت على أربع فراسخ من مدينة الأبلة قرب الخليج الفارسي في منتهى العراق عند موقع الزبير(1).

و لم يكن عدد جند المسلمين و قتذاك كبيرا حين نزلوا البصرة، و كان الجند الذين معه من قبائل شتى و كان عتبة حين دخل إلى البصرة في ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا ، وسار إليه من الأعراب ما كمل معه خمسمائة ، فنزل الخريبة و ليس بها إلا سبع دساكر بالزابوقة و الخريبة و موضع بني تميم و الأزد: ثنتان بالخريبة ، و ثنتان بالأزد و ثنتان في موضع بني تميم ، و واحدة بالزابوقة(2).

حدث حريق بالبصرة فخافوا الحريق مرة أخرى فاستأذنوا الخليفة في البناء باللّبن فأذن لهم و كتب إليهم يقول:« افعلوا لا يذدن أحدكم على ثلاثة أبيات ، و لا تطاولوا في البنيان ، و ألزموا السنة تكرمكم الدولة ، فخططوا المناهج و الشوارع و جعلوا المدينة خططا بحسب القبائل، لكل قبيلة خط. جعلوا عرض شارعها الأعظم ستين ذراعا و عرض ما سواه عشرين ذراعا و جعلوا كل زقاق سبعة أذرع ، و وسط كل خط رحبة فسيحة لمرابط خيولهم و تلاصقوا بالمنازل و أول شيء بني فيها مسجدها و وضعوه في الوسط بحيث تتفرع الشوارع منه. و لما أذن عمر ببنائها باللّبن ساق إليها جماعات كبيرة من أشراف العرب من أهل البادية و أسكنهم فيها»(3).

و أخذ الناس يتوافدون عليها من حدب و صوب ، و رغبوا في الإقامة فيها و يؤكد هذا ما روي عن أبي المليح الهذلي قال:بعث عتبة أنس بن حجيّة إلى عمر بمنطقة مرزبان دست ميسان،فقال له:كيف المسلمون؟ ، قال: انثالت عليهم

---

(1) المصدر السابق ، ص: 14.

(2) تاريخ الطبري،الطبري محمد بن جرير،ط2،حققه محمد أبو الفضل إبراهيم،مصر:دار المعارف،**1967 591/3**.

(3) مختصر تاريخ البصرة ، ص: 17.

الدنيا،فهم يهيلون الذهب و الفضة، فرغب الناس في البصرة فأتوها.(1) فقامت الأسواق و بنيت المساجد و كثرت الدور و المرافق العامة كالحمامات و مرابط الخيل ، وشقت إليها الأنهار فأخذت ملامحها تكتمل و صورتها تتحدد .

و قد ساكن العرب عناصر أخرى منها الأساورة،و السيابجة،و الزط و الاندغار. كان الأساورة من القوات الساسانية أسلموا ، و فرض لهم في شرف العطاء و خطت لهم خططهم ، فنزلوا و حفروا نهرهم الذي يعرف بنهر الأساورة فكانوا أول من سكن البصرة من الموالي . و السيابجة قوم من السند و الهند كانوا بالسواحل في جنبات الخط بالبحرين ، و كان الزط بالطفوف و أكناف الخط يتتبعون الكلأ. و الاندغار من ناحية كرمان مما يلي سجستان . و حل بالبصرة الاصبهانيون فسكنوها ، و أرسل عمر بن الخطاب قوما من الحبش سكنوا البصرة(2).

التقت بالبصرة مختلف الأجناس و الثقافات ، فاختلط العرب بغيرهم و كان لهذا الاختلاط أثر كبير في حياة العرب الذين سكنوا المدن و توطنوا فيها و غادروا حياة البداوة التي ألفوها ردحا من الزمن . و قد فرضت هذه الحياة الجديدة علاقات اجتماعية جديدة ، بحكم أنهم يقتسمون مكانا واحدا و هو ما عرف بنظام الأرباع و الأسباع و الأخماس ، وكان في كل قسم قبائل عربية و أجناس مختلفة كما هو معروف و قتئذ ، و بدأت الفوارق تذوب بينهم و تخف حدتها مع مرور الوقت. و عرفت تنظيمات في مجال السياسي كنظام الإمارة ، من أهمها الأمير هو الممثل الرسمي لخليفة المسلمين و هو المشرف على إدارتها ، إلى جانب رؤساء الأرباع أو الأسباع حسب تقسيم المدن و هم من الوجهاء و السادة

---

(1) تاريخ الطبري ، 595/3.

(2) الفرزدق ، ص:19.

و يتميزون بالنجدة و البأس و معرفة بالحرب و الفروسية ، و العرفاء إذ قسمت الأسباع و الأرباع إلى وحدات اجتماعية صغيرة ، و يعد العريف من أهم موظفي الأمير لأنه يعتمد عليه في توطيد الحكم و توزيع العطاء(1).

و كان للبصرة أهمية تجارية كبيرة لموقها على شط العرب ملتقى نهري دجلة و الفرات و تحكمها في مصبه بالبحر ، هذا ما جعلها مركزا تجاريا ساعد على نموها و ازدهارها ، و كان سوق المربد الذي يعد من أهم أسواق البصرة و كان يعرف في السابق بسوق الإبل و كان متجرا لأهل المدينة و ملتقى للقادمين من البادية بالحضر المقيمين فيها لتبادل السلع ، و قد نمت هذه السوق و ازدادت اتساعا حتى صارت حيا كبيرا من أحياء البصرة ، و نال شهرة كبيرة ، ازدهرت فيه الحياة و نشطت فيه التجارة ، و صارت المواسم التي يفد فيها الأعراب على هذه السوق أشبه بالمهرجانات و أقرب ما تكون إلى ما عرفه العرب في قديما كسوق عكاظ الذي كان قبلة للأعراب الفصحاء و الشعراء و الخطباء رواة الأخبار و الأنساب و نشطت المساجد و كثرت حلق العلم في التفسير و القراءات و الحديث ، و قد قاد هذه الحركة الدؤوب نفر من الصحابة الذين بعث بهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه و على رأسهم أبو موسى الأشعري والي البصرة الذي يعد من كبار القراء و عمران بن الحصين ، و أنس بن مالك و عتبة بن غزوان . و لم تمض مدة يسيرة حتى كثر عدد القراء الذين كانوا النواة الأولى للفقهاء و المفسرين و الزهاد ، و شاركهم في ذلك الموالي الذين بذلوا مجهودات كبيرة حتى بلغوا مبلغا عظيما في علوم القرآن و الحديث و ما يعين على فهمها من لغة و شعر (2).

---

(1) تاريخ العراق ، مبحث مجتمع العراقي في صدر الإسلام ، محمد حسين ، تأليف مجموعة من الباحثين ، بغداد 1985.

(2) الفرزدق ، ص: 53،54.

و سنعرض في ايجاز دور البصرة في الحفاظ على التراث الشعري العربي و في حدود ما تسمح به خطة البحث ، و قبل أن نشير إلى هذا الدور علينا أن نؤكد أن علماء هذه الفترة لم يكونوا يختصون في علم واحد ، بل كانوا يجمعون عدة علوم ، كعلم النحو و اللغة و رواية الشعر علم القراءات و غيرها . و أول ما اشتهرت به البصرة هو علم النحو الذي نشأ و ترعرع فيها ، و وضعت أسسه و قعدت قواعده على يد أبي الأسود الدؤلي (ت69)على أشهر الأقوال،وكان عالما فصيح و شاعرا مجيدا و هو من أسس العربية ، ونهج سبيلها ، و وضع قياسها و ذلك حين اضطرب كلام العرب و صار سراة الناس و وجوههم يلحنون .(1) كما وضع أول شكل من أشكال النقط لضبط الإعراب فنقط المصحف بالنحو و قام إلى جانبه نصر بن عاصم(ت89هـ) و الذي يعده البعض واضع العربية و قال عنه الزهري : إنه ليفلق بالعربية تفليقا(2). و علم النحو لم يكن في البصرة وحدها بل ظهر أماكن أخرى كالمدينة على يد عبد الرحمن بن هرمز ، فعن أبي النضر قال:«كان عبد الرحمن ابن هرمز أول من وضع العربية،وكان من أعلم الناس بالنحو و أنساب قريش»(3).

وقد تقدم تلامذة أبي الأسود الدؤلي بالنحو خطوات كبيرة نذكر منهم عنبسة الفيل و يحيى بن يعمر و ميمون الأقرن ، و بعدهم ظهر علماء كبار في هذا العلم على رأسهم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي(ت117هـ) و هو أول من بعج النحو و مد القياس و شرح العلل و كان مائلا إلى القياس في النحو ، و أبو عمرو بن العلاء المازني (ت154هـ) و كان أوسع علما بكلام العرب و لغاتها

---

(1) طبقات النحويين و اللغويين ، الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن ، ط2 ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم مصر :دار المعارف 1973، ص:21.

(2) المصدر نفسه ، ص:27.

(3) المصدر نفسه ، ص: 26.

و غريبها من عبد الله بن إسحاق، و كان من جلة القراء الموثوق بهم ، وعيسى بن عمر الثقفي (ت149هـ) الذي هذب النحو و رتبه، و كان فصيحا يتقعر في كلامه و له كتابان في النحو، سمى أحدهما الكامل و الثاني المكمل ، و يروى عنه أشياء كثيرة عن القراءات(1). وقد توج أعمال هؤلاء سيبويه الذي ألف كتابة الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله في هذا العلم.و فيه يقول أبو عثمان بكر بن محمد المازني:«من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد سيبويه،فليستح»(2).

و انبرى العلماء يروون الشعر و كل ما يتعلق به ، من رواية الأخبار و الأنساب و الأيام ، فالشعر ديوان العرب ، فكان لزاما عليهم أن يحفظوا اللغة، و يتمرسوا على أساليبها و طرائق العرب في التعبير و الكشف عن أسرارها لأن الأمر يتعلق بفهم القرآن و الوقوف على معانيه .

و كان المسجد الجامع الذي أسسه عتبة بن غزوان و سوق المربد من أهم المراكز التي بثت الثقافة العربية التي عرفت كيف تستفيد من الثقافات الأخرى ، إذ طبعتها بطابعها العربي الإسلامي ، لأن القرآن عربي و الحاكم عربي . و كان هذان المركزان يعجّان بالعلماء و الفقهاء و المحدثين و طلبة العلم و كان المسجد مكانا لأداء الصلاة،و تباحث أمور المسلمين الهامة،ثم أصبح ملتقى العلماء المبرزين و القراء و القصاص و اللغويين و فيه يقدمون في حلقهم دروسا في مختلف العلوم و الفنون لطلبة العلم و من أهم تلك المجالس : مجلس الحسن البصري ، و مجلس واصل بن عطاء ، و مجلس حماد بن سلمة و مجلس أبي عمرو بن العلاء و مجلس الخليل بن أحمد الفراهيدي و غيرهم كثير .

و كان المربد يلتقي فيه العلماء و الشعراء و الأعراب و الفصحاء الذين يفدون عليه ، و كان لشعراء حلقة خاصة به ، فهناك حلقة لجرير ، و حلقة للفرزدق

---

(1) أخبار النحويين ، ص: 25.

(2) الفهرست ، ص: 57.

و الراعي ، كما كان مقصدا للرجاز كالعجاج ، و ابنه رؤبة و أبو النجم العجلي و كان يأتيه ذو الرمة ، و قد شهد هذا السوق شعر الهجاء و المناقضة بين جرير و الفرزدق ، و ما يتناشده الناس من أشعار و ما يروونه من أخبار .

و لم يكد القرن الأول الهجري ينقضي إلا و كانت البصرة حاضرة العلم و الأدب و سطعت في سمائها أسماء لامعة في عالم الرواية كقتادة بن دعامة السدوسي(ت117هـ) ، و عمرو بن علاء المازني التميمي .

3- مدرسة الكوفة:

تعد الكوفة الحاضرة الثانية التي مصرها العرب الفاتحون بعد البصرة على يد سعد بن أبي الوقاص سنة 17هـ.و قد اختلف في تسميتها ، فعن هشام بن الكلبي عن أبيه و مشايخ الكوفيين ،قالوا:« لما فرغ سعد بن أبي الوقاص من وقعة القادسية وجه إلى المدائن ، فصالح الرومية و بهيسير ثم افتتح المدائن و أخذ أسنابر و كردبنداذ عنوة ، فأنزلها جندها فاحتووها ، فكتب إلى سعد أن حوّلهم فحوّلهم إلى سوق الحكمة ، و بعضهم يقول : حولهم على كويفة دون الكوفة وقال الأثرم : و قد قيل التكوف الاجتماع ، و قيل المواضع المستديرة من الرمل تسمى كوفاني ، و بعضهم يسمي الأرض التي فيها الحصباء مع الطين و الرمل كوفة »(1). و قيل لما نزل سعد الكوفة ، كتب إلى عمر:« إني قد نزلت بكوفة منزلا بين الحيرة و الفرات بريا بحريا ينبت الحليّ و النصيّ ، وخيرت المسلمين بالمدائن فمن أعجبه المقام فيها تركته فيها كالمسلحة ، فبقي أقوام من الأفناء و أكثرهم بنو عبس»(2).

و مما ورد كذلك عن النسير بن ثور قال:« لما اجتوى المسلمون المدائن بعد ما

---

(1) فتوح البلدان ، ص: 387،388.

(2) تاريخ الرسل و الملوك ، الطبري، ط2، تحقيق محمد أبو الفض إبراهيم،مصر:دار المعارف،1967، 43/4.

نزلناها و آذاهم الغبار و الذباب و كتب إلى سعد في بعثه روادا يرتادون منزلا بريا بحريا ، فإن العرب لا يصلحها من البلدان إلا أصلح البعير و الشاة»(1). واستأذنوا بنيان القصب ، فقال عمر:«العسكر أجد لحربكم و أذكى لكم ، و ما أحب أن أخالفكم»(2). ، و كأن عمر رضي الله عنه لا يريد منهم أن يغفلوا عن الجهاد الغرض الذي خرجوا من أجله. وقد شب حريق شديد في الكوفة فاستأذنوا الخليفة عمر رضي الله عنه في البناء باللبن،فأذن لهم قائلا:« افعلوا و لا يزيدن أحدكم على ثلاث أبيات ، و لا تطاولوا في البنيان ، وألزموا السنّة تلزمكم الدولة»(3). و كان لا يفصلها عن مركز الخلافة فواصل طبيعية. و كان الخطاب نفسه الذي وجهه إلى أهل البصرة من قبل ، حين استأذنوه في البناء. وكان المسجد و دار الإمارة أول ما يختطه المسلمون حين يمصرون المدن ، و قد اختطوها على أساس قبلي و أمر سعد القبائل الوافدة أن تأخذ مكانها المعد لها . و كان أغلب من انتقل إليها قبائل الجنوب فكانت خطط أهل اليمن في الجانب الشرقي و كان عددهم على حسب رواية الشعبي اثني عشر ألفا و خطط نزار في الجانب الغربي و كان عددهم ثمانية ألاف(4).

و كان العرب الذين سكنوا الكوفة هم الأداة العسكرية التي حققت الانتصارات يتألف منهم عنصر الأشراف ، و منه طبقة زعماء القبائل ، وطبقة رؤساء الجيش وأصحاب الألوية ، و منه طبقة الجند و قد شارك العرب في الكوفة عناصر أجنبية ، منها الفرس الذين كانوا يشتغلون بالزراعة قبل تمصير الكوفة ، و عناصر كانت في جيش رستم عددها أربعة آلاف ، بعد أن رأوا هزيمة قائدهم و قتله دخلوا الإسلام . و عناصر من السريان الذين يسكنون في الجزيرة و في الديارات

---

(1) تاريخ الرسل و الملوك ، مصدر سابق ، 42/4.
(2) المصدر نفسه ، 44/4.
(3) المصدر نفسه ، 44/4.
(4) فتوح البلدان ، ص:389.

المنبثة فيها ، و في الديارات التي كانت قائمة في أطراف النجف و الحيرة فكانت لهم علاقات مع المسلمين ، و كانوا من النصارى ، فمنهم من أسلم و منهم من بقي في ذمة الإسلام . إضافة على النبط و كانوا ينتشرون في بقعة واسعة تمتد من الكوفة إلى البطائح في جنوب العراق . ومن العناصر الموجودة كذلك اليهود و النصارى الذين وفدوا بعد تمصير الكوفة من يهود نجران(اليمن)(1).

و كانت الكوفة مقصد أهم القبائل العربية الأربعة: آل زرارة الدارميون ، و آل زيد الفزاريون، و آل ذي الجدين الشيبانيون ، و آل قيس الزبيديون. و فيها هبط سبعون رجلا من الصحابة ، و ممن شهدوا بدرا ،و ثلاث مئة من أصحاب الشجرة ، وفي مقدمة من نزلها عمار بن ياسر و عبد الله بن مسعود ، الأول أميرا و الثاني مؤذنا و وزيرا بعث بهما الخليفة ، و كان عمر رضي الله عنه يقول لأهل الكوفة عنهما:« هما من النجباء ، من أهل بدر ، فخذوا عنهما ، و اقتدوا بهما و قد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي»(2). و لعل السبب الذي جعل الكوفة محط الأنظار و منزل الكثير من الصحابة و الأشراف هو اتخاذها مقرا للقيادة العامة للجيوش ، و كانت القوى العسكرية في العراق تعتمد على القبائل العربية من جهة ، و من جهة أخرى على الصحابة المجاهدين الذين شهدوا بدرا و الغزوات الأولى مع الرسول صلى الله عليه و سلم و لشهرتها في هذا المجال سموها «كوفة الجند»(3). وكان لغلبة الجانب العسكري على هذا المصر ، أثر على الحياة الحضارية التي تأخرت نوعا ما ، وهذا ما جعلهم يحتفظون بالعصبيات و يفتخرون بالأنساب و القوة و المنعة ، و مآثر الأجداد ، هذا ما جعل الكوفة تقوم على أساس طبقي

---

(1) مدرسة الكوفة و منهجها في دراسة اللغة و النحو ، مهدي المخزومي ط 2، مصر:شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ،1958.ص: 7،8.

(2) المرجع نفسه ، ص: 12.

(3) المرجع نفسه ، ص: 13.

و كانت القومية العربية هي المقياس الذي يعتمد في ذلك قربا و بعدا منها. و نظرا لموقعها على الحدود الصحراوية أهّلها لأن تكون مركزا للتبادل التجاري بين كبار تجار الإبل ونظرا لموقعها على الحدود القادمين من البادية و من مختلف المدن الأخرى ، وملتقى القبائل العربية القادمة من الحجاز و اليمن.

و قد عرفت الكوفة نشاطا ثقافيا كبيرا مثلها مثل الأمصار الإسلامية الأخرى مس مجالات متعددة و نواح مختلفة : فقهية و أدبية و لغوية ، و تعد المساجد من أهم المراكز الثقافية التي تعج و بالعلم و العلماء و طلبة العلم ، و فيه تعقد مجالس لتعليم قراءة القرآن و التفسير و الفقه ، و كذلك تناولوا الحديث الشريف رواية و درسا و اهتماما برجاله . و إلى جانب ذلك كانت تعقد مجالسا للفقهاء القصاص و الوعاظ ، و أصبح العلم متاحا للجميع العرب و الموالي سواء بسواء . و نمت حلقات الدرس الأدبي و اللغوي و النحوي فكان للفراء حلقة و للشعراء و الأدباء لقاءات يروون و ينشدون فيها أشعارهم ، إذ حدث الزبيدي قال«: أن الفراء أملى على أصحابه كتابا في القرآن في المسجد نحو من ألف و رقة»(1). و جاء في الأغاني أن الكميت بن زيد و حماد الراوية اجتمعا في مسجد الكوفة فتذاكرا أشعار العرب و أيامهم و تنازعا ثم تناظرا و تساءلا(2).

و إذا كانت البصرة قد اشتهرت بالنحو ، و وضع نقط الإعراب في الذكر الحكيم و وضع نقط الإعجام ، فقد اشتهرت الكوفة بالفقه و وضع أصوله و مقاييسه و فتاواه ، و بالقراءات و رواياتها رواية دقيقة مما جعلها تحظى بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة، و بثلاثة من القراء السبعة الذين شاعت قراءتهم في العالم العربي ، و هم : عاصم و حمزة و الكسائي . و عنيت بجانب ذلك عناية

---

(1) طبقات النحويين و اللغويين ، ص: 133.

(2) المدارس النحوية ، الحديثي خديجة ، ط 3 ، الأردن : أربد–دار الأمل ، 2001 ، ص: 114.

واسعة برواية الأشعار القديمة كحماد الراوية و المفضل الضبي و أبو عمرو الشيباني و صنعة دواوين الشعر ، و إن كانت لم تعن بالتحري و التثبت فيما جمعت من أشعار(1).

و لا ننسى أن نشير إلى مجالس الخلفاء و الأمراء و الوزراء من أهل الكوفة التي أسهمت هي الأخرى في نشر العلم و تشجيع أهله ، إذ كانوا يستقدمون العلماء و الشعراء و الفقهاء و يسألونهم عن قضايا مختلفة و يحاورونهم في مسألة قد تعن لهم ، و قد تكون مجالسهم مسرحا لمناظرة بين عالمين في النحو أو اللغة و الفقه وغيرها ،كان منهم من يستقدم إلى داره علماء من أجل تعليم أبنائه كالشرقي بن القطامي ، و الكسائي و أبي معاوية شيبان بن عبد الرحمن التميمي ، و أبو جعفر الرؤاسي و هؤلاء اختصوا بتعليم أبناء الخاصة و الأشراف و غيرهم.

و لم تكن جسور التواصل بين البصرة و الكوفة مقطوعة بل كانت ممتدة و قوية في البداية ، و كثيرا ما كان يقصد الكوفيون البصرة و غيرها من حواضر العلم كالحجاز، فيلتقي بعلمائها و يأخذ عنهم و يعود إلى بلاده محملا بعلم المناطق التي زارها كأبي جعفر الرؤاسي الذي كان يطيل مقامه بالبصرة و كان يسمع من الأعراب و الشعراء و اللغويين الذين يقصدون المربد في المواسم و قابل الخليل ابن أحمد و جلس في حلقته، و الكسائي الذي لزم الخليل يسمع و يحفظ و يدون و يناقش ، وسأل الخليل من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال:« من بوادي الحجاز و نجد و تهامة». فترك حلقة الخليل على أن يعود إليه ، و نزل البوادي يسمع عن الأعراب و يدون حتى أنفذ خمس عشرة قنينة حبر في كتابة كلم العرب عدا ما حفظه ، وعند عودته إلى الخليل وجده قد مات وجلس في مكانه يونس الذي أقر له في مسائل كثيرة(2). و قد رحل الفراء إلى البصرة وأخذ عن يونس بن حبيب

---

(1) المدارس النحوية ، شوقي ضيف ، ط 7 ، مصر : دار المعارف ، 1968 ، ص:156.

(2) المرجع نفسه ، ص: 144.

و حماد الراوية الذي جاء إلى البصرة و نزل على بلال بن بردة راوية الحطيئة . كذلك كان يفعل علماء البصرة كأبي معاوية شيبان الذي أخذ النحو عن الخليل و رحل إلى الكوفة حيث بث هذا العلم بين الدارسين.(1) وخلف الأحمر الذي أخذ عن حماد ، فعن أبي عبيدة قال:« قال خلف : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب ، و أعطيه المنحول فيقبل ذلك مني و يدخله في أشعارها»(2).

إن البصرة و الكوفة يعدان معا مركز إشعاع ثقافي و فكري وديني في العراق و في العالم الإسلامي إضافة إلى مراكز أخرى كبغداد و حواضر الحجاز كمكة المكرمة و المدينة المنورة و غيرها ، و كان لهما قصب السبق في باب العلم و الرواية ، و قاد النزاع بينهما المنافسة و التعصب فكانا من أهم الأسباب التي أذكت هذا الصراع ، فالكوفيون كانوا يتوسعون في رواية الأشعار و اللغة و يفتخرون بأن أتيح لهم جمع القديم ما لم يتح للبصرة ، لأن الكوفة قامت بالقرب من الحيرة عاصمة اللخميين و مستقر أزهر الحضارت العربية في العصر السابق مباشرة قبل للإسلام(3). و أنهم يأخذونها عن الأعراب و عن أهل الحضر وفيهم قال الأصمعي:« أنهم رواة غير منقحين، أنشدوني أربعين قصيدة لأبي دؤاد الإيادي قالها خلف الأحمر، وهم قوم تعجبهم كثرة الرواية، و إليها يرجعون و بها يفتخرون»(4). و قام أهل البصرة- شأن التجار و منطقهم- يشككون فيما وقع لمنافسيهم من ثروة في الجموع لم تقع لهم ، وكانت وسيلتهم في ذلك المنطق و الفكر ، و الحجج الفلسفية(5) ، فأهل البصرة كانوا أكثر تشددا و صرامة في ـــ

(1) المدارس النحوية ، خديجة الحديثي ، ص:115. (5) تاريخ الشعر العربي،البهبيتي، ص:206.

(2) الأغاني ، 92/6.

(3) تاريخ الشعر العربي ، البهبيتي ، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، 1950، ص:205.

(4) الموشح ، ص:251،252.

الرواية ، فلا يؤخذ إلا من أهل الفصاحة من سكان البوادي الذين لم يخالطوا

غيرهم، و حافظوا على لسانهم نقيا صافيا و لم تمسسهم آفات أهل الحضر ، مثل بوادي الحجاز و تهامة ونجد ، و كانوا يقولون«: إنما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب ، و أكلة اليرابيع و هؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد ، أصحاب الكواميخ و أكلة الشواريز» (1). و اشتد الصراع بينهما ، وأخذ كل منهما يكيل للآخر تهما يضعف فيها خصمه و ينعته بالضعف و التزييف في الرواية،و لهم مواقف تصل إلى حد الغلو و التطرف، جرها التعصب و المنافسة بينهما. و سنكتفي بذكر بعض الأمثلة التي تعكس هذا التوجه و التي لم تستثن حتى أوثق الرواة كالأصمعي(بصري) الذي لم يسلم من الطعن و الكذب ، فمما يروى أن أبا عياش(كوفي) قال: «كان الأصمعي مع نصبه كذابا ، و إنما كان يظهر التأله و يترك تفسير ما يسأل عنه من القرآن ، و يظهر الكراهة لأن يسأل عن شيء يوافق شيئا في المصحف ، ليصدق فيما يتكذبه ، و لينفي التهمة عنه فيما يتخرصه ، و لقد سمعت ابن الدريد يقول سمعت عبد الرحمن بن أخي الأصمعي يقول في خبر حكاه و قد سئل عن عمه : هو جالس يكذب على العرب»(2). و يروى كذلك عن خلف الأحمر(بصري) فيقول عنه أبو الطيب اللغوي: « قرأ عليه أهل الكوفة أشعارهم ، و كانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية ، لأنه كان قد أكثر الأخذ عنه ، و بلغ مبلغا لم يقاربه حماد ، فلما تقرأ و نسك ، خرج إلى أهل الكوفة فعرفهم الأشعار التي قد أدخلها في أشعار الناس ، فقالوا له: أنت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة ، فبقي ذلك في دواوينهم إلى اليوم»(3). فكأن أهل الكوفة قبلوا هذا الشعر رغم أنهم أدركوا حقيقة وضعه

---

(1) أخبار النحويين البصرين ، ص: 68.

(2) التنبيهات على أغاليط الرواة ، ص:249،248.

(3) الرواية و الاستشهاد باللغة ، ص:94.

و باعتراف صاحبه ، وهذا أمر يدعو إلى الغرابة. و كان أهل الكوفة يفعلون مثل ذلك فابن الأعرابي(كوفي) كان يزعم أن الأصمعي و أبا عبيدة لا يحسنان قليلا و لا كثيرا(1).

فالملاحظ أن الصراع الذي كان بينهما يعود بالأساس إلى هذه المنافسة و العصبية و هذا ما يحتم على كل دارس أن يعطي لهذه النقطة اهتمامه ، وعلى أساسها يعتمد في تكوين رؤية واضحة و بطريقة موضوعية ، في توثيق الرواية و الرواة .

و يقول السوطي في فضل المدرستين في كتابه المزهر : « و الذي نقل اللغة و اللسان العربي عن هؤلاء(*) ، و أثبتها في كتاب فصيرها علما و صناعة هم أهل البصرة و الكوفة فقط من بين أمصار العرب »(2).

---

(1) مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية ، ص: 4

(*) يقصد بذلك العرب الذين يحتج بلغتهم كقيس و تميم و أسد ، ثم هذيل و بعض كنانة و بعض الطائيين.

(2) المزهر ، 210/1.

القضايا التي النقدية التي أثيرت :

1- الانتحال : معنى الانتحال :نحل القول : أضاف قولا قاله غيره ، و انتحل و تنحّل الشعر أو القول : ادعاه لنفسه و هو لغيره(1).

يعد الانتحال من أهم القضايا التي شغلت العلماء و النقاد في القديم ، كما استرعت اهتمام المحدثين من العرب وغيرهم ، و هذه القضية ليست بدعا ، وإنما هي ظاهرة عرفت قديما عند أمم أخرى من غير العرب ، ولم تمس الشعر فحسب بل شملت الأخبار و الأنساب و كان هذا في العصر الجاهلي و امتد إلى صدر الإسلام إذ مس الحديث الشريف ، فمن المعروف أن نسب النبي صلى الله عليه و سلم يتوقف عند معد بن عدنان بن أدد ولا يتجاوز ذلك ، و يؤكد هذا ما روي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه و سلم كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أدد ثم يمسك فيقول : « كذب النسابون» (2). و جاء في كتاب الأغاني:« ذكر الهيثم بن عدي في كتاب المثالب أن أبا عمرو بن أمية كان عبدا لأمية اسمه ذكوان فاستلحقه. و ذكر أن دغفلا النسابة دخل على معاوية فقال له : من رأيت من علية قريش ؟ فقال : رأيت عبد المطلب بن هاشم و أمية بن عبد شمس. فقال : صفهما لي. فقال : كان عبد المطلب أبيض مديد القامة حسن الوجه ، في جبينه نور النبوة و عز الملك ، يطيف به عشرة من بنيه كأنهم أسد غاب. قال : فصف أمية. قال : رأيته شيخا قصيرا نحيف الجسم ضريرا يقوده عبده ذكوان. فقال : مه ، ذاك ابنه أبو عمرو . فقال : هذا شيء قلتموه بعد و أحدثتموه ، وأما الذي عرفت فهو الذي أخبرتك به»(3). و انتشر الوضع في الحديث الشريف،و قد روي عن سلمة رضي الله عنه أنه قال:سمعت النبيّ

---

(1) المنجد ، الأب لويس معلوف اليسوعي ، ط 5، لبنان ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية ،1908.

(2) طبقات بن سعد ، 38/1.

(3) الأغاني ، 12/1.

صلى الله عليه وسلم يقول:«**مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** »(1) .

و هذا تحذير واضح منه لمن يكذب عليه ، و لعلمه أنه يوجد من يفعل ذلك لأسباب أشرنا إليها في الفصل الثاني.

و الشعر هو الآخر لم يسلم من الانتحال و الوضع في العصر الإسلامي ، و إن كانت هذه القضية معروفة قبل الإسلام لورود بعض الشواهد التي تدل على ذلك و منها ما حدث للأعشى حين قال له النعمان بن المنذر : « لعلك تستعين على شعرك هذا ، فقال له الأعشى : أحبسني في بيت حتى أقول ، فحبسه في بيت فقال قصيدته التي أولها[المتقارب] :

أَ أَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارَا وَ شَطَّتْ عَلَى ذِي هَوًى أَنْ تُزَارَا(2)

و فيها يقول :

وَ قَيَّدَنِي الشِّعْرُ فِي بَيْتِهِ كَمَا قَيَّدَ الآسِرَاتُ الحِمَارَا(3)

و في القصيدة نفسها يقول :

فَمَا أَنَا أَمْ مَا انْتِحَالِي القَوَا فِ بَعْدَ المَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارَا(4)

و اعترض مزرد بن ضرار قصيدة كعب بن الزهير ، واسمه يزيد ، وهو أخ الشماخ ، وكان عرّيضا فقال[الطويل] :

وَ [.....]إِذْ خَلَّفْتَنِي، خَلْفَ شَاعِرٍ مِنَ النَّاسِ لَمِ أَكْفِءْ وَ لَمْ أَتَنَحَّلِ

فَإِنْ تَشْجِبَا أَشْجِبْ، وَ إِنْ تَتَنَخَّلَا وَ إِنْ كُنْتُ أَفْتَى مِنْكُمَا أَتَنَخَّلِ(5)

و في العصر الإسلامي نجد الفرزدق حين يتحدث عن الشعراء الذين تأثر و أخذ عنهم قائلا[البسيط]:

---

(1) فتح الباري ، ص:201/1 .

(2) الديوان ، الأعشى ميمون بن قيس ، تحقيق محمد حسين ، مصر:المطبعة النموذجية ، 1950 ، ص:45.

(3) الشعر و الشعراء ، ص: 143.

(4) الديوان ، الأعشى ، ص: 53 .

(5) طبقات فحول الشعراء ، ص: 105.

والفحل علقمة الذي كانت له حلل الملوك كلامه لاينحل(1)

و قد انتبه العلماء إلى هذه القضية منهم أبو عمرو بن العلاء الذي روي عنه أنه لا يصح من أبيات ذي الإصبع الضادية إلا الأبيات التي أنشدها و أن سائرها منحول(2) و التي يقول فيها:

وَ لَيْسَ المَرْءُ فِي شَيْءٍ مِنَ الإِبْرَامِ وَ النَّقِضِ
إِذَا أَبْرَمَ أَمْرًا خَا لَهُ يَقْضِي وَ مَا يَقْضِي
جَدِيدُ العَيْشِ مَلْبُوسٌ وَ قَدْ يُوشَكُ أَنْ يَنْضِي

و منهم أبو عبيدة الذي أشار إليها ، و في ذلك قال محمد بن سلام ، فحدثني أبو عبيدة قال : كان قراد بن حنش من شعراء غطفان ، و كان قليل الشعر جيّده ، و كانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه فتّدعيه منهم زهير بن أبي سلمى ، ادعى هذه الأبيات(3)[الكامل] :

إِنَّ الرَّزِيَّةَ لاَ رَزِيَّةَ مِثْلُهَا مَا تَبْتَغِي غَطَفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتِ
إِنّ الرِّكَابَ لَتَبْتَغِي ذَا مِرَّةٍ بِجُنُوبِ نَخْلَ إِذَا الشُّهُورُ أَحَلَّتِ
وَ لَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أَنْتَ لَنَا إِذًا نَهِلَتْ مِنَ العَلَقِ الرِّمَاحُ وَ عَلَّتِ
يَنْعَيْنَ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ كَرِيهَةٍ عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ هُنَاكَ وَ جَلَّتِ(4)

و أما عن الأصمعي فقد وردت عنه أخبار كثيرة ، فعن أبي حاتم ، قال:«طفيل الغنوي في بعض شعره أشعر من امرىء القيس.قال:« ويقال إن كثيرا من شعر امرىء القيس لصعاليك كان معه»(5). وفي رواية أخرى عن أبي حاتم ، قال: «حدثني الأصمعي قال:كان الناس يروون لأمية بن أبي الصلت القصيدة التي فيها:

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً مَاتَ هَرِمًا المَوْتُ كَأْسٌ و المَرْءُ ذَائِقُهَا

---

(1) نقائض جرير و الفرزدق ، ص: 200. (5) فحولة الشعراء ، الأصمعي عبد الملك بن قريب، ط1 ،تحقيق ش. توري ،بيروت: دار الكتاب الجديد ، 1971،ص:10.

(2) الأغاني ، ص :2/ 92.

(3) طبقات فحول الشعراء ،ص:733، 734.

(4) الديوان ، زهير بن أبي سلمى، ط1، تحقيق علي حسن فاغور، بيروت: دار الكتب العلمية،1988،ص:50.

قال:«وهذه لرجل من الخوارج». (1)وقال أبو حاتم:«وسألته عن الأغلب أفحل هو؟ ،قال : ليس بفحل و لا مفلح و قد أعياني شعره .و قال لي مرة : ما أروي للأغلب إلا اثنتين و نصفا ، قلت : كيف ؟ ،قلت نصفا ! قال : أعرف له ثنتين و كنت أروي نصفا من التي على القاف فطولوها ، ثم قال : كان ولده يزيدون في شعره حتى أفسدوه(2). و قد سقنا هذه الأمثلة القليلة على سبيل الاستشهاد لا أكثر ففي كتب القدماء أخبار كثيرة ، ككتاب الأغاني و كتاب طبقات فحول الشعراء.

و أو ل من نبه إلى هذه القضية و طرحها بطريقة علمية ، وأعطاها حقها من البحث و التقصي ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء ، و نبه إلى أن الكثير من شعر منسوب إلى شعراء العصر الجاهلي عن طريق الرواة دون تحقيق و تمحيص ، و أشار أن الكثير من الشعر قد ضاع و لم يصلنا كله معتمدا على ما حكاه يونس بن حبيب البصري عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال:«ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، و لو جاءكم وافرا لجاءكم علم شعر و كثير»(3). و ما وصل إلينا فيه المنتحل و الموضوع ، فابن سلام يقرر بكشل واضح :«وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ،تناوله قوم من كتاب إلى كتاب ، ولم يأخذوه عن أهل البادية و لم يعرضوه على العلماء».(4) و قد بين ابن سلام علة فساده لأنه لم يؤخد من مصادره (أهل البادية) و أخذ عن الكتاب ولم يؤخذ عن طريق السماع ، لأنه لا يقبل من صحيفة ، ولا يروى عن صحفي ولم يعرض على أصحاب هذه الصناعة و هم العلماء ، فمثل هذه

---

(1) الموشح ، ص: 78.

(2) فحولة الشعراء ، ص:13.

(3) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ص: 33 .

(4) طبقات فحول الشعراء ، 4/1.

القضايا لا يتقنها إلا أهلها الذين يملكون علما و خبرة ، و لهم القدرة على التمييز بين الزائف و الصحيح من الشعر، فالجمحي يشير إلى ذلك قائلا:« للشعر صناعة و ثقافة يعرفها أهل العلم ،كسائر أصناف العلم و الصناعات : منها ما تثقفه العين ، و منها ما تثقفه الأذن، و منها ما تثقفه اليد، و منها ما يثقفه اللسان.(1) وهي دعوة صريحة منه إلى تنقية الشعر من التنحل و الزيف و تقديمه نقيا صافيا إلى الأجيال القادمة.

أسباب الانتحال:

لقد عمل ابن سلام على الوقوف أسباب الانتحال وحصرها في:

1. **الرواة:**

يرى ابن سلام أن رواة الأخبار والسير وأيام العرب كانوا يفتعلون الشعر وينحلونه «ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت»(2).ولكن ابن سلام لا يذكر الأسباب التي جعلهم يفعلون ذلك. ومن الرواة الذين أشار إليهم ابن إسحاق بن يسار: « وكان ممن أفسد الشعر وحمل كل غثاء منه محمد بن إسحاق بن يسار ، وكان من علماء الناس بالسير فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعر قط وأشعار النساء فضلا عن الرجال ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود كتب لهم أشعار كثيرة، وليس بشعر إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف»(3).

وكان يعتذر منها قائلا:«لا علم لي بالشعر أتينابه فاحمله»(4) وقد رد عليه ابن

---

(1) المصدر السابق ، 5/1.
(2) المصدر نفسه ، 46/1.
(3) المصدر نفسه ، 7/1 ، 8.
(4) المصدر نفسه ، 8/1.

سلام اعتمادا على أدلة نقلية وعقلية، فمن النقلية استشهد بآيات قرآنية فيقول:«أفلا يرجع إلى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر؟ ومن أداه منذ آلاف السنين».(1)يقول تعالى:﴿ **وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى وَ ثَمُودَ فَمَا أَبْقَى** ﴾.(2)
﴿**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ** ﴾(3). ومن الأدلة العقلية أن اللّغة العربية لم تصل إلى عهد عاد وثمود إلى هذه المرحلة من التنظيم التي يعكسها الشعر المنسوب إليهم، يقول يونس بن حبيب: «أول من تكلم العربية، ونسي لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما»(4) ويعتمد على مقولة أبي عمر بن العلاء: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، وعربيتهم بعربيتنا، فكيف بها على عهد عاد وثمود، مع تداعيه و وهيه؟ »(5) ، ثم يسوق دليلا آخر: «فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان، ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعرا، فكيف بعاد وثمود ؟ فهذا كلام الواهن الخبيث(6) فابن سلام يرفض رفضا مطلقا الشعر الذي ذكره محمد بن اسحاق بن يسار، و أنه لا جدوى منه و لا فائدة ترجى.

و ثاني الرواة المطعون فيهم حماد الرواية ويقول فيه ابن سلام: «وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية (الكوفي) وكان غير موثوق به وكان ينحل شعر الرجل غيره وينحله غير شعره و يزيد في الأشعار»(7). و كذلك خلف الأحمر (بصري) وهو من الثقاة على حسب ابن سلام والأصمعي إلا أنه لم يسلم من تهمة الوضع من طرف ابن قتيبة بأنه كان يضع الشعر على المتقدمين ، وكذلك أبناء الشعراء كابن داود بن متمم بن نويرة الذي كان يزيد في أشعار والده متمم.

---

(1) طبقات فحول الشعراء ، مرجع سابق ، 8/1.
(2) النجم: الآية:50،51.
(3) إبراهيم:الآية: 9.
(4) طبقات فحول الشعراء :9/1.
(5) المصدر نفسه ، 11/1.
(6) المصدر نفسه ، 11/1.
(7) المصدر نفسه ، 48/1.

2 .انشغال العرب بالفتوحات والدعوة:

يقول ابن سلام: «فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته »(1) .وبعد إن استقروا واطمأنوا في مواطنهم، وراجعوا ما بين أيديهم وجدوا أن كثيرا من الشعراء قد هلكوا ، فلما كثر الإسلام وجاء الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك وذهب منه كثير»(2) . و يستدل بقول أبي عمر بن العلاء المذكور آنفا.

3. **العصبية القبلية:**

عندما شرعت القبائل في تدوين أيامها وأمجادها التي سجلها شعراؤها دفع بعض القبائل إلى انتحال الشعر.«لما رجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها و مآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسنة شعرائهم »(3).

4. الرواية الشفوية:

من المعلوم أن التراث الجاهلي تناقلته الأجيال مشافهة وليس بأيدينا ما يثبت أن الجاهلين اتخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم ، لعلهم كتبوا بعض القطع أو بعض قصائد لكن لم يتحولوا من ذلك إلى استخدام الكتابة كأداة لحفظ ونقل أشعارهم فالوسائل كانت صعبة ، وما يقال عن المعلقات أنها كانت مكتوبة ومعلقة على الكعبة يعد من باب الأساطير ، والشيء نفسه بالنسبة ما قيل أن

---

(1) طبقات فحول الشعراء ، 25/1.

(2) المصدر نفسه ، 25/1.

(3) المصدر نفسه ، 46/1

النعمان بن المنذر أمر فنسخت له أشعار العرب في الكراريس ثم دفنت بقصره الأبيض، وأكبر دليل على أن الشعر الجاهلي انتقل مشافهة أن القرآن الكريم لم يجمع في مصحف واحد إلا بعد وفاة الرسول ﷺ وكذلك الحديث لم يدون إلا في نهاية القرن الأول الهجري وحتى الشعراء الجاهليون يذكرون الرواية وسيلة لانتشار الشعر كما جاء في قول المسيب بن علس:(1)

فَلَأَهْدِيَنَّ مَعَ الرِّيَاحِ قَصِيدَةً مِنِي مُغَلْغِلَةً إِلَى القَعْقَاعِ

تَرِدُ المِيَاهَ فَلَا تَزَالُ غَرِيبَةً فِي القَوْمِ بَيْنَ تَمَثُّلٍ وَ سَمَاعِ

وكان الشعراء أنفسهم يحترفون برواية الشعر فزهير كان رواية لأوس بن حجر وكعب والحطيئة كانا راويين لزهير.

5 . عامل الزمن:

كانت العرب تعتمد على الرواية الشفوية والحفظ والذاكرة في نقل أشعارها وكلما تأخر زمن الشاعر كان شعره عرضة للنسيان والضياع وبذلك يكون عرضة للتزيد والوضع «ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر، ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير غير أن الذي نالهما من ذلك أكثر وكانا أقدم الفحول، فلعل ذلك لذاك ، فلما قل كلامهما، حمل عليهما حمل كثير» (2)

وقد يبين ابن سلام بعد ذلك كيف نميز الصحيح والزائف وحصرها في الذوق والفطرة والموهبة ثم التجربة والدربة والخبرة وفي الأخير الثقافة الواسعة والمعرفة العميقة بالشعر وأسراره: «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات»(3)

---

(1) طبقات فحول الشعراء ، مصدر سابق ، 157/1.

(2) الشعر و الشعراء ،26/1.

(3) المصدر السابق ، 5/1

وقد أسقط ابن سلام القيمة الفنية للشعر المنحول: «وفي الشعر مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ولا حجة في عربيته ولا أدب يستفاد ومعنى يستخرج ولا مديح رائع ولا هجاء مقذع ولا فخر معجب ولا نسيب مستطرف». (1)

أ– الانتحال عند المستشرقين:

تعرض المستشرقون إلى هذه الظاهرة وأول من لفت الأنظار إليهما المستشرق الألماني تيودور نولدكه سنة 1864 إذ تحدث عن تضارب الروايات واختلاف نصوصها وعن رواة الشعر الجاهلي، وعن تداخل الشعر بعضه ببعض في بعض الأحيان بحيث يدخل شعر شاعر في شعر غيره أو ينسب شعر شاعر لغيره ثم عن تغيير وتحوير الأشعار المقالة بلهجات القبائل لجعلها موافقة للعربية الفصحى .

وبعد ثماني سنوات نشر المستشرق «وليم إلوارد» الشعر الستة الجاهلين،وتوصل إلى نتيجة مفادها:

أن القصائد المروية غير موثوق بصحتها سواء من الناحية المؤلف أو ظروف النظم أو تريب الأبيات (2). أما بروكلمان فقد أكد ابتداء أن العرب قد عرفوا الكتابة سواء في شمال الجزيرة أو في جنوبها ، وتعرض إلى أثر الرواية في السقط والتغيير والتحريف على الرغم من: «أن ذاكرة العرب الغضّة في الزمن القديم كانت أقدر قدرة لا تحد على الحفظ والاستيعاب من ذاكرة العالم الحديث»(3).وإذا حدث هذا سهوا فهذا لا يمنع من أن بعض الرواة فعلوا ذلك عمدا لتمجيد القبائل، وما توصل إليه قريب من رأي ابن سلام إذ يقول: «إنه بالرغم من كل العيوب التي لم يكن منها بعد في المصادر القديمة ، ويبدو أن

---

(1) المصدر السابق ، 4/1.

(2) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، ص: 166.

(3) تاريخ الأدب العربي،بروكلمان، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار،ط:5 ،مصر:دار المعارف،1957 ،65/1.

القصد إلى التشويه والتحريف لم يلعب إلا دورا ثانويا»(1).أما بلاشير فيرى أنه يصعب التمييز بين الصحيح والمنحول على رأي المفضل الضبي عند ما تحدث أن حماد قد أفسد الشعر، ويرى أن قسما ضئيلا وصل إلينا وأن كل ما أوجدته الظروف الخاصة من انتخاب الرواة وجامعي المختارات الشعرية أو العلماء ،كما تعرض على الاختلاف اللهجي فلغة الشعر قد أصابتها تحريفات متعددة قبيل الكتابة، وهي منزهة من أي أثر لهجي خاضعة لقواعد هي إجمالا قواعد نحاة البصرة»(2) وأخطر هؤلاء هو المستشرق الانجليزي ديفيد صموئيل مرجليوث والذي نفى أن يكون الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا معبرا عن العصر الجاهلي وإنما نتاج مرحلة تالية لظهور الإسلام، كما يؤيد أن الشعر موجود في العصر الجاهلي بدليل ذكره في القرآن ، لكنه يشك في كيفية انتقاله إلينا ويفترض أن هناك طريقتين هما : الكتابة والرواية الشفوية، فالكتابة لم تكن وسيلة ممكنة في نقل الشعر وهذا ما يؤكده القدامى والمحدثين ، وأما الرواية الشفوية يؤكدها العديد من القدامى والمعاصرين ثم يعود فيقول لم تكن هناك وسيلة لحفظه سوى الكتابة ثم يعود فينفي كتابته في الجاهلية ليؤكد أنه نظم في مرحلة زمنية تالية للقرآن الكريم! ويقف بإزاء الرواة المهتمين كحماد وجناد وخلف الأحمر وما كان يطعن به بعض الرواة في بعض، ليزعم أن الوضع في الشعر كان مستمرا، ويقول أنه لا يمثل الجاهليين الوثنيين ولا من تنصروا منهم ، إنما يعرفون التوحيد والقصص القرآني ثم ينتقل إلى اللغة فيلاحظ أنها ذات وحدة ظاهرة وهي نفس لغة القرآن الكريم التي أشاعها في العرب، ولو كان هذا الشعر صحيح لمثل لنا لهجات العرب المختلفة(3). و النتيجة التي يخلص إليها هي أن الشعر الجاهلي

---

(1) المرجع السابق ، 66/1.

(2) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، ص:168.

(3) المرجع نفسه ، ص:166، 167.

وضع بعد الإسلام ، لأنه لا يمثل الجاهليين في شيء ثم يقول :فإذا كان الشعر الذي يقال إنه جاهلي مشكوكا فيه إذن من الناحية الخارجية و الداخلية ، فإننا بذلك قد عدنا إلى قضية بداية الشعر العربي أهو شعر قديم جدا رغم أن الآثار الشعرية التي في حوزتنا تنتمي في معظمها إلى ما بعد الإسلام ؟ أم هل ينتمي جميعه إلى ما بعد الإسلام بوصفه تطورا للأساليب الموجودة في القرآن؟! .(1) وكان الرد على ادعاءاته أن الشك في الرواية الشفوية فقد سبق وأن تناولها غيره ، و كان الصحيح من الشعر قد أحيط بسياج منيع من رواة ثقاة وعلماء محققون، وهناك نصوص شعرية وفيرة تعبّر عن المرحلة الجاهلية وتدل على أصحابها ومعبرة عن واقعها الاجتماعي في إطار سياقه التاريخي، وأن لغة القرآن الفصحى كانت سائدة في الجاهلية وأن الشعراء منذ فاتحة العصر كانوا ينظمون بها وأنها كانت لهجة قريش وسارت بأسباب دينية واقتصادية وسياسية، فكان الشعراء ينظمون فيها متخلين عن لهجاتهم المحلية على نحو ما يضع شعراء العرب في عصرنا على اختلاف لهجات بلدانهم وأقاليمهم أما الشعر الجاهلي لا يمثل اللغة الحِمْيَرية فهذا طبيعي لأنها ليست لغته وقديما قال أبو عمرو بن العلاء:«ما لسان حمير و أقاسي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا»(2).

وقد أخذت الفصحى كما قدمنا تقتحم الأبواب على هذه اللغة في الجاهلية نفسها، وتستطيع أن نقول أن تعريب الجنوبيين بدأ منذ عهود مبكرة، أما بالنسبة للنقوش للممالك الجاهلية المتحضرة خاصة اليمنية لا تدل على أي نشاط شعري فيها ، فكيف أتيح لبدو غير متحضرين أن ينظموا هذا الشعر بينما لم ينظمه من تحضروا من هذه الممالك وقد دحض «كبروينلش» هذا الدليل لأن نظم الشعر لا

---

(1) أصول الشعر العربي،مرجليوث ديفيد صمويل،ترجمه، لويس عوض ، دار الفردوس ، 2006 ، ص:97،98.

(2) طبقات فحول الشعراء ، 11/1.

يرتبط بالحضارة ولا بالثقافة والظروف الاجتماعية(1). وقد تصدى لمرجليوث الكثير من المستشرقين «كبروينلش» «ولايل» حتى و لو سلمنا بأن من وضعوا الشعر كانوا يحاكون نماذج سابقة وتقاليد أدبية موروثة وحاكوها، والمحاكاة دليل على وجود أصل كانوا يحاكون ، و إذن فهناك شعر جاهلي عرفه الإسلاميون وحاكوه، وإن كان فيه انتحال ففيه الصحيح ونهتدي إليه عن طريق الرواية الوثيقة وصفاته الشخصية والأسلوبية(2).

الانتحال عند العرب:

وكان من الذين تناولوا هذه القضية مصطفى صادق الرافعي ، وقد عرضه عرضا مفصلا لم يخرج على ما قاله القدماء الذين نبهوا عليه ، وبعد الرافعي جاء طه حسين بكتابه « الشعر الجاهلي » فأحدث ضجة كبرى ألبت عليه المحافظين والباحثين ثم أعقبه بكتابه «في الأدب الجاهلي».

وقد سلك طريق مرجليوث في الاستنباط و الاستنتاج والتوسع في دلالات الروايات والأخبار وتعميم الحكم الفردي الخاص واتخاذه قاعدة، ثم صاغ هذه المادة في أسلوب أدبي جذاب حتى انتهى إلى ما انتهى إليه:« أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا جاهليا ليس من الجاهلية في شيء، وإما هي منتحلة بعد ظهور الإسلام»(3) ولم يقنع بمقالة أو مقالين كما قنع مرجليوث، وإنما فصل لنا القول في كتاب كامل قائم بذاته ، ثم يمضي باسطا الأسباب التي تدفع الباحث على الشك فيه واتهامه ، وردّها لأنها لا تصور حياة الجاهلين الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية كما أنها لا يصور لغتهم وما كان فيها من اختلاف اللهجات، ثم ينتقل: إلى الكتاب الثالث فيتحدث عن أسباب النحل معتمدا على ملاحظات

---

(1) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، ص: 167.

(2) المرجع نفسه ، ص: 168.

(3) في الأدب الجاهلي ، حسين طه ، 1933،ص:63.

القدماء ، و يردها إلى السياسة والدين والقصص الشعوبية والرواة. وفي مصنفه الرابع، هو دراسة تطبيقية لبيان الانتحال وشعر طائفة من اليمن ويبدأ بامرئ القيس لأنه يمني وشعره قرشي اللغة ، ثم علقمة الفحل وعبيد بن الأبرص و غيرهم ، في مصنفه الخامس وهو خاص بشعراء مضريين ، ثم لا يلبث أن يقول أن شعرهم ذهب وضاعت كثرته.

و قد تصدى له مجموعة من النقاد و الأدباء الذين ألفوا كتبا في الرد على ما جاء كتابه ، و من أهم هذه الكتب :

-نقض كتاب في الشعر الجاهلي لمحمد خضر حسين.

- الشهاب الراصد لمحمد لطفي جمعة.

-نقد كتاب الشعر الجاهلي لمحمد فريد وجدي.

ب- الاعتزال :

لعل القارئ يجد بعض الغرابة حين نتحدث عن الاعتزال ، و نحن في مقام الرواية و التدوين!. لكن مثل هذه الغرابة سريعا ما تتبدد حين ندرك أن المعتزلة قد ساهمت بشكل كبير في مجال رواية الشعر فالكثير من شعرائها كانوا يحفظون الشعر و يروونه ، و ما يؤكد هذا ما قاله الجاحظ كتاب الحيوان : و روت المعتزلة المذكورون كلهم رواية عامة الأشعار ، و بشر بن المعتمر أرواهم للشعر خاصة(1).

و تعد المعتزلة أهم مدرسة كلامية دافعت عن الإسلام و عن مبادئه ، أمام أصحاب الديانات الأخرى و التيارات الوافدة التي كانت تهدف إلى زعزعة أركان الدين الإسلامي، وبذر الشك في النفوس الضعيفة ، و لم تكن هذه الجبهة الوحيدة في هذا الصراع ، بل واجهت و تصدت لجبهة ثانية لا تقل قوة و شدة من سابقتها تتمثل في الفرق الإسلامية المختلفة كالخوارج و الشيعة و المرجئة و الجبرية و التي اشتد عودها و شهدت صراعات حادة فيما بينها في القرن الثاني الهجري ، زمن العباسيين الذين أطلقوا الحريات ، و أيدوا فرقا على أخرى. و قد تسلح المعتزلة بثقافة غزيرة و مختلفة استوعبت القديم و أضافت رافدا جديدا من الثقافة الوافدة فأحسنت استثمارها ، و تمثلها خير تمثيل.

اكتسب أصحاب هذا المذهب ثقافة ثرّة جعلت منهم روادا في مجال الفكر و الدين و الأدب ، إذ استطاعوا أن يفرضوا آراءهم و يبسطوا أفكارهم لما أوتوا من قوة في الحجة و القدرة على الجدال و إفحام الخصوم ، بألسنة مرنت على بلاغة القول و توسعت في أفانين الكلام و التعبير ، ولهذا عرفنا الكثير من أعلامها كتابا و شعراء قد شقوا سمتا جديدا في الأدب و الفكر العربيين ، فأثروه و فتحوا

---

(1) الحيوان ، 405/6.

له أفاقا رحبة لم تكن من قبل ، وفي هذا يقول أحمد أمين :« لقد أغنى المعتزلة الأدب من حيث المعاني و قوة العقل و سعة الذهن ، و توليد الأفكار العقلية و النظر إلى الكون و الطبيعة ، و إجراء التجارب عليها و دلالتها على خالقها و غاصوا في المعاني غوصا، و نقلوا الأدب من لفظ رشيق إلى معنى عميق ، و من عبارات مجملة منمقة إلى موضوعات موسعة مسهبة، و بعد أن كان الأدب خلوا من الموضوع جعلوا له موضوعا، فمن موضوعه:الحيوان و البخلاء و الإماء و القيان ، إلى غير ذلك من الموضوعات ،لم تكن في الأدب من قبل المعتزلة و وجهوا الذهن وجهات لم تكن قبلهم »(1).

يظهر أن تأثير مذهب الاعتزال كان قويا، استطاع أن يبسط نفوذه لدى شعراء لا ينتمون إلى هذا المذهب و في هذا يقول شوقي ضيف في قوله:« و تحول شباب الشعراء و غيرهم يستمدون منه عتادا لعقولهم و مادة خصبة لخواطرهم مما جعل أبا نواس و غيره يلوكون بعض مصطلحاتهم»(2).

و كان شعراء المعتزلة يكثرون من رواية الشعر و على رأسهم إبراهيم بن سيار النظام(160،221هـ) الذي قال عنه أبو عبيدة :« ما ينبغي أن يكون في الدنيا مثله فإني امتحنته فقلت له : ما عيب الزجاج ؟ فقال على البديهة : يسرع إليه الكسر و لا يقبل الجبر » ، و روى عنه أنه كان لا يكتب و لا يقرأ و قد حفظ القرآن و التوراة و الإنجيل و الزبور و تفسيرها مع كثرة حفظه للأشعار و الأخبار.(3)

لقد عالج المعتزلة الأغراض الشعرية القديمة المختلفة كغيرهم من الشعراء ، فهذا العتابي(ت208هـ) يقبل على المأمون مادحا إياه على عادة الشعراء[البسيط] :

مَاذَا عَسَى قَائِلٌ يُثْنِي عَلَيْكَ وَ قَدْ نَادَاكَ فِي الوَحْيِ تَقْدِيسٌ وَ تَطْهِيرُ

---

(1) ضحى الإسلام ، أمين أحمد ، ط7 ، مصر: مكتبة النهضة المصرية ، 1936 ، 314/3.

(2) العصر العباسي الأول ، ضيف شوقي ، ط16 ، مصر : دار المعارف ، 1966، ص: 415.

(3)المنية و الأمل،المرتضى أحمد بن يحيى،تحقيق توما أرنولد،حيدرباد:دائرة المعارف العظامية،1316هـ،ص:29.

فُتَّ المَدَائِحَ إِلَّا أَنَّ أَلْسُنَنَا مُسْتَنْطَقَاتٌ بِمَا تَحْوِي الضَمَائِرُ.(1)

و كان من أعلام شعراء هذا المذهب العطوي الذي كان شاعرا و كاتبا ، اتصل بأحمد بن أبي دؤاد و تقرب إليه بمذهبه و تقدمه فيه بقوة جداله عليه ، فلما توفي أحمد نقصت حاله و رثاه بقصائد كثيرة منها[الكامل] :

حَنَّطْتَهُ يَا نَصْرُ بِالكَافُورِ وَ زَفَفْتَهُ لِلْمَنْزِلِ المَهْجُورِ

هَلَاّ بِبَعْضِ خِصَالِهِ حَنَّطْتَهُ فَيَضُوعُ أُفُقُ مَنَازِلٍ وَ قُبُورِ.(2)

أما بشر بن المعتمر(ت210هـ) فكان من أكثر شعراء المعتزلة رواية للشعر على حسب رواية الجاحظ المذكورة آنفا ، و كان يعرف كاتبا ،كما يعد رئيس معتزلة بغداد و له قصيدة أربعون ألف بيت رد فيها على جميع المخالفين ، و قيل للرشيد أنه رافضي فحبسه فقال في الحبس شعرا :

لَسْنَا مِنَ الرَافِضَةِ الغُلَاه وَ لَا مِنَ المُرْجِئَةِ الحُفَاه

لَا مُفَرِّطِينَ بَلْ نَرَى الصِّدِّيقَا مُقَدَمًا وَ المُرْتَضَى الفَارُوقَا

نَبْرَأُ مِنْ عَمْرو وَ مِنْ مُعَاوِيَه

و لما بلغت الرشيد أفرج عنه(3). و عالج في شعره قضايا موضوعية تمس الطبيعة الحية ، إذ وصف حشراتها و وحوشها و حيواناتها ، و جمع فيها الكثير من هذه الغرائب و الفرائد ، و نبه بهذا على وجوه كثيرة من الحكمة العجيبة و الموعظة البليغة.(4) و قد عرض الجاحظ قصيدتين له و قام بشرحهما (*)، و قد رد فيها على الإباضية و الرافضة و الحشوية و غيرها. و اشتهر بشر بن المعتمر ببلاغته و روعة بيانه ، و كانت له آراء نافذة في مجال البلاغة تجلت في الصحيفة بعث بها إلى إبراهيم ابن جبلة بن مخرمة السكوني الخطيب الذي وجده يعلم فتيانهم الخطابة

---

(1) الشعر و الشعراء ، ص: 622.

(2) الأغاني ، 123/23.

(3) المنية و الأمل ، ص: 30.

(4) الحيوان ، 248/6.

(*) ينظر الحيوان ، 284/6 و ما يليها.

وعرفت هذه الصحيفة بصحيفة البلاغة(*)، و حين قرأها إبراهيم قال: أنا أحوج إلى هذا من هؤلاء الفتيان(1).

و إذا ما انتقلنا إلى صفوان الأنصاري فإنه أبرز شاعر معتزلي صخر شعره في الدفاع مذهبه و عن رجاله ، و على رأسهم واصل بن عطاء الذي كان صديقا لبشار بن برد ، و هذا الأخير مدحه بعد خطبة طويلة نزع منها حرف الراء لأن واصلا كان ألثغا قائلا[البسيط] :

تَكَلَّفُوا القَوْلَ وَ الأَقْوَامُ قَدْ حَفَلُوا وَ حَبَّرُوا خُطَبًا نَاهِيكَ مِنْ خُطَبِ

فَقَامَ مُرْتَجِلًا تَغْلِي بَدَاهَتُهُ كَمِرْجَلِ القَيْنِ لَمَّا حُفَّ بِاللَّهَبِ

وَ جَانَبَ الرَّاءَ لَمْ يَشْعُرْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلَ التَّصَفُحِ وَ الإِغْرَاقَ فِي الطَّلَبِ.(2)

لكن بشارا قال بالرجعة و كفّر الأمة ، فانقطع ما كان بينهما من ودّ و صداقة فبعد المدح كان الهجاء في قوله[البسيط] :

مَا لِي أُشَايِعُ غَزَّالًا لَهُ عُنُقٌ كَنِقْنِقِ الدَّوِّ إِنْ وَلَّى وَ إِنْ مَثَلَا

عُنْقَ الزَّرَافَةِ مَا بَالِي وَ بَالُكُمْ أَتُكْفِرُونَ رِجَالًا أَكْفَرُوا الرَّ جُلَا

فلما هجا واصلا صوّب رأي إبليسّ في تقديم النار على الطين،و قال[البسيط]:

الأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَ النَّارُ مُشْرِقَةٌ وَ النَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ(3)

و كان رد صفوان الأنصاري على بشار في أول الأمر تمثلت في مدح واصل في قوله[الطويل]:

تَلَقَّبَ بِالغَزَّالِ وَاحِدُ عَصْرِهِ فَمَنْ لِلْيَتَامَى وَ القَبِيلِ المَكَائِرِ

وَ مَنْ لِحَرُورِيٍّ وَ آخَرَ رَافِضٍ وَ آخَرَ مُرْجِيٍّ وَ آخَرَ جَائِرِ(4)

ثم رد على بشار بن برد الذي فضل النار على الطين[الطويل] :

(*) ينظر البيان و التبيين ، 135/1 و ما يليها.

(1) البيان و التبيين ، 36/1.

(2) المصدر نفسه ، 24/1.

(3) المصدر نفسه ، 16/1.

(4) المصدر نفسه ، 26/1.

زَعَمْتَ أَنَّ النَّارَ أَكْرَمُ عُنْصُرًا وَ فِي الأَرْضِ تَحْيَا بِالحِجَارَةِ وَ الزَّنْدِ
وَ تَخْلُقُ فِي أَرْحَامِهَا وَ أَرُومَهَا أَعَاجِيبُ لَا تُحْصَى بِخَطٍّ وَ لَا عَقْدِ
وَ فِي القَعْرِ مِنْ لُجِّ البِحَارِ مَنَافِعٌ مِنَ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ وَ العَنْبَرِ الوَرْدِ(1)

و القصيدة طويلة يبين فيها منافع الأرض و كثرة خيراتها و تنوعها ، و في باطنها الكنوز و المعادن النفيسة ، و من خلال هذا الشعر يسقط ما ادعاه بشار بالحجج الأدلة الموضوعية التي لا ينكرها إلا مكابر من جهة ، و من جهة أخرى يقرر مبدأ التوحيد الذي يعد أحد الأركان الخمسة التي يعتقدونها في مذهبهم .

و من خلال هذا العرض ، نجد أن شعراء المعتزلة كانوا من أكثر الناس رواية للشعر ، و قد تناولوا الأغراض و الموضوعات الشعرية كسابقيهم و معاصريهم كالمدح و الوصف و الهجاء و الرثاء و غيرها و برزوا فيها ، إن لم نقل أنهم أجادوا كل الإجادة و الفضل يرجع إلى أنهم تسلحوا بثقافة خصبة و غنية تجمع بين القديم و الجديد ، ففتحت لهم آفاقا بكرا و فضاءات جديدة لم يصلها من كان قبلهم ، في مجال لأساليب و الأفكار و المواضيع ، و كانت لهم غاية ثانية من خلال نظمهم للشعر و هي توظيف شعرهم و تسخيره لخدمة آرائهم و الاحتجاج به في مسائلهم العقائدية و يشير شوقي ضيف إلى ذلك بقوله: «و كان من المعتزلة أنفسهم شعراء كثيرون في مجال الشعر و مشاركتهم فيه تأخذ وجهتين : وجهة عامة فهم ينظمون فيما ينظم فيه غيرهم من موضوعات الشعر و أغراضه و وجهة خاصة فهم ينظمون في الاحتجاج لآرائهم الكلامية و فيما يتصل بها من بعض المباحث في الطبيعة ، وكثيرا ما يردون على خصومهم من أصحاب النحل المختلفة»(2).

و يتوسع نبيل خليل أبو حاتم بعض الشيء بعد أن تحدث عن تناولهم للأغراض

---

(1)البيان و التبيين ، 27/1.

(2) العصر العباسي الأول ،شوقي ضيف ، ص: 415.

الشعرية القديمة حيث يقول:« لكنهم اختلفوا عمّن سبقهم و من عاصرهم من الشعراء التقليديين بابتكار وسائل علمية جديدة و طرق فلسفية لم يعهدها الشعر الجاهلي و لا شعر القرن الأول ، و عالجوا بهذه الوسائل قضاياهم و مسائلهم العقائدية ، فأخصبوا تربة الشعر العربي في عصرهم بزرع أفكار فلسفية و منطقية و جعلوا الأغراض القديمة فنا عقائديا لا يحمل في جوانبه إلا آراء المذهب الذي ينتمون إليه و أضافوا إلى موضوعات الشعر موضوعات علمية جديدة كالرياضيات و الإلهيات و الفلكيات »(1).

و من الذين تطرقوا إلى هذا الموضوع الرافعي في معرض حديثه عن شواهد الشعر حيث يقول:« و هو ما يولده بعض المعتزلة و المتكلمين للاستشهاد به على مذاهبهم و كانت رواية الشعر فيهم يومئذ عامة»(2).

ثم استشهد بقول ابن قتيبة في رده على المتكلمين الذي يقول:« و فسروا القرآن بأعجب تفسير يريدون أن يردوه إلى مذاهبهم و يحملون التأويل على نحلهم فقال فريق منهم في قوله تعالى :﴿ **وَسِعَ كُرْسِيَّهُ السَّمَوَاتِ وَ الأَرْضَ** ﴾(3) أي علمه ، و جاءوا على ذلك بشاهد لا يعرف و هو قول الشاعر:

و لا يكرسئ(*) علم الله مخلوق (4)

---

(1) الفرق الإسلامية فكرا و شعرا ، أبو حاتم نبيل خليل ،ط1 ،بيروت،لبنان : دار الثقافة ، 1990، ص: 192.

(2) تاريخ آداب العرب ، مرجع سابق ، 282/1.

(3) البقرة :الآية : 255.

(*)يكرسئ ، من الفعل كرسأ بوزن دحرج ، من توليد بعض المتكلمين يزعم أنه بمعنى علم .

(4) تأويل مختلف الحديث ، ص: 46.

ج- تداخل رواية الشعر و رواية الحديث :

ألمعنا في السابق أن رواية الشعر كانت حميلة على غيرها من العلوم كالتفسير و الحديث و السير و المغازي ، بالإضافة إلى روية الأخبار و الأنساب. و كان الكثير من العلماء قد أقبلوا على القرآن الكريم حفظا و تفسيرا ، و كان عليهم أن يهتموا بالحديث الشريف لأنه المصدر الثاني في التشريع و لا غنى عنه في فهم القرآن ، فهو من الوحي و قد أمرنا الله عزّ و جل باتباع الرسول:﴿ **وَ مَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾(1) فهو يبين ما أبهم من القرآن و يفصل مجمله و يخصص عمومه ، و يقيد مطلقه ، لهذا عملوا على جمعه و تدوينه و تصنيفه ، و ما تبعه من دراسة سنده و متنه ، و لم يكن المحدث ليستغني عن رواية الشعر و حفظه لأنه وعاء اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم . وكان الإقبال على طلب الحديث شديدا ، فالعالم هو المحدث و العلم هو طلب الحديث الشريف في مصطلح القدماء . و بتفحصنا لمصادر القرن الأول و الثاني الهجريين ، نجد أن رواية الحديث و رواية الشعر متداخلة و قلما تجد محدثا لا يروي الشعر و لا يحفظه و لا يستشهد به إلا أن العلماء يتفاوتون في ذلك بقدر طاقتهم و على حسب قدرتهم و استعدادهم ، فمنهم من تغلب عليه رواية الحديث ، فيسمى بالمحدث ومنهم من تغلب رواية الشعر ، فيطلق عليه راوية للأشعار أي أن الرواية بصفة عامة مالت إلى نوع من التخصص بعدما ازدهرت العلوم القرآنية من فقه و تفسير و حديث و غيرهم و العلوم اللغوية من نحو و لغة وبلاغة ، و أصبح كل فريق يميّز عن غيره ، و عندنا من الشواهد الشيء الكثير.

و سنبدأ بمن اشتهروا برواية الحديث إلى جانب روايتهم للشعر ، و أول شخصية

---

(1) الحشر ، الآية : 7.

نجدها في السياق عبد الله بن عباس(ت68هـ) الذي روى الكثير من أحاديث النبيّ صلى الله عليه و سلم و ذلك لشدة ملازمته له و كذلك أخذ علمه من كبار الصحابة رضي الله عنهم ، فعن أحمد عن عبد الرازق عن معمر ، قال:« عامة علم ابن عباس من ثلاثة : من عمر و علي و أبيّ بن كعب»(1) وكان يلقب بالحبر و البحر لغزارة علمه ، و كانوا يقصدونه في التفسير و الحديث و الفقه و اللغة و الشعر ، و كثيرا ما كان يستشهد بالشعر في المواقف المختلفة و خاصة في تفسير القرآن الكريم و موقفه مع ابن الأزرق مشهورة و التي تعرف بمسائل نافع ابن الأزرق(*) . و أثر عنه أنه قال:إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب ، و كان إذا سئل عن من القرآن أنشد فيه شعرا(2).

و من الذين عرفوا بكثرة الرواية و تبحرهم في العلم الشعبي الذي قيل فيه: «كان الشعبي(ت104هـ) أعلم خلق الله بأشعار العرب و أنسابها و أيامها و وقائعها و أما الفقه و الأخبار النبوية ، فكان أوحد زمانه و فرد أوانه»(3) و إذا ما انتقلنا إلى قتادة بن دعامة السدوسي(ت117) فقد روى التوزي عن أبي عبيدة قال:« ما كنا نفقد في كل أيام راكبا من الناحية بني أمية ينيخ على باب قتادة يسأله عن خبر أو نسب أو شعر ، و كان قتادة أجمع الناس»(4) و روى الأصمعي عن شعبة قال:« كان قتادة إذا حدث بالحديث الجيد ، ثم ذهب يجيئ بالثاني ، عدوت وراءه لئلا ينسى الأول ، لأنه كان يحفظ و لا يكتب»(5).

أما بالنسبة إلى شعبة فكان من كبار المحدثين و مقصد طلبة العلم ، إلا أنه كان

---

(1) البداية و النهاية ، 300/8.

(*) ينظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ص:848.

(2) العمدة ، 46/1.

(3) معجم الأدباء ، ص: 1476.

(4) المصدر نفسه ، ص: 2233.

(5) المعارف، بن قتيبة،ط4،تحقيق ثروت عكاشة مصر:دار المعارف ،1969، ص: 462.

يجد فسحة في رواية الشعر في مجلسه بعد أن ضجر من الحديث ، فعن روح بن عبادة قال:« كنت عند شعبة فضجر من الحديث فرمى بطرفه فرأى أبا زيد سعيد بن أوس في أخريات الناس فقال يا أبا زيد :

وَ اسْتَعْجَمَتْ دَارُ مَيٍّ مَا تُكَلِّمُنَا وَ الدَّارُ لَوْ كَلَّمَتْنَا ذَاتُ أَخْبَارِ

إليّ يا أبا زيد!فعجلا يتناشدان الأشعار.فقال بعض أصحاب الحديث لشعبة :« يا أبا بسطام نقطع إليك ظهور الإبل لنسمع منك حديث رسول الله ﷺ فتدعنا و تقبل على الأشعار. قال: فرأيت شعبة غضب غضبا شديدا ، ثم قال : يا هؤلاء أنا أعلم بالأصلح لي أنا، و الذي لا إله إلا هو ، في هذا أسلم مني في ذاك»(1) فرواية الحديث ليست كرواية الشعر ، لأن الحديث نص شرعي و تتربت عنه أحكام شرعية ، و الزلل فيه يعد من الكذب على الرسولﷺ الذي قال: « **مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** »(2) و هذا لا يخفى على العلماء من أمثال شعبة. فرواية الشعر و الاشتغال به لا تحرم حلالا و لا تحل حرام كما قال ابن أبي إسحاق حين بلغه أن ابن سيرين يبغض النحويين و أنه يعيب عليه تفسير غريب الشعر و كان يقول:« ما علمه بإرادة الشاعر! فرد عليه ابن أبي إسحاق:«إن الفتوى في الشعر لا تحل حراما و لا تحرم حلالا ، إنما نفتي فيما استتر من معاني الشعر ، و أشكل غريبه و إعرابه بفتوى سمعناها من غيرنا ، أو اجتهدنا فيها آراءنا ، فإن زللنا أو عثرنا فليس الزلل في ذلك كالزلل في عبارة الرؤيا و لا العثرة فيها كالعثرة في الخروج عما أجمعت عليه الأئمة من سنة الوضوء، و كرهته الجماعة من الاعتداء في الطّهور. فبلغ ذلك ابن سيرين،فأقصر عمّا كان عليه من الإفراط في الوضوء»(3).

ومما يؤكد هذا التوجه عند العلماء خاصة ما رواه خالد بن خداش قال:« حدثنا

---

(1) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ص:103.

(2) فتح الباري ، ص:201 .

(3) انباه الرواة على انباه النحاة ، 2/1076،10.

مهدي بن ميمون قال:رأيت محمد بن سيرين يحدث بأحاديث الناس ، و ينشد الشعر، و يضحك حتى يميل ، فإذا جاء بالحديث من المسند ، كلح و تقبض»(1). و ما كلوحه هذا و تقبضه إلا دليل على أن رواية الحديث ليست كرواية الشعر .

و في كتاب المعارف يروي ابن قتيبة عن شعبة أنه كان يقول حين يأتيه طلبة العلم:« و الله لأنا في الشعر أسلم مني في الحديث ، و لو أردت الله ما خرجت إليكم ، و لو أردتم الله ما جئتموني لكنّا نحب المدح و نكره الذم»(2).

و آخر شخصية نقف عندها التي عرفت برواية الحديث ، هي شخصية الشافعي(204هـ) و هو فقيه مجتهد و لو لا اشتغاله بالفقه لكان أديبا شاعرا ، فبعد حفظ القرآن الكريم خرج إلى البادية و أخذ عن الأعراب مشافهة و حفظ الكثير من الشعر ، فعن مصعب الزبيري قال:« كان أبي و الشافعي يتناشدان ، فأتى الشافعي على شعر هذيل حفظا و قال : لا تعلم بهذا أحدا من أهل الحديث فإنهم لا يحتملون هذا»(3) و قد أوتي الشافعي قوة عجيبة في الحفظ أسعفته في تحصيل علم غزير قلما توفر لغيره ، فعن ابن خزيمة قال«: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: كان الشافعي إذا أخذ في العربية قلت : هو بهذا أعلم ، و إذا تكلم في الشعر و إنشاده قلت:هو بهذا أعلم، وإذا تكلم في الفقه قلت:هو بهذا أعلم» (4) و يكفيه شرفا و فخرا أنه عد مصدرا يأخذ عنه علماء الرواية أمثال الأصمعي وهذا ما يؤكده أبو عثمان المازني قال:« سمعت الأصمعي يقول : قرأت شعر الشنفرى على الشافعي بمكة ، قال زكريا بن يحي الساجي : ذكرت ذلك للرياشي فقال : ما أنكره ، قرأتها على الأصمعي فقال : أنشدنيها رجل من قريش بمكة»(5).

---

(1) سير أعلام النبلاء ، الإمام الذهبي ، ط11 ، حققه مأمون صاغرجي ، مؤسسة الرسالة،1996، ص:612/4.

(2) المعاف ، ص: 501.

(3) معجم الأدباء ، 2403.

(4) المصدر نفسه ، ص: 2403.

(5) المصدر نفسه ، ص: 2409.

و في رواية أخرى لعبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال:« قلت لعمي : يا عمّاه على من قرأت شعر هذيل؟ فقال : على رجل من آل عبد المطلب يقال له محمد بن إدريس»(1) و يعني به الشافعي .

أما إذا ما انتقلنا إلى أعلام الرواية الذين غلب رواية اللغة و الشعر سنبدأ بأبي عمرو بن العلاء الذي يعد أحد القراء السبعة المشهورين و كان لجلالته لا يذكر اسمه ، و كان إمام أهل البصرة في القراءات و النحو و اللغة ، و روى (الحديث) عن أنس بن مالك و أبي صالح السمّان و عطاء و طائفة(2).

و قال عنه أبو عبيدة«: أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات و العربية و أيام العرب و الشعر ، وكانت دفاتره ملء بيته إلى السقف ، ثم تنسك فأحرقها».(3) ها نحن نرى أن أبا عمرو بن العلاء كان يروي حديث الرسول صلى الله عليه و سلم إلى جانب روايته للغة و الشعر و غيرهما .

أما بالنسبة لتلميذه الأصمعي، فكان من علماء الرواية للشعر،وقال عنه المبرد: «كان الأصمعي أسد الشعر و الغريب و المعاني»(4) «و كان صدوقا في الحديث: عنده عن ابن عون و حماد بن سلمة و حماد بن يزيد و غيرهم»(5) و كان قد روى الحديث النبوي الشريف و منها الحديث الذي ذكره الجاحظ في كتاب البيان و التبيين:«و روى الأصمعي و ابن الأعرابي، عن رجالهما،أن رسول الله ﷺ قال:« **إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ بِكَاءٌ** (*)»(6) و كان يتوقى تفسير شيء من القرآن والحديث.

و ما نخلص إليه بعد هذا العرض أن رواية الحديث و رواية الشعر كانتا متلازمتين

---

(1) معجم الأدباء ، ص: 2409.

(2) المزهر ، 231/2.

(3) المصدر نفسه ، 231/2.

(4) أخبار النحويين ، ص: 45.

(5) المصدر نفسه ، ص:47.

(*) بكاء :البكء:القلة،و أصل ذلك من اللبن فقد جعل صفة الانبياء قلة الكلام.

(6) البيان و التبيين ، 27/4.

فلا تجد محدثا إلا و يروي الشعر ، و لا راوية للشعر إلا و يروي الحديث ، لكن بدرجات متفاوتة، وإنا نجد ذلك عند العلماء الرواة الذين تجردوا لحفظ تراث الأمة سواء كان حديثا أو لغة أو شعرا ، وكان طلب الحديث مقدم في تلك الفترة على غيره ، و هذا ما جعل الشافعي يطلب ممن شاركه الإنشاد أن لا يذكر ذلك لأهل الحديث لأنهم لا يطيقونه و ذلك بأن يجمع إلى الحديث الشعر و الشيء نفسه حدث مع شعبة الذي لامه أهل الحديث لأنه ترك الحديث و أخذ ينشد الشعر بمعية أبي زيد.و قد نستفيد من هذا أن الرواية في القرن الثاني الهجري بدأت تعرف بالتخصص و ما يؤكد ذلك ما جاء في فوائد النجيرمي بخطه : قال شعبة:« كنت أجتمع أنا و أبو عمرو بن العلاء عند أبي نوفل بن أبي عقرب فأسأله عن الحديث خاصة ، ويسأله أبو عمرو عن الشعر و اللغة خاصة ، فلا أكتب شيئا مما يسأله أبو عمرو ، و لا يكتب أبو عمرو شيئا مما أساله أنا عنه»(1).و هناك رواية مشابهة لأبي حاتم قال:«حدثني الأصمعي قال:حدثني شعبة قال:كنت أختلف إلى ابن أبي عقرب ، فأسأله أنا على الفقه ، و يسأله أبو عمرو عن العربية ، فيقوم و أنا لا أحفظ حرفا مما يسأله عنه ، و لا يحفظ هو مما سألت عنه»(2).

ومثل هذه الروايات تشير بوضوح إلى اتساع نطاق الرواية و تشعب دروبها نظرا لازدهار العلوم الشرعية ، من تفسير و حديث شريف و قراءات و المغازي و الشعر و اللغة و النحو و البلاغة ، فكلما اتسعت دائرة الثقافة ، مال أهلها إلى نوع من التخصص ، فعن حماد بن سلمة قال:« كان حماد بن سلمة يمر بالحسن البصري بالمسجد الجامع فيدعه (لأنه فقيه) ، و يذهب إلى أصحاب العربية يتعلم

---

(1) المزهر ، 304/2.

(2) طبقات النحويين و اللغويين ، ص: 37.

منهم »(1) و قال أبو علي: ذكر أبو عبيدة في مثالب أهل البصرة قال:« ضاقت

المعيشة بالنضر بن شميل (ت204هـ) فخرج يريد خرسان ، فشيعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف رجل ، ما فيهم إلا محدّث ، أو لغوي ، أو نحوي ، أو عروضي أو ، إخباري »(2) فنحن نرى أنهم يميزون بين هؤلاء تمييزا واضحا. و هذا سيبويه قدم البصرة ليكتب الحديث ، فلزم حلقة حماد بن سلمة ، فلحن في قراءة جملة : ليس أبو الدرداء ، برفع أبو لأنه ظنه اسم ليس ، فقال له أستاذه:« لحنت يا سيبوريه ، فقال : سأطلب علما لا تلحنني فيه فلزم حلقة الخليل فبرع في النحو و أصبح رأسا في هذا العلم بعد أن قدم إلى البصرة طلبا للحديث(3).

(1) طبقات النحويين و اللغويين ، ص: 51.

(2) المصدر نفسه ، ص: 55.

(3) المصدر نفسه ، ص: 66.

ج – تدوين الشعر الجاهلي و أعلام الرواة:

عرضنا فيما سبق أن العرب قد دونوا بعض شعرهم و لم يكتفوا بروايته فحسب ، لأنهم كانوا يعرفون الكتابة ، و وجدنا من العرب من كان يعرف القراءة و الكتابة بالرغم من قلتهم ، لكن هذا التدوين لم يكن بالكثرة التي يعتد بها ، فالعربي كما قال الجاحظ:« وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة و ارتجال و كأنه إلهام ،و ليست هناك معاناة و لا مكابدة ،و لا إجالة فكر و لا استعانة إنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام و إلى رجز يوم الخصام ، أو حين يمتح على رأس بئر أو يحدو ببعير ، أو عند المقارعة أو المناقلة ، أو عند صراع أو في حرب فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب ، و إلى العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني أرسالا ، و تنثال عليه الألفاظ انثيالا ، ثم لا يقيده على نفسه و لا يدرسه أحد من ولده»(1) و قد سقنا أمثلة تدل على اتصال التدوين من الجاهلية إلى الإسلام و لكن هذا التدوين لم يكن إلا في نطاق ضيق إذ كانوا يعتمدون على الرواية أساسا ، فالشاعر ينشد قصيدته على جمع من الناس و لا يصدرها مكتوبة فيسمعونها و يحفظونها و تطير في الآفاق من راو إلى آخر ، و من جيل إلى جيل و هذا ما أشار إليه ناصر الدين الأسد الذي حشد ما استطاع من الروايات التي تدل على أن بعض الرواة اعتمدوا على مدونات مكتوبة يرجعون إليها، لكن مع ذلك لا يمكننا أن نعمم الحكم و في ذلك يقول:« و ما ذكرناه في الباب الأول من أمر الكتابة و التدوين بعامة، و كتابة الشعر و تدوينه بخاصة، ثم ما ذكرناه بعد ذلك من أمر اتصال العلماء الرواة في القرن الثاني بالمدونات السابقة و استمدادهم منها —كل ذلك حديث موهم ، قد يحمل محملا فيه سعة و تعميم لم نقصد إليهما»(2).

---

(1) البيان و التبيين ، 28/3.

(2) مصادر الشعر الجاهلي ، ناصر الدين الاسد ، ص: 190.

و حتى في الوقت الذي عرف انتشارا للقراءة و الكتابة لا زال المعول فيه على الرواية فابن سلام الجمحي يقول و هو من أبناء القرن الثاني و الثالث الهجريين: «وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم و الرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة و لا يروى عن صحفي».(1) لأن المعول كان على السماع لا على الكتابة. و القضية كما أشرنا في السابق تتعلق بالحديث الشريف الذي دون في بداية القرن الثاني ، و كان في السابق ينتقل مشافهة بين المسلمين ، و انطلقت حركة نشطة في تدوين مغازي الرسول صلى الله عليه و سلم و أحاديثه و دونوا إلى جانبه الأخبار و الأنساب و التي كانت تضم شعرا كثيرا ، فتدوين الحديث الشريف مهد إذا الطريق لتدوين الشعر،وكانت رواية الشعر حميلة على غيرها ثم أخذت تشق طريقها نحو التخصص و الاستقلال و أصبح الشعر يطلب لذاته على يد الأصمعي و المفضل الضبيّ و أبي عمرو الشيباني. و لكن السؤال الذي يجب أن نطرحه هنا ، هل اعتمد هؤلاء العلماء الرواة على تدوين الشعر الذي رووه فعلا من مدونات مكتوبة ؟ أم اعتمدوا على السماع ؟ ، إلى أن دونه من جاء بعدهم و نقصد بذلك تلامذتهم .

و للإجابة على مثل هذه الأسئلة يقودنا إلى تصفح أخبار هؤلاء العلماء ، فمن المعروف أن أبو عمرو بن العلاء كان يدون كل شيء و لما تقرأ أحرقها ، لكنه اعتمد على حافظته و منها أخذ طلبته علمه و دونوه فيما بعد.و حماد الراوية الذي استدعاه الوليد بن يزيد ،فقال:«لا يسألني إلا عن طرفيه: قريش و ثقيف فنظرت في كتابي قريش و ثقيف ، فلما قدمت عليه سألني عن أشعار بلي فأنشدته منها ما استحسنه»(2).و ذكر أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس أن حمادا

---

(1) طبقات فحول الشعراء ، 4/1.

(2) الأغاني ، 94/6.

هو الذي جمع السبع الطوال (1) مع أن ابن النديم يقول أنه لم نر لحماد كتابا و إنما روى عنه الناس و صنفت الكتب بعده(2).

و إذا ما انتقانا إلى المفضل الضبي صاحب المفضليات و التي تعد أقدم مجموعة صنعت في اختيار الشعر العربي ، فقد جاء في فوائد النجيرمي بخطه : قال : قال العباس بن بكار الضبي :« ما أحسن اختيارك للأشعار ، فلو زدتنا من اختيارك؟ فقال: و الله ما هذا الاختيار لي ، ولكن إبراهيم بن عبد الله استتر عندي ، فكنت أطوف و أعود إليه بالأخبار فيأنس و يحدثني ، ثم عرض لي خروج إلى ضيعتي أياما فقال لي : اجعل كتبك عندي لأستريح إلى النظر فيها ، فتركت عنده قمطرين فيهما أشعار و أخبار ، فلما عدت وجدته قد علم على هذه الأشعار و كان أحفظ الناس للشعر فجمعته ، و أخرجته فقال الناس : اختيار المفضل»(3)و المفضليات قد أملاها علينا عامر بن عمران أبو عكرمة الضبي–كما يقول القاسم بن محمد بن بشار الأنباري– مجلسا ، جلسا و من أولها إلى آخرها و ذكر أنه أخذها عن أبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي(4).

أما بالنسبة للأصمعي الذي أوتي قوة في الحفظ ، فالمعروف عنه أنه كان يعتمد على الكتابة ، فهو يدون كل ما يسمعه في سوق المربد أو ما يأخذه مجالس العلم أو ما يسمعه من الأعراب فعن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال:«قلت لعمي: يا عمّاه على من قرأت شعر هذيل؟ فقال : على رجل من آل عبد المطلب يقال له محمد بن إدريس»(5) و يقول أبو حاتم السجستاني:« قرأ الأصمعي على أبي

---

(1) معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ،ص: 1204.

(2) الفهرست ، ص: 104.

(3) المزهر ، 319/2.

(4) المفضليات، تحقيق عبد السلام هارون و أحمد محمد شاكر ،ط6 ، دار المعارف ، 1962، المقدمة ، ص: 12.

(5)) معجم الأدباء ، ص: 2409.

عمرو بن العلاء شعر النابغة الذبياني»(1) و هذه كلها دلائل على أن العلماء الرواة كانوا يعتمدون على بعض المدونات المكتوبة و يرجعون إليها، لكن الاعتماد على الكتاب في تلك الفترة لا يعتد به و يعبأ له إن لم يكن عيبا و منقصة، و لا يؤخذ عنه ، لأن الأخذ من الكتاب يعرض للتصحيف و الذي يعد مشكلة كبيرة نشأت مع انتشار الخط العربي نظرا للتشابه الكبير بين حروف الهجاء، و قد وقع فيه الكثير من كبار القراء و الرواة و المحدثين و العلماء و لهذا كان الاعتماد على السماع هو الطريق السليم الذي يجب أن يعتمد عليه في تلك الفترة ، و هذا يرجع إلى طريقة الأخذ و التحمل ، فقد كان العالم الحق الجدير بالثقة هو الذي يتصل بالعلماء من ذوي السن، فيحضر مجالسهم و يلازمهم و يستمع إليهم و يأخذ عنهم، و الكتاب في كل ذلك أو في أكثره ، هو الوسيلة أو الأداة : يقرأ على شيخه ، أو يسمع إلى بعض من يقرأه ، وقد يكون في يده نسخة أخرى من الكتاب يتابع قراءة القارئ و الشيخ يسمع و يصحح الخطأ ويشرح الغامض، و يذكر وجوه الاختلاف في الألفاظ ما بلغ إليه علمه و يتحدث عما حول النص من جو تاريخي، وقد يقوده اللفظ أو الخبر إلى لفظ في بيت آخر ، أو إلى خبر في حادثة أخرى، فيستطرد ، ثم يعود إلى موضوعه الأصيل(2) لهذا رفضوا كل أخذ من الكتاب، لأنه يصبح عرضة للتصحيف فمن اللازم أن يعرض ما كتبه على العلماء ، و أن يأخذه من عند أهله ، وهذا ما أشار إليه ابن سلام: «و قد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية ، و لم يعرضوه على العلماء ، و ليس لأحد إذا أجمع أهل العلم و الرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة و لا يروى عن صحفي»(3)

---

(1) الموشح ، ص: 42

(2) مصادر الشعر الجاهلي ، ص: 179.

(3) طبقات فحول الشعراء ، 4/1.

أعلام الرواة :

1– أبو عمرو بن العلاء (69،155هـ): اسمه زبّان بن العلاء بن عمار بن عبد الله المازني ، عربي من تميم ، مؤسس مدرسة البصرة في النحو و شيخها ، و أحد القراء السبعة ، وكان أوسع الناس علما بكلام العرب لغاتها و غريبها ، و كان من القراء الموثوق بهم. و قد دون قدرا كبيرا من الشعر الجاهلي و ما تعلق به من أخبار (1) و قد مدحه الفرزدق :

مَا زِلْتُ أَفْتَحُ أَبْوَابًا وَ أُغْلِقُهَا حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا عَمْرو بْنَ عَمَّارِ(2)

و قال عنه الجاحظ:« كانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء ، قد ملأت بيتا له إلى قريب من السقف ، ثم إنه تقرأ فأحرقها كلها فلما رجع بعد إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية»(3) و إن ضياع كتبه لا يعني فقدان علمه ، فقد حمله طلابه من بعده و قاموا بتدوينه، و كان يقدم الشعراء الأوائل و لا يعد الشعر إلا ما كان من المتقدمين ، قال الأصمعي:« جلست إليه عشر حجج ، فما سمعته يحتج ببيت إسلامي»(4) و هذا لحاجتهم إلى الشاهد و قلة ثقتهم بما يأتي به المولدون. و قال يونس:« لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء لكان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء كله في العربية ، و لكنه ليس من أحد إلا و أنت آخذ من قوله و تارك إلا النبي ﷺ »(5).

2–**المفضل الضبيّ** (ت170هـ): هو المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم بن أبي سلمى بن ربيعة بن زبان بن عامر بن ثعلبة الضبيّ .(6) كان عالما بالنحو و الشعر و الغريب و أيام الناس ، و كان يكتب المصاحف و يقفها في المساجد تكفيرا لما

---

(1) طبقات النحويين و اللغويين ، ص: 35.
(2) المصدر نفسه ، 35.
(3) البيان و التبيين ، 321/1.
(4) المزهر ، مصدر سابق ، 488/2.
(5) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ص:31.
(6) طبقات النحويين و اللغويين ، ص:193.

كتبه بيده من أهاجي الناس(1). و كان من أوثق من روى الشعر من الكوفيين ولم يكن أعلمهم باللغة و النحو ، إنما كان يختص بالشعر و قد روى عنه أبو زيد شعرا كثيرا(2) و يقال أنه خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فظفر به المنصور فعفا عنه و ألزمه المهدي، و للمهدي عمل الأشعار المختارة المسماة المفضليات ، وهي مائة وثمانية و عشرون قصيدة ، و قد تزيد وتنقص و تتقدم القصائد و تتأخر بحسب الرواية عنه ، و الصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي(3) و جاء في المزهر أنه كان يقول : إني لا أحسن شيئا من الغريب ولا من المعاني و لا تفسير الشعر . و إنما كان يروي شعرا مجردا(4)

3– **حماد الراوية** (95، 164هـ): هو أبو القاسم حماد بن سابور بن المبارك بن عبيد و هو من الديلم كان راوية للأخبار و الأشعار و الأنساب ، في أيام عبد الملك بن مروان (5) و هو زعيم مدرسة الكوفة و كان شاعرا عالما بكلام العرب إلا أنه كان يعرف بالمجون و الفسق ، و كان موهوبا و ذا قريحة صافية ، و أخذ يدس على الشعراء الجاهليين ، ونسب إليهم الكثير من الشعر ،و كان لا يوثق بروايته.و فيه يقول ابن سلام : و كان أول من جمع أشعار العرب و ساق أحاديثها حمد الراوية و كان غير موثوق به ، و كان ينحل شعر الرجل غيره و ينحله غير شعره ، و يزيد في الأشعار(6).

وقال : سمعت يونس يقول : العجب ممن يأخذ من حماد ، و كان يلحن و يكذب و يكسر (7).

و كانت ملوك بني أمية تقدمه و يؤثره و تستزيده ، فيفد عليهم و يسألونه عن

---

(1) بغية الوعاة ، 297/2.
(2) المزهر ، 405/2 ، 406.
(3) الفهرست ، ص:75.
(4) المزهر ، 406/2
(5) الفهرست ، ص: 105.
(6) طبقات فحول الشعراء ، 48/1.
(7)) المصدر نفسه ، 49/1.

أيام العرب و علومها و يجزلون صلته(1) و هذه التهمة لم تكن من أهل البصر بل وجدنا المفضل الضبي و هو كما نعرف كوفي يقول فيه : قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا ، فقيل له : كيف ذلك ؟ أيخطئ في الرواية أم يلحن؟ قال : ليته كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب و لكنه رجل عالم بلغات العرب و أشعارها و مذاهب الشعراء و معانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل و يدخله في شعره و يحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، و أين ذلك؟(2).

و قال فيه الأصمعي:« كان حماد أعلم الناس إذا نصح»(3). و كلام الأصمعي كما نرى مشروط بالنصح ، و هذا لا ينفي التهمة عنه ، و نجد من يعترف لحماد بفضلة في العلم و لا يتهمه كالهيثم بن عدي الذي يقول:« ما رأيت رجلا أعلم بكلام العرب من حماد»(4).

4- **خلف الأحمر**(ت115،180هـ): هو خلف بن حيان و يكنى بأبي محرز ، مولى أبي موسى الأشعري ، و كان أعلم الناس بالشعر ، وكان شاعرا ، و وضع على شعراء عبد قيس شعرا موضوعا كثيرا وعلى غيرهم ، و أخذ ذلك عنه أهل البصرة ،و أهل الكوفة ، و لم ير أحد قط أعلم بالشعر و الشعراء منه ، و كان يضرب به المثل في عمل الشعر ، وكان يعمل على ألسنة الناس ، فيشبه كل شعر يقوله شعر الذي يصنعه(5) و قال فيه ابن سلام:« اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر ، وأصدقه لسانا ، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبرا ، أو أنشدنا شعرا أن لا نسمعه من صاحبه»(6).

---

(1) معجم الأدباء ، ص: 1202.
(2) المصدر نفسه ، ص: 2204.
(3) المصدر نفسه ، 2204.
(4) المصدر نفسه ، 2204.
(5) المزهر ، 402/2.
(6) طبقات فحول الشعراء ، 23/1.

و كان خلف أول من أحدث السماع بالبصرة ، وقرأ عليه أهل الكوفة أشعارهم و كانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية ، لأنه أكثر الأخذ عنه و بلغ مبلغا لم يقاربه حماد ، فلما نسك خرج إلى أهل الكوفة فعرفهم الأشعار التي قد أدخلها في أشعار الناس ، فقالوا له:« أنت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة فبقي ذلك في دواوينهم إلى اليوم»(1)و له ديوان شعر حمله عنه أبو نواس و كتاب جبال العرب(2).

5- الأصمعي(122، 215هـ): هو عبد الملك بن علي بن أصمع بن أعيا بن سعد بن عبد غنم بن قتيبة بن معن بن سعد بن مناة الباهلي.(3) وهو تلميذ خلف الأحمر،و نقل عن فصحاء العرب الذين يفدون على البصرة ، و أكثر الخروج إلى البادية ، وشافه الأعراب ، و ربما استغرقت رحلته سنوات.و أمضى جانبا من حياته في الحجاز و بغداد ، فأكسبه ذلك علما واسعا بالجاهلية و لغاتها و أخبارها و اكتسب مكانة ممتازة في الأوساط الأدبية كأستاذ و عالم و في بلاط الخلفاء كذلك ، فقد أجازه هارون الرشيد بعشرة آلاف درهم لأنه أجاد في و صف فرس له(4). و كان الأصمعي صدوقا في الحديث ، و يتوقى تفسير شيء من القرآن و الحديث على طريق اللغة، فعن أبي علي الصفار قال«: حدثنا أبو عمرو الصفار قال : حضرت الأصمعي و قد سأله سائل عن معنى قول النبي صلى الله عليه و سلم : جاءكم أهل اليمن و هم أبخع نفسا . قال : يعني أقتل نفسا ، ثم أقبل متقدما على نفسه كاللائم لها ، فقال: و من أخذني بهذا ؟ ، وما علمي به ؟ فقلت له : لا عليك»(5).

و كان يفسر شعرا فيه هجاء ، و كتب أبو الروق الهمذاني قال:« سمعت الرياشي

---

(1) المزهر ، 403/1.
(2) معجم الأدباء ، 1256.
(3) طبقات النحويين و اللغويين ، ص: 167.
(4) العقد الفريد، ص:1/**147**.
(5) أخبار النحويين البصريين ،ص:47 ، 48.

يقول: سمعت الأصمعي يقول:أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة، فقال له رجل: منها البيت و البيتان ؟ قال : و منها المائة و المائتان . و قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : عجائب الدنيا معروفة معدودة ، منها الأصمعي»(1). و كان من أهل السنّة ، ولا يفتي إلا فيما أجمع عليه علماء اللغة ، ويقف عما ينفردون عنه ، و لا يجيز إلا أفصح اللغات(2) وله مؤلفات عديدة نذكر منها:فحولة الشعراء و الذي رواه تلميذه أبو حاتم ، خلق الإنسان ، الشاء ، معاني الشعر ، القلب و الابدال القصائد الست.

(1) المزهر ، 404/1.

(2) بغية الوعاة ، 212/2.

إن الرواية و التدوين من المواضيع الهامة ، التي تناولها الدارسون و الباحثون و مازالت هذه الجهود متواصلة ، محاولة الكشف عن جوانبها التي يكتنفها بعض الغموض أو النقص ، و التي كثر الكلام حولها ، ولم نصل بعد إلى قول فصل و لأن بعضها اجتهادات تنطلق مما تيسر لها من نصوص و آثار ، تحاول محاورتها و استنطاقها ، أو مستفيدة من المناهج العلمية الحديثة قدر الإمكان ، و ما تسمح به طبيعة الموضوع ، وهذا شيء طبيعي لازم ، صاحب الثقافات الشفوية عند الأمم الأخرى كاليونان أو الفرس.

و ثقافتنا العربية أيضا ثقافة شفوية بالدرجة الأولى ، تعبر عن أمة في مرحلة من مراحل تاريخها ، يوم كان العرب يتوزعون في شبه جزيرتهم في شكل قبائل متنقلة ، يحملون ثقافتهم في حلهم و ترحالهم على قدر ما تحمله ذاكرتهم ، لا تكاد تستقر في مكان ، حتى تنتقل إلى آخر طلبا للماء و الكلأ ، بعيدة عن أسباب الحضارة و التمدن ، يعيشون حياة الفطرة و الطبيعة ، ماعدا جزء من العرب ، كان يسكن القرى و الحواضر (كالحيرة و مكة و المدينة و اليمن) و قد عرفت حياتهم نوعا من الاستقرار ، و مارس أهلها التجارة ، و كانوا بذلك على اتصال بالأمم الأخرى ، و قد أخذوا شيئا من أسباب التمدن ، و مع هذا لازمتهم الثقافة الشفوية ، و من الثقافة المتصلة لديهم هو الشعر ، علمهم الذي لم يكن لهم علم غيره ، لأنه ديوانهم الذي خلدوا فيه مآثرهم ، و سجلوا فيه أيامهم و أخبارهم ، و تغنوا بأنسابهم و أحسابهم . و كانت الذاكرة هي الوعاء الذي احتضنه و صانه في غياب التدوين ، لأن الشاعر عندما ينشد شعره ، تتلقفه الشفاه و تنقله و تذيعه في القبيلة و خارجها ، و لم يكن يدون لأن الكتابة تعد

مظهرا من مظاهر التحضر و التمدن آنذاك ، و إن كانت بعض الأخبار تشير إلى أن العرب مارسوا الكتابة ، إلا أنها لم تكن من الشيوع الانتشار الذي يعتد به اللهم إلا ما كان يتصل بالعهود و المواثيق .

اعتنق العرب الإسلام ، فسحرتهم بلاغته و فصاحته و قيمه ، فأقبلوا عليه بمجامع قلوبهم حفظا و تدوينا، و أشرنا إلى مكانة الشعر عند الرسول و سماعه و الإجازة عليه ، ثم انتقلنا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الذي كان لا يمر بموقف من الموافق ، إلا و استشهد فيه بيت من الشعر ، و قد كان يدعو إلى رواية الشعر ثم انتقلنا إلى السيدة عائشة ، و كثرة حفظها للشعر و التي كنت تنشده بإيعاز من الرسول صلى الله عليه و سلم ، ثم بينا دور رواة القبائل في حفظ الكثير من الشعر ، لأنه يعزز مكانتها بين القبائل سواء في الجاهلية أو الإسلام، و أضفنا حلقة في هذا السياق ، و التي تتمثل في شعر الفتوحات الذي لم يلق العناية اللازمة من طرف الرواة ، الذين لم يعطوه حقه من العناية ، و انصبت جهودهم حول البادية، فكانت مصدرهم الوحيد الذي منه يأخذون، و لأن الغاية محصورة في البحث عن الشاهد و المثل لا غير ، و بقي هذا الشعر حبيس كتب السير و المغازي ، و انتهينا إلى الشعراء الرواة الذين حملوا الكثير من الشعر و رووه عن غيرهم ، وبذلك عدوا حلقة متصلة بما سبقها. و بعد أن دوِّن القرآن فقد انصب جهدهم حول تدوين الحديث الشريف ، فكان القرآن الكريم بذلك أول كتاب دونه العرب ، ثم يليه الحديث الشريف ، و مغازي الرسول صلى الله عليه و سلم و الأنساب و الأخبار ، فكان الشعر الجاهلي يدون ضمن هذه المواضيع حميلا عليها ، لحاجتهم إلى الشاهد و المثل ، لأن القرآن نزل بلغة العرب.

لما آلت الخلافة إلى بني أمية الذين كانوا متعصبين للثقافة العربية ، فهي دولة

عربية أعرابية كما قال الجاحظ ، لذا عملوا على الحفاظ على طابعها العربي، لهذا نشطت رواية الشعر ، لتوفر عوامل عديدة منها ظهور العصبيات و التي مثلها شعر النقائض ، و أعلامه الثلاثة الذين يعدون امتداد لفحول الشعر العربي و لكثرة ما حفظوه و رووه عنهم ، فسلكوا دربهم ، و نهجوا نهجهم في هذا الفن و لهذا شبهوا جرير بالأعشى ، و الأخطل بالنابغة ، و الفرزدق بزهير. كما كان للخلفاء دور في تشجيع رواية الشعر ، بل وجدنا منهم من يروي و يحفظ الكثير منه و فيهم من حرص على جمعه و تدوينه ،كعبد الملك بن مروان ، و الوليد بن عبد الملك ، و الوليد بن يزيد .

و بينا كيف كان لحرفة التعليم دور في الحث على حفظ الشعر و روايته ، ثم انتقلنا إلى الوعاظ و القصاص ، و الإخباريين و النسابين ، الذين كانوا يروون الكثير من الشعر ، لأنهم كانوا يستشهدون و يستعينون به فيما يروونه، و انتقينا في نهاية الفصل بعض الشعراء ، الذين أخذ العلماء الرواة عنهم شعر الفحول، لذا فهم يعدون بحق ، همزة وصل بين العصر الجاهلي و العصر الإسلامي ، و أن حلقة الشعر لم تنقطع ، بل ظلت مستمرة ينقلها جيل عن جيل.

ثم انتهينا إلى مرحلة تدوين الشعر الجاهلي و الإسلامي و أعلام الرواة ، وقد بينا كيف أن رواية الشعر مالت إلى التخصص ، وبدأت تستقل عن غيرها من المعارف على أيدي علماء أجلاء ، تخصصوا في جمع و رواية الشعر ، و عرضه في مجالس علمية، يحضرها الطلاب فيتدارسونه و يحفظونه منذ نهاية القرن الأول . وكان أغلبهم يعتمد على تدوين ما يجمعه من الأسواق ، أو من البادية أو ما يأخذه عن الأعراب الوافدين عليهم ، و إن كان المعول عليه هي الرواية ، و لأن الخط العربي رغم انتشاره، لم يستكمل كل مقوماته ، فكان بعض الرواة عندهم

لا يؤخذ عن صحيفة، و لا يروى عن صحفي ، خشية الوقوع في التصحيف* و التحريف** ، فالعلم يؤخذ من أهله سماعا ، أو قراءة على الشيخ أو عن أهل البادية ، و تلك من طرق الأخذ في ذلك العصر.

و في النصف الثاني من القرن ، بدأت تظهر المجموعات الشعرية الموثقة كالمفضليات للمفضل الضبي ، و مجموعة الأصمعي و غيرهما . وقد اشتد التنافس في العراق بين مدرستي الكوفة و البصرة ، و لأن كل مدرسة اتخذت سمتا خاصا بها ، وبينا دورهم في الجمع و التحري ، لحفظ التراث اللغوي و الأدبي ،خدمة للقرآن الكريم و الحديث الشريف ، ثم تعرضنا في خضم هذه الحركة النشيطة إلى القضايا النقدية ، التي عالجوها كالانتحال و رصدهم لهذه الظاهرة ، و التنبيه إليها لأنها تشكل خطرا لمس جزء كبيرا من تراثنا العربي ، ثم تناولنا دور المعتزلة في رواية الشعر ، و تسخيره في خدمة مذهبهم و الترويج له و الدفاع عنه، كما أشرنا إلى تداخل رواية الشعر و رواية الحديث الشريف ، و رأينا نماذج من الرواة الذين جمعوا بين رواية الشعر و الحديث ، و إن كانوا يتفاوتون في ذلك ثم تناولنا أهم الأعلام الرواة الذين يعود الفضل إليهم في حفظ هذا التراث.

و بعد هذا يتبين لنا أن الرواية الشفوية كانت هي القناة التي تكفلت بحمل الشعر العربي و حفظه مدة لم تكن بالقصيرة ، و أن حلقاته كانت متصلة لا انفصام بينها ، تبدأ من العصر الجاهلي و تنتهي إلى عصر التدين في العصر العباسي الثاني. وقد بينا في عرضنا أن الرواية الشفوية كانت تمثل الثقافة العربية ، و الوعاء الذي ــــــ

* التصحيف: الخطأ في الصحيفة ، و المصحّ و الصّحفي : الذي يروي الخطأ من قراءة الصحف بأشباه الحروف. لسان العرب ، 291/7 ، وعرفه الجرجاني في كتاب التعريفات : أن يقرأ الشيء على خلاف ما أراد كاتبه أم على ما اصطلحوا عليه.ص:61.

** التحريف: تحريف الكلم عن مواضعه ، تغييره ، والتحريف في القرآن و الكلمة تغيير الحرف عن معناه، و الكلمة عن معناها.لسان العرب ، 129/3. و عرفه الجرجاني في كتاب التعريفات: تغيير اللفظ دون المعنى.ص:55.

تشكلت فيه ، وأنها سارت إلى جنب التدوين فيما بعد ، كلاهما يكمل الآخر إلى أن دون هذا التراث الزاخر تدوينا نهائيا ، في القرون اللاحقة الثالث و الرابع، بعد أن استكمل الخط العربي كل مقوماته و استقرت العرب في الأمصار .

و بينا كيف أن رواية الشعر كانت حميلة على غيرها ، ثم مالت إلى التخصص في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري على أيدي علماء ثقات .

هذا ما حاولنا أن نبينه من خلال هذا ، بأن نعرض ملامحه ، من خلال نشاط أعلامه و مصادره المختلفة ، آملين أن نكون قد وفينا الموضوع حقه أو بعض حقه ، و لعلها تعطينا صورة أوضح ، تساعد بعض الباحثين من الطلبة لاستكمال النقص .

و في الختام لا ندعي الكمال أو القول الفصل في مثل هذا الموضوع ، الذي لا زال في حاجة إلى البحث و التقصي.

قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم

01- أخبار النحويين البصريين، السيرافي أبو سعيد ، ط1 ، تحقيق طه محمد الزيني وعبد المنعم خفاجي، مصر:مصطفى البابي،1955.

02- الآداب العربية في العصر العباسي ، محمد عبد المنعم خفاجي ، ط1 ، بيروت، لبنان:دار الجيل،1992.

03- أدب السياسة في العصر الأموي ، الحوفي أحمد محمد ، ط3 ، دار نهضة مصر ، 1969.

04- أصول الشعر العربي ، مرجليوث، ديفيد صمويل ، ترجمة لويس عوض، دار الفردوس.2006

05- الأعراب الرواة ، الشلقاني عبد الحميد ، مصر : دار المعارف .(دت).

06- الأغاني، الإصفهاني أبو الفرج ، ط2، حققه عبد الرحيم محمود ، القاهرة :دار الكتب المصرية 1952 .

07- الأمالي ، القالي أبو علي، تحقيق محمد الجواد علي، بيروت لبنان:دار الكتب العلمية.(دت).

08- أمالي المرتضى، المرتضى أحمد بن حسين ، ط1، حققه محمد بدر الدين النعساني ، مطبعة السعادة، .1907

09- انباه الرواة ، جمال الدين أبو الحسن القفطي ، ط1، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة،مصر:دار الفكر العربي، 1986.

10- البداية و النهاية ، إسماعيل بن كثير ، تحقيق لجنة تحقيق التراث بمؤسسة الهدى، القاهرة : دار التقوى.(دت).

11- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،القاهرة:دار التراث ،.1957

12- بغية الوعاة ، السيوطي جلال الدين ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،صيدا،بيروت: المكتبة العصرية، .1964

13- البيان والتبيين ، الجاحظ، عمرو بن بحر ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط 7، القاهرة : مكتبة الخانجي ،1998 ،ج 4 .

14- تاريخ آداب العرب ، الرافعي مصطفى صادق ، ط1، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية2000 ،ج1.

15- تاريخ الشعر العربي ، البهبيتي نجيب محمد ، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، 1950 .

16- تاريخ الأدب العربي، فروخ عمر ، ط4 ، دار العلم للملايين،.1981

17- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، ط:5:مصر دار المعارف،.1957

18- تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين ترجمة: محمود فهمي حجازي، أشرف على طبعه :إدارة الثقافة و النشر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، السعودية.المجلد الثاني،1991.

19- تاريخ الخط العربي و آدابه، الكردي محمد طاهر بن عبد القادر، ط1،مصر:مكتبة الهلال1939

20- تاريخ الخلفاء ، السيوطي جلال الدين ، بيروت لبنان:دار الفكر.(دت).

21- تاريخ الرسل و الملوك ،الطبري ، محمد بن جرير ، ط2 ،حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر:دار المعارف، .1967

22- تاريخ النقد الأدبي عند العرب حتى القرن الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم ، مكتبة الفيصلية 2004 .

23- تأويل مختلف الحديث ، الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، بيروت:دار الفكر.(دت).

24- تاريخ النقائض ، الشايب أحمد ، ط 3 ،القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، 1954 .

25- تجريد الأغاني، الحموي ابن واصل ، تحقيق طه حسين و إبراهيم الأبياري،القاهرة: مطبعة مصر،.1955

26- تحذير الخواص ، السيوطي جلال الدين ،ط1، تحقيق: محمد لطفي الصباغ.الأردن.وقف الأنصار.(دت).

27- تدريب الراوي،حققه أحمد عمر هاشم، بيروت لبنان: دار الكتاب العربي، 1979 .

28- التنبيهات لأغاليط الرواة ، البصري أبو القاسم علي ، ط 3، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة: دار المعارف، .1986

29- توثيق السنة في القرن الثاني ، رفعت فوزي عبد المطلب ، ط 1 ، مصر:مكتبة الخانجي ،1981 .

30- التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه ، ط2، حققه مركز الدراسات و الأبحاث اليمني.

31- ثورة الأدب ، محمد حسين هيكل ، ط 4 ، مصر: دار المعارف ، 1978 .

32- جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد البر ، تحقيق أبو الأشبال الزهيري،دار ابن الجوزي.(دت).
33- جمهرة أشعار العرب ، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مصر: مطبعة نهضة مصر.1981
34- الحديث و المحدثون ، محمد محمد أبو زهو ، ط2 ، شركة الطباعة السعودية ، 1984 .
35- الحيوان، الجاحظ أبو عثمان ، ط2، تحقيق عبد السلام هارون، مصر: مكتبة مصطفى البابي،.1965
36- الخصائص ، ابن جني أبو الفتح ، ط 2، حققه محمد على النجار ، المكتبة العلمية ، 1952.
37- الخط والكتابة في الحضارة العربية، الجبوري يحيى وهيب ، ط 1 ، بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي. 1994 .
38- دراسات في العصر الجاهلي ، أحمد أبو الفضل ، مطبوعات المجلس الأعلى لرعية الفنون و الآداب القاهرة. .1969
39- دراسة في مصادر الأدب ، الطاهر أحمد مكي ، ط 8، القاهرة : دار الفكر العربي، .1999
40- الديوان، الأعشى ميمون بن قيس، تحقيق، محمد حسين ، مصر : المطبعة النموذجية . 1950
41- الديوان ، الأفوه الأودي ، ط1 ، تحقيق:محمد التونجي ، بيروت: دار صادر ،1998.
42- الديوان ، امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ط 5، مصر: دار المعارف ،.1958
43- الديوان ، جرير بن عطية، ط3، تحقيق:نعمان محمد أمين طه، مصر:دار المعارف،ص:980
44- الديوان ، حسان بن ثابت ، ط ؟،تحقيق وليد عرفات ، بيروت: دار صادر ،2006، 1ج.
45- الديوان ، زهير بن أبي سلمى،ط1، تحقيق:علي حسن فاغور،بيروت:دار الكتب العلمية،1988
46- الديوان ، سحيم ، تحقيق عبد العزيز الميمني ،مصر:دار الكتب ، 1950.
47- الديوان السموأل، ط؟ ، بيروت :دار صادر.
48- الديوان ، الفرزدق ، ط1، حققه إيليا الحاوي: دار الكتاب اللبناني1983 .
49- الديوان كعب زهير ، ط1،تحقيق:درويش الجويدي، بيروت:المكتبة العصرية ،2008.
50- الديوان ، النابغة الذبياني، ط2، تحقيق حمو طماس ، يبروت:دار المعرفة ،2005..
51- ذيل الأمالي ، أبو علي إسماعيل القالي ، بيروت، لبنان :دار الكتب العلمية.(دت).

52- رحلة الخط العربي، شوحان أحمد ، دمشق،سوريا:منشورات اتحاد الكتاب العرب،2001 .
53- الرسالة ، الشافعي محمد بن إدريس ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الفكر.(دت).
54- الرواية و الاستشهاد باللغة ، محمد عيد ، القاهرة: عالم الكتب ، .1972
55- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، الرازي أحمد بن حمدان تحقيق حسين بن فيض الله ط 1 ، صنعاء: مركز الدراسات و البحوث اليمني.1994 .
56- السنة قبل التدوين ، محمد عجاج الخطيب ، ط 2 ، القاهرة: مكتبة وهبة ، .1988
57- سنن النسائي ، النسائي شعيب بن علي ، بيت الأفكار الدولية للنشر ، 1999، ص: 118
58- سير أعلام النبلاء ، الذهبي أحمد بن عثمان، ط11، تحقيق مأمون صاغرجي،مؤسسة الرسالة ،.1996
59- شعراء إسلاميون ، القيسي ، نوري حمودي ، ط2 ، مكتبة النهضة العربية و عالم الكتب 1984.
60- شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، النعمان بن عبد المتعال القاضي ، رسالة ماجستير كلية الآداب ، جامعة القاهرة.(دت).
61- الشعر و الشعراء ، الدينوري ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ط 2 ، يحقيق مفيد قميحةو محمد أمين الصناوي ، بيروت لبنان:دار الكتب العلمية..2005
62- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القلقشندي أبو العباس أحمد مصر:المطبعة الأميرية 1913،ج.2
63- صحيح مسلم بشرح النووي ، النووي محيي الدين أبو زكريا يحيى ، ط 3 ، بيروت لبنان: دار إحياء التراث العربي.(دت).
64- ضحى الإسلام ، أمين أحمد ، ط7 ، مصر: مكتبة النهضة المصرية ، .1936
65- طبقات بن سعد ، الزهري محمد بن سعد ، ط 1 ، حققه محمد علي عمر ، القاهرة: مكتبة الخانجي، 2001 .
66- طبقات فحول الشعراء ، الجمحي ابن سلام ، ط 2 ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني(المؤسسة السعودية بمصر)،.1974
67- طبقات النحويين و اللغويين ، الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن، ط2 ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر :دار المعارف ، .1973
68- طرفة الأصحاب ، عمر بن يوسف بن رسول ، تحقيق ك،و،سترستين ، بيروت: دار صادر 1992.

69- عبد الملك بن مروان ، عمر أبو النصر ، ط1، بيروت: المكتبة الأهلية،1962.
70- العصر الإسلامي ، ضيف شوقي ، ط 22، مصر: دار المعارف ، 1963 .
71- العصر الجاهلي ، ضيف شوقي، ط 22 ، مصر: دار المعارف ..1960
72- عصر الخلافة الراشدة ، العمري أكرم ضياء مكتبة العبيكان.1414هـ .
73- العصر العباسي الأول ، ضيف شوقي ، ط16 ، مصر : دار المعارف ، .1966
74- العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه ،ط 1، تحقيق مفيد محمد قميحة ، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية ،1983.
75- العمدة ، القيرواني ابن رشيق ، ط1 ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد بيروت لبنان: دار و مكتبة الهلال، 1997 ، ج :1.
76- عيون الأخبار، الدينوري ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، بيروت ، لبنان:دار الكتاب العربي 1925 ،ج:2.
77- الفاضل ، المبرّد أبو العباس محمد بن يزيد ، ط 2 ، حققه عبد العزيز الميمني ، مصر: دار الكتب المصرية ، .1995
78- فتح الباري ، العسقلاني أحمد بن علي بن حجر ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت لبنان: دار المعرفة.(دت).
79- فتوح البلدان، البلاذري أبو العباس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع،بيروت:مؤسسة المعارف 1987.
80- فحولة الشعراء ، الأصمعي ، عبد الملك بن قريب ، ط1 ، حققه ش. توري ،بيروت: دار الكتاب الجديد ، .1971
81- الفرزدق ، الفحام شاكر ، ديوان المطبوعات، الجامعية ، ابن عكنون-الجزائر. 1977.
82- الفرق الإسلامية فكرا و شعرا، أبو حاتم نبيل خليل ،ط1 ، بيروت ، لبنان : دار الثقافة 1990.
83- الفهرست، ابن النديم أبي يعقوب ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ، 1971.
84- في الأدب الجاهلي، حسين طه ، ط3 ، القاهرة: مطبعة فاروق..1933
85- قراءة في كتاب علوم الحديث و مصطلحاته ، ماجد أحمد نيازي الدرويش ، بحث مقدم للمؤتمر الدولي بجامعة الجنان، طرابلس ، 2006.
86- قيم جديدة للأدب العربي القديم و المعاصر، بنت الشاطئ عائشة ، ط2 ، مصر:دار المعارف .1970

87- الوساطة ، الجرجاني القاضي ، تحقيق محمد أبو الفضل و علي محمد البجاوي، صيدا بيروت: منشورات المكتبة العصرية ، .1966
117
88- المؤتلف و المختلف، الآمدي ابن بشر ، ط1، حققه ف ، كرنكو، بيروت: دار الجيل.
89- المؤرخون والتاريخ عند العرب محمد أحمد ترحيني ، بيروت لبنان:دار الكتب العلمية و دار الريف .
90- مجالس العلماء ، أبو القاسم بن عبد الرحمن الزجاجي ، ط3، حققه عبد السلام هارون القاهرة:مكتبة الخانجي ، 1999.
91- المحدث الفاصل، الرامهرمزي الحسن بن عبد الرحمن ، ط 1،تحقيق محمد عجاج الخطيب،لبنان: دار الفكر،1971.
92- محاضرات الأدباء ، الإصبهاني الراغب حققه إبراهيم زيدان، الفجالة مصر: مطبعة الهلال،.1902
93- مختصر تاريخ البخاري، الزبيدي أحمد عبد اللطيف، ط1 ، بيروت :لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر .2005
94- مختصر تاريخ البصرة الأعظمي،علي ظريف ، تحقيق عزّة رفعت ، بور سعيد: مصر، مكتبة الثقافة الدينية.
95- مختصر صحيح البخاري، الحسين بن مبارك حديث[1767/ 4981] ، دار الفكر للطباعة و النشر ، .2005
96- المدارس النحوية ، الحديثي خديجة ، ط 3 ، الأردن : أربد-دار الأمل ، 2001 .
97- المدارس النحوية ، ضيف شوقي ، ط7، مصر: دار المعارف ، .1968
98- مدرسة الكوفة و منهجها في دراسة اللغة و النحو ، المخزومي ، المهدي ، ط 2، مصر : شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، و أولاده ، .1958
99- المزهر في علوم اللغة ، السيوطي جلال الدين تحقيق: محمد جاد المولى و آخرون، صيدا بيروت: المكتبة العصرية ، 1987،ج 2.
101- مسند عائشة ، السيوطي جلال الدين ، ط 1 ، بونباي: دار السلفية ، .1981
102- مصادر الشعر الجاهلي، الأسد ناصر الدين ، ط 8 ، بيروت:دار الجيل ، 1996.
103- المصادر اللغوية و الأدبية ، عز الدين إسماعيل ، الفجالة ، مصر: مكتبة غريب.(دت).

104- المعارف ، الدينوري ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ط4 ، تحقيق ثروت عكاشة ، مصر : دار المعارف ،.1969
105- معجم الأدباء ، الحموي ياقوت ، ط1 ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت:دار الغرب 1993.
106- كتاب المعمرين ،السجستاني محمد بن عثمان، تحقيق أحمد بن أمين الشنقيطي،مصر مطبعة السعادة ، 1905.
107- المغازي ، موسى بن عقبة ، تحقيق محمد باقشيش أبو مالك ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة ابن زهر ، أكادير ، المملكة المغربية ، 1994 .
108- المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، ط 2 ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ،1993 ،ج.8
109- المفضليات ، الضبيّ المفضل بن محمد ، تحقيق أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون ،ط 6 مصر: دار المعارف ،1962.
110- المقدمة ، ابن خلدون ، عبد الرحمن ، ط 9 ، بيروت: دار الكتب العلمية ، 2006 .
111- مقدمة ابن الصّلاح، الشهرزوري تقي الدين أبو عمرو ، تحقيق عائشة عبد الرحمن، ط2 ،مصر: دارالمعارف،.1989
112- منهج نقد علوم الحديث ، نور الدين عتر ، ط 3 ، دمشق سوريا: دار الفكر، 1981 .
113- المنية و الأمل ، المرتضى أحمد بن يحيى ، تحقيق توما أرنولد ، حيدرباد: دائرة المعارف العظامية ، 1316هـ .
114- موسوعة عائشة ، الحفني عبد المنعم ، ط1، القاهرة: مكتبة مدبول ، .2003
115- الموشح ، المرزباني أبو عبيد الله ، عنيت بنشره جمعية نشر الكتب المصرية ، مصر: المطبعة السلفية ، 1343هـ.
116- الموافقات، الشاطبي أبو إسحاق، تحقيق:محمد عبد الله دراز،مصر:دار الفكر العربي.(دت)
- نحو منهج إسلامي في رواية الشعر و نقده، عليان مصطفى، ط 1 ، عمان: دار البشير.1992 .
118- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، الأنباري أبو البركات ، ط3 ،تحقيق أبراهيم السامرائي،الزرقاء الأردن: مكتبة المنار،.1958
119- نشأة علم التاريخ عند العرب ، عبد العزيز الدوري ، مركز زايد للتراث و التاريخ ،2000.

120- نقائض جرير و الفرزدق، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ليدن: مطبعة بريل ،1905.

المجـلات:

119- مجلة الآداب.العدد:3.تصدر عن معهد الآداب.جامعة قسنطينة..1996
120- مجلة التراث العربي، مقال لوليد قصاب ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد العرب ، دمشق:سوريا عدد:102. .2006
121- مجلة رؤى ، مقال: الرواية الشفوية في العصر الإسلامي ، موسى مصطفى لعبيدان ، النادي الأدبي جدة ، العدد:السابع .2007.

المعاجـم:

122- تهذيب اللغة، الهروي محمد بن أحمد بن الأزهر ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصر:دار القومية العربية ، .1964
123- لسان العرب ، ط3 ، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي، بيروت: لبنان دار إحياء التراث العربي ، .1999
124- المنجد، الأب لويس ملعوف اليسوعي ط5، لبنان،بيروت:المطبعة الكاثوليكية،1908.

فهرس الموضوعات

مقدمة :.....3

مدخل :.....8

الفصـــل الأول:

الرواية الشفوية في العصر الجاهلي :

- مفهوم الرواية 20
- أنواع الرواية: 22
- رواية الأشعار- رواية الأنساب – رواية الأخبار و القصص.....35

الفصـــل الثاني:

الرواية في صدر الإسلام:

- رواية الشعر (الرسول-ص-أبو بكر-عمر بن الخطاب – عليّ بن أبي طالب- السيدة عائشـــــــة –رواة القبائـــــــل- رواة شـــــــعر الفتوحـــــــات – الشـــــــعراء الرواة).....36
- جمع القرآن الكريم و تدوينه 69
- رواية الحديث و بداية تدوينه 75
- دواعي تدوين الحديث 87
- منهج العلماء في تدوين الحديث 91

الفصـــل الثالث:

الرواية في العصر الأموي و دواعيها:.....96

- بروز العصبيات القبلية (شعر النقائض) 99
- اهتمام الخلفاء بالشعر و روايته 110
- حرفة التعليم 115
- القصاص و الإخباريون و الوعاظ 119
- الشعراء الرواة (ذو الرمة- الفرزدق- جرير- رؤبة – سراقة البارقي).....127

الفصـــل الرابع :

الرواية و التدوين في مدرستي البصرة و الكوفة (العصر العباسي):

- نشاط الرواية (الضبط و التدوين)..... 142
- مدرسة البصرة و أهم أعلامها 159
- مدرسة الكوفة و أهم أعلامها 165
- القضايا النقدية التي أثيرت:الانتحال–الاعتزال– تداخل رواية الشعر و الحديث... 173
- تدوين الشعر الجاهلي و الإسلامي و أعلام الرواة :..... 199
1- أبو عمرو بن العلاء (**69،155**هـ)..... 203
2- المفضل الضبي (**ت170**هـ)..... 203
3- حماد الراوية (**95، 164**هـ)..... 204
4- خلف الأحمر (**115،180**هـ)..... 205
5- الأصمعي (**122، 215**هـ)..... 206
الخـاتمة :..... 208
المصادر و المراجع
:..... 213

RESUME

Ce travail est une étude et citation illustrative de la poésie arabe et son évolution a partir de la phase de l'oralité jusqu'a la phase de l'écriture (manuscrit) pendant l'époque de premier et deuxième siècle de l'hégire, cette époque est critique et décisive a la fois dans l'histoire de la poésie arabe, il s'agit de la transition de l'orale a l'écrit. A l'instar d'autres cultures et civilisations comme la Grèce antique, ancien et nouveau testament de la judéo – crétinisme, la culture arabe est une culture basé sur l'oralité, et la poésie comme le seul vecteur de la culture et de la science que les arabes possédèrent, transmet par voie orale entre les individus et les tribus.

A' l'arriver de l'islam la nation arabe prit son chemin de développement tous azimuts, la spiritualité surtout.

Dans ce contexte la culture arabe y compris la poésie commença progressivement de se convertir de l'oralité vers le manuscrit. Au début c'était le Coran qui fait parmi les premiers textes écrites les textes sacrés fondateur de la religion islamique firent appel a' la lecture dans plusieurs versets coranique ainsi les texte dite « hadith », dite par le prophète Mohamed. Après l'écriture sous forme de manuscrits les textes sacrés a' savoir le Coran et Hadith à la fin du premier siècle et le début du deuxième siècle de l'hégire, pendant cette période l'oralité consiste le principale vecteur de la poésie, cette dernière connue

par son rôle majeur dans l'interprétation des textes sacrés du l'islam, une secte adopté par plusieurs savants musulman comme Ibn Abbas, cependant le manuscrit fit gagner des terrains et la lettre arabe commencer a' progressé. Les récits de la poésie propagèrent par des savants, poètes ; hommes doctes, philosophes, et instituteurs, a' l'instar disciplines comme l'histoire et la généalogie. La progression de la poésie s'oriente vers la spécialisation avec l'arrivée des savants outre que Ibn El-Ala et El-Asmai. Les récits poétiques prirent l'aspect scientifique pratique par l'élite intellectuelle.

Cette couche qui prit la charge de collecter et écrire sous forme de manuscrits tous les poèmes proviennent des milieux rural, marches urbains et apôtres de la poésie aussi la charge d'enseigner et comparer ces poésies avec celui qui reste encore transmet par l'oralité.

Le manuscrit et l'oralité prirent le chemin parallèlement jusqu'à l'achèvement d'écrire la majorité de ce patrimoine à la fin du deuxième siècle et la totalité du troisième siècle de l'hégire.

La transition de l'aspect oralité à l'aspect manuscrit n'est qu'un phénomène naturel dicter par la loi de l'évolution, contrairement à ceux qu'ils pensent que ce n'est qu'un source de vulnérabilité de ce patrimoine arabe, si non tous les patrimoines de toutes nation sont sujet d'un critique pareille.